لينين

الدفاتر الفلسفية - ٣

مكتبة الشيوعيين العرب
https://sites.google.com/site/arcommunistslibrary

نسخه للإنترنت بواسطة الماسح الضوئي: الصوت الشيوعي
https://sites.google.com/site/communistvoice
communistvoice@yahoo.com

لينين

الدفاتر الفلسفية - ٣

جزء

٢

ترجمها وعلق عليها

الياس مرقص

دار الحقيقة - بيروت

حقوق الطبع محفوظة لدار الحقيقة

الطبعة الأولى

بيروت ١٩٧٤

٤

هيغل :
« دروس تاريخ الفلسفة »

المدخل

ص ٥٣ ... « إذا كان الحق vrai مجرداً ، فهذا يعني أنه غير حق . إن العقل الانساني السليم يتجه نحو العياني ... الفلسفة هي الى أعلى درجة معادية للمجرد وهي تعيد الى العياني » ...

ص ٥٦ : مقارنة تاريخ الفلسفة مع **دائرة** – « هـذه الدائرة تحوي في أطرافها كمية كبيرة من الدوائر » .

هـ . ل * : مقارنة بالغة العمق والصواب !! كل وجه خاص من وجوه الفكر = دائرة على الدائرة الكبيرة (الخط الحلزوني) لتطور الفكر الانساني عامةً . (م ١) **

... « أؤكّد ان تسلسل المنظومات الفلسفية في التاريخ واحدٌ وتسلسل التحديدات المفهومية **للفكرة** Idée في الاستنتاج المنطقي . أؤكد أننـا حين نحرّر أو نبرز المفاهيم الأساسية للمنظومات التي ظهرت في تاريخ الفلسفة ممـا ينتسب الى شكلها الخارجي ، الى تطبيقها على الخاص الجزئي ، الخ ،

---

* هامش لينين ، ملاحظة من لينين وردت على يسار الصفحة .

** انظر ملاحظاتنا (شروحنا) المسلسلة في نهاية البحث .

فاننـا نحصل على مختلف درجات تحديد الفكرة نفسها في مفهومهـا المنطقي . » (٣٩) .

« وبالمقابل ، إذا أخـذنا التدرج المنطقي في ذاتـه ، حصلنا على اللحظات الرئيسية لمسيرة الظاهرات التـاريخية ؛ – صحيح انـه لهذا الغرض ينبغي معرفة هذه المفاهيم الخالصة في محتوى الشكل التاريخي . » (٥٩) . (م ٢)

ص ٧٢ – يسخر من الركض وراء الموضة، الركض وراء من هم مستعدّون لأن « يعلنوا فلسفةً أية **ثرثرة** (؟) كانت » .

ص ٧٢–٧٣ – ممتـاز : ضرورة حس تاريخي صارم في تاريخ الفلسفة ، كي لا نمنح القدامى هـذا « البسْط » لأفكارهم الذي هو واضح لنـا ولكنه بالواقع ليس موجوداً بعدُ عندهم .

عند طاليس مثلاً ، لا يوجد بعدُ مفهومُ الـ arkhé (**كمبدأ**) ، لا يوجد بعد مفهوم **السبب** ...*

... « هكذا ، مثلاً ، هنـاك شعوب بالكامل لا تملك بعد هذا المفهوم (السبب) ؛ لامتلاكه يجب أن يكون الشعب قد بلغ درجة عاليـة من التطور » ... (٧٤) .

طويل جداً ، فارغ ومملّ ، عن علاقات الفلسفـة والدين ؛ بوجه عـام ، إن مقدمة مؤلفة من قرابة ٢٠٠ صفحة ... هذا مستحيل !!

---

* طاليس (ق ٦ ق م) أول الفلاسفة ، مادي ، رائد المدرسة الايونية والمادية الاولى الساذجة (والجدلية) . arkhé : principe ، مبدأ .

فلسفة الايونيين (م ٣)

« آنا كسيماندر (٦١٠ – ٥٤٧ ق . م) كان يؤكد ان الانسان يأتي من السمكة . » (٢٢٩) .

فلسفة الفيثاغوريين

... « هكذا إنهـــا تعيينات ــ جافة ، مجمَّدة ، غير جدلية ، بلا حركة » ... (٢٦٠) . هـ . ل : تعريف سلبي للديالكتيك * .

المقصود أفكار الفيثاغوريين العـامة ؛ – « العدد » ومدلوله الخ . **اذن** : هذا الحكم يتصل بأحكام الفيتاغوريين الأولية ، بفلسفتهم الاولى ؛ إن « تعاريف » الماهية ، الأشياء ، العـالم ، هي عندهم « جافة ، مجمدة (بلا حركة) ، وغير جدلية » .

هيغل ينتبه بالدرجة الاولى الى **الديالكتيك** في تاريخ الفلسفة وينقل محاكمات الفيثاغوريين :

... « الواحدة مضافةً الى عدد زوجي تعطي عدداً مفرداً (٢ + ١ = ٣) ؛ مضافةً الى عدد مفرد تعطي عدداً زوجياً (٣ + ١ = ٤) ؛ الواحدة لهـا خاصة التزويج ويجب اذن أن تكون زوجية . الوحدة تحوي اذن في ذاتهـــا التحديدات المختلفة . » (٢٦٢) .

التناسق الموسيقي وفلسفة فيثاغور [هـ . ل : « تناسق الكون »] .

---

* أي تعريف للديالكتيك بماليست .

... « الإحساس الذاتي، البسيط في السماع ولكنه في ذاته يحوي العلاقة، فيثاغور طالب به للفهم وأحرزه للفهم معطياً إياه تعريفاً متيناً . » (٢٧٨) .
هـ . ل : علاقة الذاتي والموضوعي .

ص ٢٨١ – ٢٨٢ : حركة مجموعات النجوم – تناسقها – التناسق ، الذي لا نسمعه ، تناسق الكرات السماوية **المغَنِّيَة** (عند الفيثاغوريين) . **أرسطو** ، في كتاب « **السماء** » ، الجزء ٢ ، الفصل ١٣ (و ٩) يقول :

... « الفيثاغوريون وضعوا في المركز النـار ، واعتبروا الأرض كوكباً يدور في دائرة حول هذا الجسم المركزي » ... ولكن هذه النـار لم تكن عندهم هي الشمس ... « في هـذه النقطة ، انهم لا يعتمدون على الظاهر المحسوس بل على علل . هذه الكرات العشر تطلق صوتاً ككلّ ما يتحرّك ؛ ولكن كلا منها تطلق صوتاً مختلفاً بحسب حجمهـا وسرعتها ... السرعة تحددها مختلف المسافات التي هي فيما بينها في علاقة متناسقة ، مطابقة للفُرَج الموسيقية ؛ من هنا يتولّد الصوت المتناسق للكرات المتحركة، تتولد موسيقى الكون » ...

المقصود عشر كرات ، أو محارك أو حركات عشرة كواكب هي : عطارد ، الزهرة ، المريخ ، المشتري ، زحل ، الشمس ، القمر ، الأرض ، المجرّة [درب التبانة] ، و الأرض–المضادّة (أو القطب المعاكس ؟) . هذه الأخيرة اخترعوها « من أجل الحصول على رقم مستدير » أي على الرقم عشرة * .

بخصوص النفس ، كان الفيثاغوريون يؤمنون « **بأن النفس هي الأجزاء**

---

* هـذا الرقم عشرة كان بالنسبة للفيثاغوريين العدد الأكثر كمالاً ، الذي يتضمن كل طبيعة الأعداد ...

الصغيرة الشمسية » (ص ٢٨٤) (= جزء صغـــير ، ذرة) (**أرسطو** ، كتاب « **النفس** » ، الجزء ١ ، الفصل ٢)

هـ . ل : تلميح الى بنية المادة . دور الغبـــار (في الشعاع الشمسي) في الفلسفة القديمـــة . الفيثاغوريون : « تخمينات » ، ابتكارات خياليـة عن تشابه الماكروكوسم [الكون الكبير] والميكروكوسم [الكون الصغير] .

في النفس ، توجد سبع دوائر (عناصر) كما في السماء . **أرسطو** ، كتاب « **النفس** » ، I ، ٣ . — (ص ٢٨٥) .

وهنا أيضاً حكايات : فيثاغور (اذْ أخذ عن المصريين نظريتهم عن خلود وانتقـال النفوس) روى ان نفسه كانت قد عاشت ٢٠٧ سنوات في جسد رجال آخرين ، الخ ، الخ (٢٨٧) .

NB : اجتماع **أجنّة** فكر علْمي مع الخيال ، **على*** طريقة الدين ، الميثولوجيا . والآن ! ثمة دائماً هذا التركيب نفسه ولكن نسب العلم والاسطورة تغيرت .

أيضاً في نظرية الأعداد لفيثاغور .

« الأعداد أين هي ؟ مفصولة بالمكان ، ساكنة لذاتهـا في سماء الأفكار [المثُل] ؟ ليست مباشرة الأشياء نفسها ، إذ ان الشيء ، الماهية ، شيءٌ آخر غير العدد ، — ليس للجسم أي تشابه مع هذا الأخـير » ، ص ٢٧٠ . **شاهد** (من أرسطو ؟ كتاب « الميتافيزياء » [مـا وراء الطبيعة] ، I ، ٩ كلاّ ؟ من سِكستوس امبيريكوس ؟ غير واضح) . NB .

ص ٢٩٥ — الفيثاغوريون يقبلون **الأثير** (... « إن شعاعـاً من أشعة الشمس يدخل خلال الأثير السميك والبارد » ، الخ) .

---

* à la وردت بالفرنسية في نص لينين .

هكذا توجد منذ ألوف السنين **فرضية** الأثير التي ظلت حتى الوقت الحاضر محض **فرضية** . ولكن يوجد من الآن **أروقة تحت ـ أرضية** أكثر ألف مرة ، تقود الى حل المسألة ، الى التعريف العلمي للأثير . (م ٤) .

مدرسة الايليات

بخصوص مدرسة مدينة ايليه Elée هيغل يقول عن **الديالكتيك** :

... « نجد هنا (في مدرسة ايليه) بداية الديالكتيك ، أي ، بالضبط ، بداية حركة الفكر الخالصة في المفاهيم ؛ وفي الوقت عينه التعارض بين الفكر والظاهرة أو الوجود الحسّي ـ بين ما هو في ذاته وما هو كينونة هذا الـ في ـ ذاته لآخرَ ؛ ونجد في الجوهر الموضوعي التناقض الذي يحويه هذا الجوهر في نفسه (الديالكتيك بالمعنى الحقيقي) » ... (٢٩٦) . **هـ . ل** : ما هو الديالكتيك ؟ آ [ثم] ب .

هـ . ل : هيغل حول الديالكتيك .

إشارتان اثنتان .

سمتان مميزتان .

ثمة هنا، في الأساس، تحديدان (Bestimmungen, Keine Definitionen ، **تحديدات لا تعاريف** *) للديالكتيك :

---

* هذه العبارة وردت بالألمانية وهي شعار هيغل ، المؤيّد من قبل لينين وانجلس وماركس : نريد ونضع تحديدات وليس تعاريف . التحديدات (التعيينات) تعطي جوهر الموضوع ، وجوهه الجوهرية ، علاقاته . « التعريف » فكرة جامدة وعازلة جاءت من المنطق الصوري المخصيّ (ومن حاجات المعرفة الوضعية العلمية) . الماركسية لا ترمي فكرة التعريف ، ولكن تُخضعها لفكرة التحديدات ، لفكرة بسط المفهوم (انجلس) ، أي للديالكتيك (ديالكتيك الوجود وديالكتيك المعرفة) . (م ه)

آ) « محض حركة الفكر في المفاهيم » ؛

ب) « في جوهر الموضوعات ذاته ، توضيح (كشف) التناقض ، الذي يحويه هـــذا الجوهر في ذاته (**الديالكتيك بالمعنى الحقيقي**) .

بمفردات أخرى ، هـذه « القطعة » من هيغل يجب أن تُترجم على النحو الآتي :

الديالكتيك ، بوجه عام ، هو « حركة الفكر المحضة في المفاهيم » (أي بكلام آخر – بدون تصويف المثالية – : إن المفاهيم الانسانية ليست جامدة بل هي في حركة دائمة، في انتقال أو مضي من واحد الى آخر، ينتشر الواحد في الآخر . بدون ذلك ليست انعكاسَ الحيـاة الحيّة . إن تحليل المفاهيم ، دراستها ، « فن العمل معها » (انجلس*) ، يتطلب دوماً دراسة **حركة** المفاهيم ، روابطها ، تداخلها .

بشكل خاص، الديالكتيك هو دراسة تعارض الـ في – الذات ، الجوهر، القوام ، الماهية ، – مع الظاهرة ، « الكينونة – لآخرَ » . (هنـا أيضاً نرى الانتقال ، المضي ، انصهار الواحد في الآخر : الجوهر يظهر . الظاهرة هي جوهر) . إن فكر الانسان يتعمق الى ما لا نهاية من الظاهر نحو الجوهر ، من جوهر درجة اولى إن صح القول الى جوهر درجة ثانية الخ ، **الى ما لا نهاية .**

بالمعنى الحقيقي،الديالكتيك هو دراسة التناقض في **جوهر الاشياء عينه :** ليست الظاهرات وحدهـا انتقالية ، متحركة ، مرنة ، مفصولة بحدود فقط اصطلاحية ، بل هذا كله صحيح أيضاً عن **جوهر** الاشياء .

---

* في آنتي ـ **دوهرنغ** ، مقدمة ١٨٨٥ : هذا الفن « ليس فطْرياً ، وليس معطى مع الوعي العادي لكل الأيام » .

سِكْستوس أمبيريكوس يقدّم على الشكل التالي وجهةَ نظر الريبيين :

... « كما أنه ، إذا تصوّرنا بيتاً فيه كثير من الأشياء الثمينة وفيه يبحث رجال عديدون عن الذهب في منتصف الليل : كل منهم يعتقد انه وجَدَه ولكنه لا يستطيع أن يكون متأكداً حتى إذا وجده فعلاً. وكذلك الفلاسفة يدخلون هذا العالم كما يدخلون بيتاً كبيراً بحثاً عن الحقيقة ؛ حتى إذا وجدوها فإنهم لا يستطيعون أن يعرفوا ما اذا بلغوها ... » (٣٠٤ – ٣٠٥) .

هـ . ل : تشبيه فاتن .

كزينوفان (وهو من مدرسة الايليات) كان يقول :

« لو كان للأبقار والأُسود أيْدٍ يخلقون بها أعمالاً فنية مثل البشر، لقاموا هم أيضاً برسم الآلهة ومنحها أجساداً شبيهة بأجسادهم » ... (٣٠٥) . **هـ . ل:** الآلهة على صورة الانسان .

« عند زينون السمة المميزة هي الديالكتيك » ... « انه أبو الديالكتيك » ... (٣١٨) .

... « عند زينون نجد أيضاً ديالكتيكاً **موضوعياً** حقاً » (٣٢٥) .

– (٣٢٦) : حول تفنيد المذاهب الفلسفية : « الباطل يجب أن يبرهَن على انه باطل ، ليس لأن معارِضَه حق ، بل في نفسه » ... –

« الديالكتيك ، بوجه عام ، هو : آ) ديالكتيك خارجي ، حيث ان هذه الحركة مختلفة في تركيبها الجمعي ؛ [**هـ . ل** : الديالكتيك] ب) الحركة هي حركةُ ليس فقط فهمِنا ، بل يجب أن تُبرهَن بطبيعة الشيء ذاته ، أي بالمفهوم الخالص للمحتوى . الأول هو كيفية في اعتبار الموضوعات، في اكتشاف علل وجوده فيها ، وبذلك زعزعة كل ما يُعتبر صلباً . هذه العلل يمكن أن تكون خارجية تماماً ، و ، بصدد السوفسطائيين ، سنعود الى هذه النقطة . ولكن الديالكتيك الآخر هو اعتبار الموضوع اعتباراً مُحايثاً [ملازماً] :

نأخذه لذاته ، بلا افتراض مسبق ، بلا فكرة مسبقة ، بلا فكرة أخلاقية ، مجرداً عن العلاقات والقوانين والعلل الخارجية . نضع نفسنا تماماً في الشيء ، نعتبر الموضوع في نفسه ، ونأخذه حسب التحديدات التي يحوزها . في هذا الاعتبار يكشف (كذا !) عندئذٍ بنفسه انه يحوي تحديدات معارضة ، اذن انه يتجاوز نفسه ، يلغي نفسه ؛ هذا الديالكتيك نجده خصوصاً عند فلاسفة العصر القديم ... [**هامش لينين** بجانب الأسطر الأخيرة بدءاً من «ولكن الديالكتيك الآخر...» : الديالكتيك الموضوعي] . أما الديالكتيك الذاتي الذي يرتكز على علل خارجية فليس صالحاً إلا بشرط الاعتراف بأنه «في الحق يوجد أيضاً غيرُ – حق ، وفي الباطل يوجد حق» . إن الديالكتيك الحقيقي لا يترك شيئاً يبقى من موضوعه : هذا الأخير ينكشف عن كونه غير كاف ليس فقط بأحد وجوهه الجزئية بل هو ينهار تماماً . » (٣٢٧) .

حول الديالكتيك ودلالته الموضوعية

في القرن العشرين (بل منذ أواخر القرن التاسع عشر) « كل الناس موافقون » على « مبدأ التطور – الانبساط développement » . ولكن هذا « الاتفاق » السطحي ، غير المفكَّر ، العارض ، الفِلِسْتين [البرجوازي – الصغير] ، هو **واحد من هذه** الاتفاقات التي بها تُخنَق الحقيقة وتُمْسَخ . – اذا كان كل شيء ينمو – ينبسط ، فهذا معناه ان كل الأشياء تمضي – تنتقل فيما بينها ، إذْ ، كما هو معلوم ، ليس التطور – النمو – الانبساط محض نموّ ، ليس **ازدياداً** (أو أيضاً نقصاناً)

عاماً وأزلياً ، الخ – وبما ان الأمر كذلك ١) يجب أن نفهم **بمزيد من الوضوح والدقة** ، التطوّر بوصفه ولادة ودمار كل شيء ، بوصفه انتقالأت متبادلة . – و ٢) إذا كان **كل** شيء يتطوّر ، فهل هذا ينطبق على **المفاهيم** الأكثر عمومية وعلى **مقولات** الفهم ؟ إذا كان لا ، فهذا معناه ان الفهم ليس مرتبطاً بالموجود . إذا كان نعم ، فهذا معناه ان ثمة ديالكتيك للمفاهيم وديالكتيك للمعرفة له دلالة موضوعية . +

I مبدأ التطور	+ يجب من جهة أخرى ربط ، توحيد ، وصل المبدأ العـام ، مبدأ التطور، مع المبدأ العام ،
II مبدأ الوحدة	مبدأ **وحـدة الكون** ، وحدة الطبيعة ، الحركة ، المادة ، الخ . NB .

... « زينون نظر الى الحركة خصوصاً بشكل ديالكتي موضوعياً . » (ص ٣٣٩) .

« الحركة هي نفسها ديالكتيك كل ما هو كائن » ... زينون لم يخطر في باله أن ينفي الحركة من حيث هي – « يقين حسّي » . قضيّته كانت فقط مسألة « حقيقتها (أي حقيقة الحركة) » – (حقيقة الحركة) . في الصفحة التالية يروي هيغل نكتة ...

ه . ل : NB يمكن ويجب أن **نقلب** حدود المسألة : القضية ليست معرفة ما اذا كانت الحركة كائنة ، بل كيف نُعبِّر عنها في منطق المفاهيم .

في الصفحة التالية ، يروي هيغل النكتة التي تقول ان ديوجين (الفيلسوف

الكـلـبي من مدينة سينوب) كان يدحض الحركة بالمشي * ، ثم يقول :

« يروون أيضاً تتمة القصة على الشكل الآتي : حين كان أحـد التلاميذ يبدي رضاه عن هذا الدحض ، كان ديوجين يؤدّبه بعدّة ضربات من عصاه . لأنه ، بما ان الاستاذ ناقش بعلل ، لذلك لا يجوز أن يقبل التلميذ إلا بدحضٍ مؤسَّس على علل . كذلك لا يجوز الاكتفاء باليقين الحسّي ، بل يجب الفهم » ... **هـ . ل** : لا بأس ! من أين تأتي هذه التتمة ؟ ليست واردة عند المؤرخ ديوجين لايرس VI ، الفقرة ٣٩ وعند سكتوس امبريكوس III ، ٨ (هيغل ص ٣٣٠) . ألم يخترعها هيغل ؟

أربعة أشكال لدحض الحركة عند زينون :

(١) إن ما يتحرك نحو الهدف عليه بادىء بدء أن يقطع **نصف** الطريق نحو هذا الهدف . اعتباراً من هـــذا النصف ، أولاً نصف النصف الخ ، **الى ما لا نهاية .**

وقد ردّ ارسطو : إن الزمان والمكان قابلان لأن يُقسَما الى ما لا نهاية (في الامكان أو القوة أو الكمون en puissance) ولكنهما لا يُقسَمان إلى ما لا نهـــاية (بالفعل en acte) ؛ بيل Bayle (**القاموس** ، المجلد IV ، مقالته عن زينون) يصف جواب أرسطو بأنه **مثير للشفقة :**

« **إذا** خطـَطـْنا ما لا نهاية له من الخطوط على بوصة من المـادة ، نكون أدخلنا تقسيماً يحوّل الى لا نهاية فعلية ما لم يكن في زعمه (زعم ارسطو) سوى لا نهاية كامنة » ... (٣٣٣)

---

* الأرجح اننا أمام خطأ طباعي ، والصح : كان يثبت الحركة بالمشي ، يدحض حجة أحد تلامذة زينون . الكلبية مذهب فلسفي . ديوجين (ق ٤ ق) عاصر افلاطون وأرسطو والاسكندر... اشتهر بقصص طريفة . افلاطون لقبه بـ « سقراط صائر مجنوناً » ، أحد الرواقيين اعتبره حكيماً كبيراً .

هيغل يعلّق (٣٣٣) : « هذهِ الـ **إذا** رائعة ! »

أي اذا سقنا الى النهاية

تقسيماً **لا نهاية له** !!

... « إن جوهر الزمان والمكان هو الحركة لأنها الكلي ؛ إن فهمَها معناه التعبير عن جوهرها في شكل المفهوم [**هـ . ل** : صح !] . من حيث هي وحدة النفي والتواصل ، الحركة معبَّرة كمفهوم ، كفكر ، ولكن في ذاتيها يجب إذن بالضبط أن لا نضع كجوهر لا التواصل ولا النقطية ... » (ص ٣٣٤) .

[شرح لينين :] « الفهم معناه التعبير في شكل المفاهيم » . الحركة هي جوهر الزمان والمكان . مفهومان أساسيان يعبِّران عن هذا الجوهر : التواصل (اللامحدود) و « النقطية » (= نفي التواصل ، أي **الانقطاع**) . الحركة هي وحدة التواصل (تواصل الزمان والمكان) واللاتواصل (لا تواصل الزمان والمكان) . الحركة هي تناقض ، هي وحدة ضدّين .

[شرح لينين :] أوبرفِغ – هاينتس ، الطبعة العاشرة ، ص ٦٣ ، الفقرة ٢٠ ، يخطىء في قوله ان هيغل « يدافع عن أرسطو ضد بيل » . إن هيغل يدحض الريبي (بيل) والمناهض للديالكتيك (أرسطو) .

انظر في كتاب غومبرز ، عن مفكري اليونان ، ص ... ، **الاعتراف** القسري تجت تهديد العصا ، بوحدة الاضداد ، بدون الاعتراف (نتيجة الجبن الفكري) بالديالكتيك ...

(٢) أخيلس لن يلحق بالسلحفاة . « أولاً النصف » الخ ، الى ما لا نهاية .

أرسطو يرد : انه سيلحق بها إذا سمح له بأن « يجتاز الحد » (ص٣٣٦). وهيغل يعلّق : «هذا الجواب صحيح ويحوي في ذاته كل المسألة» (ص٣٣٧)،– إذ واقعياً صار هنا النصف (بمقياس ما) « حداً » ...

« حين نتكلم عامةً عن الحركة ، نقول : الجسم هو في محل ثم يذهب إلى آخر . حينما يتحرّك ، لم يعد في المحل الأول ولكنه ليس بعدُ في الثاني ؛ إذا كان في أحدهما فهو بلا حركة . اذا قلنا انه بين الاثنين ، لم نقل شيئاً ؛ إذْ ، بين الاثنين ، إنه أيضاً في محل ونحن اذن مواجهون بنفس الصعوبة . ولكن التحرّك معناه : كائن في هذا المحل وفي الوقت نفسه غير كائن فيه ؛ وهذا هو تواصل المكان والزمان – وهو بالضبط ما يجعل الحركة ممكنة . » (ص ٣٣٧ – ٣٣٨) .

هـ . ل : [مقابل السطور الثلاثة الاولى] انظر اعتراضات تشرنوف ضد انجلس* . [ومقابل السطرين الأخيرين] NB ! صح !

الحركة هي وضع أو موقع جسم في لحظة معطاة في مكان معطى ، وفي لحظة أُخرى ، في اللحظة التالية ، في مكان آخر– هذا هو الاعتراض الذي يردده تشرنوف (انظر « **دراساته الفلسفية** ») وراء كل خصوم هيغل « الميتافيزيين » .

هذا الاعتراض خاطىء : ١) إنه يصف **نتيجة** الحركة لا الحركة **ذاتها** ؛ ٢) انه لا يبيِّن ، لا يحوي في ذاته **إمكانية** الحركة ؛ ٣) انه يمثّل الحركة كجمع ، كسلسلة حالات **سكون** ، أي ان التناقض (الديالكتي) ليس محذوفاً من قِبله ، بل هو فقط مغطّى ، مؤجّل ، مخفي ، محجوب .

---

* تشرنوف أحد أقطاب تيار « التجربية النقدية » . انظر كتاب لينين : « المادية والتجربية النقدية » .

« إن ما يصنع دوماً الصعوبة هو الفكر ، لأن الفكر يفصل ويبقي في تمايزها لحظاتِ موضوعٍ مترابطة في الواقع » (٣٣٨) . هـ . ل : صحّ !

لا نستطيع أن نمثّل ، أن نعبّر عن ، أن نقيس ، ان نصوّر الحركة ، بدون أن نقطع تواصلها ، بدون أن نبسّط ، أن نغلّظ ، أن نفصل ، أن نقتل ما هو حيّ . إن تمثيل الحركة في الفكر هو دائماً تغليظ وتجميد ليس فقط بالفكر بل أيضاً بالإحساس ، ليس الحركةِ فقط ، بل **كل** المفاهيم .

في هذا قوام **وأساس** الديالكتيك . وبالضبط إن هذا الأساس هو ما تعبّر عنه صيغة : وحدة ، تماثل الضدين .

٣) « السهم الذي يطير لا يتحرك » .

وجواب أرسطو : الذنب مصدره القبول المسبق بأن « الزمان يتألف من الآنات المختلفة » (ص ٣٤٠) .

٤) النصف مساوٍ للمضاعَف : بحسب ما تكون نفس الحركة مقاسة بالنسبة الى جسم غير متحرك أو بالنسبة الى جسم يتحرك في الاتجاه **المعاكس.**

في نهاية الفقرة عن زينون ، هيغل يقرنه مع **كَنط** (إن ثنائيات كنط التناحرية antinomies « ليست شيئاً آخر سوى ما سبق ان فعله زينون هنا ») . (ص ٣٤٢) .

النتيجة العامة لديالكتيك الايليات : « الحق هو فقط الواحد » ، « وشيء آخر تماماً اللا ـ حقّ » ـ « كذلك كانت نتيجة فلسفة كنط : « لا نعرف سوى ظاهرات » . في الحاصل ، هذا نفس المبدأ » .

ولكن هناك فرق أيضاً .

« عند كنط ، إن الروح هي التي تدمّر العالَم ، بينما عند زينون ، إن

العالم ، الظاهراتي في ذاته ولذاته ، ليس حقاً . حسب كنط ، إن فكرنا ، إن فاعليتنا الفكرية هي السيئة . إنه أكبر تصاغر للروح أن لا نعطي قيمة للمعرفة الفكرية » (ص ٣٤٢ – ٣٤٣) . هـ . ل : كنط وذاتويّته ، ريبيّته ، الخ .

متابعة الايليات في لوسيب Leucippe * وعند **السوفسطائيين** ...

فلسفة هيراكليت

بعد زينون (؟ زينون عاش **بعد** هيراكليت ؟ **) ، يمضي هيغل الى هيراكليت ، فيقول :

« إنه (ديالكتيك زينون) يمكن ان يدعى أيضاً ديالكتيكاً ذاتياً [هـ . ل : NB] بالقدر الذي هو فيه واقع أو انتاج الذات المفكّرة ، وبدون هذا الديالكتيك ، بدون هذه الحركة ، الواحد هو وحدة ، هوية مجرّدة » ... (٣٤٤) .

آ) ديالكتيك ذاتيّ .

ب) في الموضوع ثمة ديالكتيك ، ولكنْ **أنا** لا أعلم . لعله الظاهر ، فقط الظاهرة ، الخ .

ج) ديالكتيك موضوعي تماماً ، كمبدأ لكل ما هو موجود. « سابقاً قيل (انظر شاهد ص ٣٢٥ وبعدها) انه ثمة عند زينون ديالكتيك **موضوعي** . ثمة هنا «تمييز» دقيق جداً . انظر التتمة : »

---

* لوسيب (ق ه ق). وُلد في مدينة ميليت مركز ايونيا ومدرستها المادية . على الأرجح تتلمذ على يد زينون وعلّم ديموقريط . وهو مؤسس النظرية الذرية (قبل ديموقريط) : المادة مؤلفة من ذرات تتحرك في الفراغ ، وهو يؤكد الصيرورة والتعدد ويقول بوحدة الكينونة واللاكينونة (وحدة هو وليس) . انظر لاحقاً .

** هيراكليت (ق ٦) عاش بعد طاليس ، وقبل زينون بقليل ...

« الجدل هو: آ) جدل خارجي ، محاكمة تجول ضائعة هنا وهناك ، لا روح الشيء ذاته حالاً نفسه NB ؛ ب) جدلية الموضوع المحايثة [الملازمة له] ولكنْ (NB) منتسِبة الى تفكير الذات ؛ ج) الموضوعية الهيراكليتية ، أي الجدل نفسه مقبوض عليه كمبدأ » (٣٤٤) . NB .

عند هيراكليت : « هنا نضع أقدامنا على الأرض ؛ ليس ثمة قضية لهيراكليت إلا وأخذُتها في منطقي » . (٣٤٤) NB .

هيراكليت يقول : — كل شيء صيرورة ؛ هذه الصيرورة هي المبدأ . هذا متضمن في عبارة : الكينونة ليست كائنة أكثر من اللاكينونة » ... (٣٤٩) . NB .

« كان تحصيلاً كبيراً الاعترافُ بأن الكينونة واللاكينونة ما هما إلا تجريدان لا حقيقة لهما ، وأن الحقيقة الأولى هي الصيرورة . الفهم يعزلهما ويعتبرهما حقيقيين وصالحين ؛ بالمقابل العقل يتعرّف على أحدهما في الآخَر ، يعترف بأنّ في أحدهما آخَرَه مَحْوِيٌّ (NB : « آخَره ») ، — وهكذا فإن الكل ، المطلق ، يجب أن يحدَّد على انه هو الصيرورة » (٣٥٠) .

« أرسطو يقول مثلاً (في كتابه « **العالم** » ، الفصل ٥) ان هيراكليت كان ، بوجه الاجمال ، « قد ربط الكل واللا–كلّ » (الجزء) ... « ما يسير معاً وما يتعارض، التوافق والتنافر ؛ ومن الكل » (من المعارِض) « نشكّل الوحدة ومن الوحدة نشكّل الكل . » (٣٥١) .

أفلاطون في كتاب **الوليمة** يذكر تصورات هيراكليت (فيما يتصل بالموسيقى بين جملة أمور : الاتساق مصنوع من أضداد) وعبارة : « إن فن الموسيقيّ يصنع الوحدة مما هو مختلف [مفترِق] » .

هيغل يقول : هذا ليس اعتراضاً ضد هيراكليت ، لأن الفرق هو جوهر التناسق :

« هذا التناسق هو تحديداً الصيرورة والتغيّر المطلقان — لا الصير آخَرَ،

الآن أحدهما وثم الآخر. الأمر الجوهري هو أن كل متميّز، كل خاص [جزئي] متميّز عن آخَر – لا تجريدياً عن أي آخَر كان، بل عن آخَرِه هو ؛ كائنٌ فقط بالقَدَر الذي فيه آخرُه في ذاته مَحْوِيٌّ في مفهومه ... » (٣٥٢) .

هـ . ل : هذا بالغ الصواب والأهمية : « الآخر » بوصفه آخرَه هو ، التطور في ضدِه هو .

« كذلك مع الأصوات ، يجب أن تكون مختلفة ، ولكن بطريقة تمكّن أيضاً من توحّدها » ...

ص ٣٥٣ : بين آخرين ، سكستوس امبريكوس (وأرسطو) معدودان من ... « أفضل الشهود » ...

كان هيراكليت يقول : « الزمان هو أوّل جوهر جسْميّ » (سكستوس امبريكوس) ، – جسْميّ عبارة « غير حذقة » (ربما NB اختارها أحد الريبيين NB) ، – ولكن الزمان هو « أول جوهر حسّي » ...

... « الزمان هو الصيرورة الخالصة ، مقبوضاً عليها مباشرةً » ... (٣٥٤) .

بصدد واقع ان هيراكليت كان يعتبر النار سيرورةً ، يقول هيغل : « النار هي الزمان الفيزيائى ؛ هي غياب الراحة المطلق » (٣٥٦) ، ويقول بعد قليل حول فلسفة الطبيعة لهيراكليت :

« إنها (الطبيعة) سيرورةٌ بنفسها »... (٣٦٠) . « الطبيعة هي ما ليس أبداً في حالة سكون وكل شيء هو مضي من الواحد الى الآخر ، من الانشطار الثنائي الى الوحدة ومن الوحدة الى الانشطار الثنائي » (٣٥٧) .

« فهم الطبيعة هو : تمثيلها كسيرورة » (٣٥٥) .

هنا ضيق العلماء .

... « إذا أصغينا اليهم (الى العلماء) فانهم لا يُلاحظون ولا يقولون

إلا ما يرون ؛ ولكن هذا ليس صحيحاً إذْ هم بصورة لا واعيـــة يحوّلون مباشرة ما يرون بواسطة المفهوم. والنقاش ليس موضعه التناقض بين الملاحظة والمفهوم المطلق ، بل التناقض بـــين المفهوم المحدود ، المثبَّت – المجمَّد ، والمفهوم المطلق . انهم (العلمـــاء) يبرهنون التحوّلات كغير كائنة » ... (٣٦٠) . هـ . ل : NB ، NB .

... « المـــاء إذْ يُفَكّ الى سيرورته يكشف الهيدروجين والاوكسيجين : هذان لم ينبثقا؛ كانا موجودين سابقاً كهيدروجين واوكسيجين ، كأجزاء منها يتألف الماء » (هكذا يهزأ هيغل من العلماء) ... « هكذا الأمر في أي تعبير للإدراك والتجربة ؛ ما ان يتكلم المرء حتى يكون في كلامه مفهومٌ ، – من المستحيل تجنبه أو استبعاده – ، مخلوق مجدداً في الوعي ... (هـــذا التعبير ، الكلام) يحوي دائمـــاً أثراً من كلية ومن حقيقة » (٣٦٢) .

صحيح جداً وهام جداً . هذا بالضبط مـا كان انجلز يردده بشكل أكثر شعبية حين كان يقول ان العلماء يجب أن يعلموا ان نتائج علم الطبيعة هي المفاهيم ولكن فن العمـــل بالمفاهيم ليس فطرياً : انه نتـــاج تطور العلوم الطبيعية والفلسفة خلال ألفين من السنين .

فكرة العلماء عن التحول ضيقة وهم لا يفهمون الديالكتيك .

... « هيراكليت ... هو أوَّل من عبَّر عن طبيعة اللانهاية وأول من فهم الطبيعة بوصفها لا محدودة في ذاتها أي انه فهم جوهرها كسيرورة»...(٣٦٢).

عن مفهوم الضرورة – انظر ص ٣٦٣ ؛ هيراكليت ما كان ، كما يبدو ، يستطيع أن يرى الحقيقة في « اليقين الحسّي » – بل كان يراها في «الضرورة»

(ضرورة ، قدَر) — « لوجوس »* .

NB « وساطة مطلقة » (« رابطة مطلقة ») .

« المعقول ، الحق ، الذي أعرف ، هو لا ريب نتـــاج انسحاب خارج الموضوعي ، من حيث هو محسوس ، مفرد ، محدّد ، موجود . ولكن ما العقلُ يعرفه في ذاته هو أيضـاً الضرورة أو كلية الكينونة ، هو جوهر الفكر كما هو أيضاً جوهر العـــالم . » (٣٦٨) . هـ . ل : NB الضرورة = « ضرورة الكينونة » (الكلية في الكينونة) (الرابطـــة ، « الوساطة المطلقة ») .

فلسفة لوسيب

٣٨٤ : « إن الانبساط التاريخي للفلسفة يجب أن يتوافق مع انبساط المنطق . ولكن في هذا الأخير ثمة بالضرورة لحظـات لا ترِد في الانبساط التاريخي للفلسفة » . هـ . ل : الانبساط التاريخي للفلسفـــة « يجب أن يتوافق » (؟؟) مع انبساط المنطق .

ثمة هنـــا فكرة عميقة جداً وصحيحة ، ومادية أساساً (التاريخ الواقعي هو القاعدة ، الأساس ، الكينونة **التي منها** الوعيُ مشتقّ) .

لوسيب** يقول ان الذرات غير قابلة لأن تُرى « بسبب صغر جسمها ».

---

* وردت كلمتا ضرورة ولوجوس باليونانية . الاولى تترجم بضرورة وقدر ، وسنعتمد قدَر ؛ باليونانية eimarmene .

يقول هيغل في المقطع الذي أشار اليه لينين : « هذه الكلية . هذه الوحدة في التناقض — هو وليس هما شيء واحد — كان هيراكليت يدعوها : **قدر ـ مصير** (؟) ، ضرورة ».

** انظر نهاية « فلسفة زينون » ، الهامش .

في نهاية هذا المقطع القصير ، هيغل يبرّىء لوسيب من « التجربية » أي من **المادية** .

هيغل يردّ : هـــذا « تهرّب » ، لا يمكن أن نرى الـ « واحد » ، « مبدأ الوحدة » هو فكريّ تماماً » ، لوسيب ليس « تجريبياً » بل هو مثالي .

« ؟؟ تأويل قسْري من المثالي هيغل . بالبداهة، تأويل.»

[إن هيغل ، إذ يقوم بتأويل لوسيب حسب منطقـــه ، يُسهب حول أهمية و « عظمة » مبدأ الكينونة للذات الذي يجده عند لوسيب . وهذا يُشتمُّ منه جزئياً التأويل] *

ولكن ثمة حبَّة منحقيقة : فرق دقيق nuance («لحظة») الفصل ؛ القطْع في التدرجيّة ؛ لحظة إمحاء التناقضاب ؛ انقطاع المتصل ، – الذرة ، الواحد انظر ص ٣٨٧ : – « الواحـــد والمتّصل ضدّان » ...

لا يمكن **تطبيق** منطق هيغل كما هو ، ولا **اعتباره** كمعطى . **يجب أن نستخرج منـه** الوجوه المنطقيـة (المعرفيـــة الغنوزيولوجية) ، بعد تخليصها من **صوفية الفِكَر** : هذا ما يزال عملاً كبيراً .

« هكذا إن المذهب الذري يعارض في الحاصل فكرة خلق وحفظ العالم من قِبل كائن غريب عن العالم . إن علم الطبيعة يُحسّ نفسَه للمرة الاولى في المذهب الذري ، محرَّراً من ضرورة الإشارة الى علة أخيرة للعالم . إذْ حين نتصوّر الطبيعة مخلوقةً ومحفوظةً من قبل كائن آخر (غير الطبيعة) ، فإننا نتمثّلها غير موجودة في ذاتها ، لها مفهومها خارج ذاتها ؛ أي لها علّة أخيرة غريبة عنها ؛ ومن حيث هي كذلك ليس لهـــا أساس وهي غير قابلة للفهم إلاّ انطلاقاً من إرادة آخَـر: من حيث هي كذلك انها عارضة، بلا ضرورة، بلا المفهوم في داخلهـا . بالعكس في المذهب الذري نجد فكرة في – ذات

* هذه السطور الثلاثة شطب عليها لينين في مخطوطته .

الطبيعة بوجه عـــام ، – أي ان الفكر موجود بذاته في الطبيعة » ... (٣٨٨ – ٣٨٩) . هـ . ل : المـادية (الكلمة تخيف هيغل الذي يصرخ : الى الوراء !) **نسبةً الى** الذرية .

وإذْ يعرض هيغل ذرية لوسيب حسب ديوجين – لايرس ، الجزء ٩ ، الفقرات ٣١ – ٣٣ ، « زوابـع الذرات ، فإنه لا يرى فيهـا أي شيء مفيد أو مثير للاهتمام (« أية فائدة »...«تمثيل فارغ» ، « أفكار غامضة ومختلطة» – ص ٣٩٣ – ٣٩٤ . NB .)

فلسفة ديموقريط

هيغل يتصرّف ازاء ديموقريط ، بدءاً منه* ، تصرّف خالة–زوجة أب . في المجموع ص٣٩٤–٣٩٥ ! المثالي لا يتحمّل روح المادية !! ينقل كلمات ديموقريط:

« حسب الرأي l'opinion** الساخن موجود، حسب الرأي البارد موجود ؛ حسب الرأي ، اللون ، الحلو ، المرّ، موجودة ؛ حسب الحقيقـــة la vérité لا يوجد إلا الذرات والفراغ » (سكستوس امبريكوس، في كتابه «**ضد الرياحيين**» *** VII ، فقرة ١٣٥) . ويستنتج :

---

* déjà . عداء هيغل أو ضيق صدره يزداد بالنسبة للماديين اللاحقين ، للمادية الحديثة . أنصف هيراكليت (الديالكتيك) ، ونوعاً ما لوسيب أيضاً ... هيغل المثالي يعارض **المبدأ** المادي (يعارض هذه **البساطة**) ، لا يرى له قيمة . يجمع « مادية » و « تجربية » كشيء واحد . اذن كلامه ثمين جداً ضد التجربية .

** كلمة **يونانية** (الرأي العـــام ، الرأي الشائع) ، كذلك (بعد سطرين) كلمة « الحقيقة » .

*** المؤرخ العظـــيم الجامع سكتوس (ق ٢ – ٣ م .) كان ريبياً . عنوان كتابه « ضد الرياضيين » أو « ضد الدوغمائيين [العقيديين] والنظريين » ؛ وهذا ذو دلالة تبدأ من كلمة لوجوس (العقل حساب ، « رياضة » ...) .

... « هكذا نرى ان ديمقريط قد عبّر بوضوح أكبر عن فرق لحظتيْ الـ في – الذات والكينونة – لِآخَر » .

من هنا « يُفتح الباب » لِـ « المثالية السيئة » : إحساسي ، لي ، mien » ...

هـ . ل : « المثالية السيئة » (إحساسي أنا) انظر ماخ * .

... « يقيمون تنوعاً حسياً ، لا مفهومياً ، للاحساس ، ليس فيه علة [عقل raison] وليس لهذه المثالية شأن معه . »

هـ . ل : هيغل **ضد** ماخ . (م ٦) .

فلسفة آناكساغور

آناكساغور** . نُوس nouss – الـ نوس « سبب الكون وكل نظام . هيغل يشرح :

... « الفكر الموضوعي ... العقل في الكون وأيضاً في الطبيعة ، أو ، كما نحن نقول ، إن الأجناس في الطبيعة هي الكلي . الكلب حيوان ، هذا جنسه ، هذه ماهيته ؛ هو هذا . هذا القانون ، هذا الفهم ، هذا العقل ،

---

* « المثالية السيئة » هي المثالية الذاتية : بركلي، هيوم، كنط، ... ماخ ، آفيناريوس، تجريبيات ووضعيات القرن العشرين . هيغل يعارضها ، يفندها ، يعلن براءته منها . مذهب هيغل = « المثالية الموضوعية أو المطلقة » . وهيغل كشف بحق الصلة بين المادية التجريبية– الميتافيزية غير الجدلية والمثالية الذاتية ...

** آناكساغور (ق ه) . كان الزعيم بيريكليس والشاعر اوريبيد وربما سقراط من تلامذته . عنده المادة مؤلفة من عدد لا نهاية له من جزيئات تؤلف في تراكبها الأجسام ؛ ولكن هناك نوس nouss (باليونانية) وهو عقل أو فهم أو ذكاء منظّم . هذا المبدأ له صفتا المعرفة والحركة ، انه مبدأ روحي ينظم ويضبط . ولكن آناكساغور رغم هذا النزوح المثالي يكاد لا يعطي مجالاً لما يدعى « الأسباب الغائية » ...

ملازمة بذاتهـــا للطبيعة ، هي جوهر الطبيعة ؛ الطبيعة ليست مكيَّفة [مقَوْلَبة] من الخارج، كما البشرُ يصنعون كرسياً » (٣٩٧-٣٩٨) . **هـ . ل:** مفهوم الجنس [«النوع – العام»] هو «جوهر الطبيعة» ، هو **القانون** ...

« نوس شيء واحد والنفس » (أرسطو بصدد آناكساغور) – ص ٤١٠ .

هكذا تُفسَّر هـــذه القفزة من الكلّي في الطبيعة الى **النفْس** ؛ من الموضوع الى الذات ؛ من المـــادية الى المثالية .
هنا هذان الطرفان يتلاقيان ويتحوّلان ! *) (م ٧)

بخصوص homéonères ** آناكساغور(٤١٥) (جزَيْئات من نفس طبيعة الأجسام التامة) يقول هيغل :

« يجب أن نفهم التحوّل في معنى مزدوج ، حسب الوجود وحسب المفهوم ... » . نقول مثلاً : اذا حذفنا الماء ، تبقى الأحجار ؛ وكذلك إذا حذفنا اللون الأزرق ، يبقى اللون الأحمر الخ [**هـ . ل** : تحوّل] .

[**هـ . ل** : دلالته معناه] « ولكن هذا ليس إلا حسب الوجود ؛ أما حسب المفهوم فإنها غير موجودين إلا الواحد بالآخر ؛ هـــذه هي الضرورة الداخلية » . تماماً كما في جسدٍ حيّ لا يمكن أن ننزع القلب بدون أن تهلك الرئتان ، الخ . « على النحو ذاته ، الطبيعة ليست موجودة إلا في الوحدة ، تماماً كما ان الدماغ ليس موجوداً إلا في الوحدة مع الأعضاء الاخرى»(٤٢٠).

---

* وردت هذه الجملة بالفرنسية في نص لينين . وهي قول مأثور ، حكمة شعبية جدلية ، وردت في نصوص مختلفة لماركس وانجلس ولينين .

** هذه الكلمة أدخلها أرسطو لتمييز عناصر آناكساغور عن ذرات ديموقريط . عناصر آناكساغور متخالفة في الكيف ، مجانسة للأجسام التي تؤلفها ، بخلاف ذرات ديموقريط ، هذا هو الشائع أو المعلوم (والشرح ورد في الطبعة الفرنسية) ... « عملياً » قد لا تكون الأمور (أمور الفرق بين الفيلسوفين) بهذا الوضوح والحدّة والصفاء .

بيد أن البعض يتصوّرون التحوّل على انه وجود جُزَيئات معيَّنة كيفاً وزيادتها أو نقصانها (صهر وفكّ) . هناك تصوّر آخر (هيراكليت) : تحوّل أحدهما في الآخر ، تحوّل هـــذا في ذاك .

إن الوجود والمفهوم همـــا على الأرجح مميَّزان عند هيغل ، مفروقان فرقَ الواقعةِ (الوجود) مأخوذةً لحالهـا ، منزوعة من الترابط – التواصل ، والترابطِ – التواصلِ (المفهـــوم) ، العلاقةِ المتبادلة ، التسلسلِ ، القانونِ ، الضرورة .

... « المفهوم هو ما الأشياءُ هي في ذاتها ولذاتها » ...

وإذْ يقول هيغل ان العشب غاية الحيوان والحيوان غـاية الانسان الخ ، فإنه يخلص إلى أن :

« هذه دائرة ، مكتملة في ذاتهـــا ، ولكن اكتمالها هو أيضاً المضي الى دائرة أخرى ؛ – زوبعة ، مرْكزُها الذي اليه تعود مباشرةً على أطراف دائرة أعلى تُغرِقها » ... (٤٣٠) .

حتى الآن لم يأت الأقدمون الاّ بشيء قليل : « الكلي هو تحديد فقير ، كلّ واحد يعرف الكلي ، ولكن لا يعرفه كجوهر » (٤٣٢) ... هـ . ل : NB « الكلي » من حيث هو « جوهر » .

« ولكن هنا يبدأ إنمـــاء أكثر تحدُّداً لعلاقة الوعي والكينونة ، بسط لطبيعة المعرفة من حيث هي معرفة الحق » . « الروح وصلت الى التعبير عن الجوهر بوصفه فكراً » (٤٣٣–٤٣٤) . هـ . ل : «انبساط طبيعة المعرفة ».

« هذا البسط الكلي حيث الجوهر يمضي بتمامه الى جهة الوعي ، نجده في فلسفة السوفسطائيين التي كثيراً ما كانت موضع تحقير » (٤٣٤)

« نهاية المجلد الأول »

« المجلد الثاني يبدأ بالسوفسطائيين » .

فلسفة السوفسطائيين

بصدد السوفسطائيين * ، يجول هيغل طولاً وعرضاً مع فكرة اننا نجد في السوفسطائية عنصراً مشتركاً لكل ثقافة Bildung بوجه عام ، بما فيها حضارتنا : ألا وهو إبراز وتأسيس حجج (حجج مع وحجج ضد) ، – « المحاكمة التي تعود على نفسها » ؛ – فن إيجاد **في كل الأمور** وجهات نظر مختلفة ؛ « ذاتوية – غياب الموضوعية » . وإذ يتحدث هيغل عن بروتاغوراس وأُطروحته الشهيرة (الانسان هو قياس أو مقياس كل الأشياء) ، فإنه يقرنه مع كنط :

« الانسان قياس كل الأشياء – الانسان هو اذن الذات بوجه عام ، ما هو كائن ليس اذن موجوداً بشكل منعزل ، ولكن هذا بالنسبة لعلْمي عنه ؛ فيما يتصل بالموضوع ، إن الوعي هو جوهرياً منتِج للمحتوى . إن فاعلية الفكر الذاتي هي جوهرياً هذا. وهذا ما يذهب حتى الفلسفة الحديثة. كنط يقول اننا لا نعرف سوى ظاهرات ؛ أي ان ما يظهر لنا كموضوعي ، كواقع ، يجب أن لا يُعتَبَر الا في علاقاته مع الوعي ولا وجود له بدون هذه العلاقات » ... (٣١) . هـ . ل : بروتاغوراس وكنط .

---

* السوفسطائيون ، من « سوفيا » : حكمة (ومن هذه الكلمة أيضاً كلمة فيلوسوفيا ، الفلسفة ، حب الحكمه) . كانوا أساتذة حكمة وبلاغة . يقال عادة انهم حوّلوا الفلسفة من الكون والكينونة والطبيعة الى الانسان . أولهم بروتاغوراس (ق ه ق م) وهم موزعون بين المادية والمثالية . ماديتهم ذات طابع إحساسيّ ...

فيما بعد أخذ المصطلح معنى تحقيرياً يجد تعبيره في كلمة سَفْسطة . هكذا الأمر في العربية واللغات الاوروبية على حد سواء ، وهذا التطوّر قائم في طبيعة السوفسطائية أصلاً .

« اللحظة » الثانية هي الموضوعوية (الكلي) « وهي موضوعة من قِبَلي ولكنها أيضاً كليةٌ موضوعياً في ذاتهـــا ، بدون أن تكون موضوعَةً من قِبَلي » ...

هذه « النسبية » (٣٢) . « كل شيء ليس له سوى حقيقـة نسبية » حسب بروتاغوراس . هـ . ل : نسْبَوِية سوفسطائي .

... « إن ظاهرة كنط ليست شيئاً آخر سوى وجود دافع من الخارج ، وجود س ، مجهول ، لا ينال هذه التعيينات إلا من قِبَل حساسيّتنا ، من قِبَلنا . حتى إذا كان ثمة علةٌ موضوعية تجعلنا نقول هذا بارد هذا ساخن . يمكن لا شكّ أن نقول انه يجب أن يكون لها في ذاتهـــا الفرق ؛ ولكن الساخن والبارد ليسا كائنين مع ذلك الاّ في إحساسنا ، تمامـــاً كما توجد أشياء ، الخ ... هكذا دُعيت التجربة ظاهرة » (٣٤) . هـ . ل : كنط والسوفسطائيون والمذهب الظاهر الوجي على طريقة ماخ . NB .

« إن العالم هو ظاهرةٌ ليس فقط في أنه موجود للوعي ، أي ان وجوده ليس إلا نسبياً للوعي ؛ بل هو أيضاً ظاهرة في ذاته . » (٣٥) . هـ . ل : ليس فقط النسبوية [مذهب النسبية] .

... « هذه الريبية بلغت عمقاً أكبر بكثير عند غورجياس » ... (٣٥) هـ . ل : الريبية .

... « **ديالكتيكُه** » ... ديالكتيك غورجياس ، ديالكتيك السوفسطائي (عدة مرات ص ٣٦ و ص ٣٧) . هـ . ل : NB .

تيدمان* قال ان غورجياس ذهب أبعدَ من «الحسّ السليم» «bon sens». وهيغل يضحك: كل فلسفة تذهب **أبعدَ** من «الحسّ السليم»، لأن الحسّ السليم

---

* Tiedemann فيلسوف الماني ، عاش قبيل هيغل ، كافح آراء كنط ...

ليس الفلسفة . قبل كوبرنيك، القول بأن الأرض تدور كان كلاماً **ضد** الحسّ السليم . **هـ . ل** : هيغل بصدد « الحسّ السليم » .

« هذا الحسّ السليم هو طريقة تفكير عصر وتحوي كل أحكامه المسبقة » (٣٦) . **هـ . ل** : الحسّ السليم = أحكام مسبَقة لعصر [أباطيله] .

غورجياس : ١) لا شيء موجود .

لا يوجد شيء .

٢) حتى إذا كان يوجد شيء ما ، فانه لا يمكن معرفته .

٣) حتى إذا كان معرفته ممكنة ، فإن نقل هـذه المعرفة مستحيل .

... « غورجياس يعي الاشياء كلحظات تختفي (كينونتها ولا كينونتها، حذفها المتبادل) ؛ التمثيل اللاواعي يجوز ايضاً هذه الحقيقة ولكن ليس له معرفتها » ... (٤٠) .

« لحظات تختفي » = كينونة ولا كينونة ، هو وليس . هذا تعريف كامل للديالكتيك !! .

... « غورجياس آ » يقيم مجادلة حميمة ضد الواقعية المطلقة التي تعتقد انها تملك في التمثيل الشيءَ نفسه ، ولكنها لا تملك إلا النسبي ؛ (ب) يسقط في المثالية السيئة للأزمنة الحديثة : « ما هو مفكرٌ هو دائماً ذاتيٌ ، اذن ليس الكائن؛ بالفكر نحوّل ما هوكائن إلى ما هو مفكرٌ »... (٤١) . **هـ.ل:** غورجياس و « الواقعية المطلقة » (وكنط .

وبعد قليل ص ٤١ **كنط** مذكور مرة اخرى) .

إضافة عن غورجياس : إنه يضع كل المسائل الجوهرية تحت شكل خيار ثنائي «إمّـا وإمّـا » . «ولكن هذا ليس ديالكتيكاً حقيقيـــاً ؛ يكون من الضروري البرهان على أن الموضوع كائن

بالضرورة في تعيينٍ ما ، إنه ليس كائناً في ذاته ولذاته . الموضوع لا ينفكّ إلا في هذه التعيينات ؛ ولكن هذا لا يستتبع أي شيء ضد طبيعة الموضوع نفسه » (٣٩) . **ه . ل** : الدياكلتيك في **الموضوع** نفسه .

ايضاً اضافة عن غورجياس :

في عرض وجهة نظره القائلة انه لا يمكن نقل ما هو كائن ، إيصاله إلى شخص آخر :

« الخطاب [الكلام] الذي به يججب ان نعبّر عما هو كائن ليس ما هو كائن ، — ما يُنقل ليس ما هو موجود ، انه فقط الخطاب . » (سكستوس امبيريكوس ، كتاب « **ضد العقيديين** » ، VII ، فترة ٨٣ — ٨٤) ، ص٤١.

NB . — هيغل يكتب : « الموجود ليس ايضاً متصوَّراً [مفهوماً] كموجود ، إنما تصوّره [مفهمته] هو تحويله الى كليّ » (ص ٤٢) . **ه . ل** : انظر فويرباخ .

... « لا يمكن مطلقاً القول : **هذا** المفرَد ... » .

كل كلمة (خطاب) **تعمّم** déjà * الحواسّ تبيّن الواقع ؛ انظر فويرباخ **. الفكر والكلمة يبينان العام.

---

* أي : كل كلمة هي تعميم بمجرّد كونها كلمة ، هي سلفاً تعميم . (بدءاً من هنا : « **الفكر** » ، و ، الفكرية (المثالية) المعرفة وتصويفها ، المادية والمثالية والتجربية والعقلانية والعقيدية والسوفسطائية والريبية والنسبوية الخ ، والميتافيزية والجدلية) .

** يقول فويرباخ في « **مبادىء فلسفة المستقبل** » : « في بداية الفينومينولوجيا [الظاهر اتولوجيا] ليس لنا أمامنا سوى التناقض بين **الكلمة** التي هي دوماً عامة و **الشيء** الذي هو دوماً مفرَد » .

خاتمة الفقرة عن السوفسطائيين : « بالتالى ، إن السوفسطائيين كانوا هم ايضاً يجعلون من الديالكتيك ، من الفلسفة العامة ، موضوع دراستهم ؛ كانوا مفكّرين عميقين » ... (٤٢) .

فلسفة سقراط

سقراط – « شخصية تاريخية » الاكثر « إثارة للاهتمام » في الفلسفة القديمة – « ذاتية الفكر » (« حرية وعي الذات ») ص ٤٢ .

«في هذا يكمن التباس او ازدواجية الديالكتيك والسوفسطيك؛ الموضوعية تختفي » ؛ الذاتي هل هو عرَضي أم أنه « في نفسه » الموضوعي والكلي ؟ (٤٣) م ٨ .

«ان الفكر الحق يفكِرّ على نحو يكون معه محتواه في آن غير ذاتي بل ايضا موضوعيا» – وعند سقراط وافلاطون نجد ليس فقط الذاتية («فاعادة القرار الى الوعي واقعٌ مشترك لسقراط والسوفسطائيين ») بل ايضا الموضوعية .

« الموضوعية لها هنا (عند سقراط) معنى الكلية في وللذات، لاالموضوعية الخارجية » (٤٥) – كذلك ص ٤٦ : « لا الموضوعية الخارجية بل الكلية الروحية » ... هـ. ل : NB .

وبعد سطرين:« المثل الاعلى الكنطي هو الظاهرة التي ليست موضوعية في ذاتها ... هـ. ل : كنط .

سقراط كان يدعو طريقته فن القابلة ص ٦٤ ، فن والدته (ام سقراط كانت قابلة *) – المساعدة على ولادة الفكر . هـ. ل : حاذق !

---

* sage - femme قابلة قانونية ، حرفيا : امرأة – حكيمة .

مثال من هيغل : كل الناس يعلمون ما هي الصيرورة ، ولكننا نستغرب اذا ، في تحليلنا لها (في عكسنا اي تفكيرنا لها) ، وجدنا انهـــا « هي الكينونة وفي نفس الوقت اللاكينونة » – « فرقٌ بهذه الضخامة » (٦٧). هـ. ل (بالالمانية) Nichtsein und Sein = Werden يَصير = ليس وهو، لا كائن وكائن .

كان مِنون (« **منو** » Meno **افلاطون**) يشبّه سقراط بسمكة طروبيد تُخَدِّر من يقترب منها (٦٩) : وأنا « وقد اجتاحني التخدير « **لا أستطيع** حتى الإجابة *.

... « ما بالنسبة لي يجب ان يكون الحقيقة ، العدالة، هو روحُ روحي. ولكنْ ما على هذا النحو يخلقه الروحُ بنفسه ، ما له في نظره هذه القيمة ، يجب أن يأتي منـــه كما من الكلي ، كما من الروح العامل بصفته كلياً ؛ لا من أهوائه ، مصالحه ، نزاوته ، خيالاته ، أهدافه ، اتجاهاته الخ . أجل هذا كله هو ايضاً شيء داخلي « وضعته الطبيعة فينا » ، ولكنه ليس ملكَنا الخاص إلا بكيفية طبيعية ...» (٧٤ – ٧٥) . هـ . ل : très bien dit ، مُقال بشكل جيد جداً !! .

المثاليـــة الذكية [الفاهمة] أقرب الى المادية الذكية من المادية الحمقاء .

مثالية ديالكتية بدلاً من ذكية ؛ ميتافيزية ، غير مبسوطة ، ميتة ، غليظة ، جامدة ، بدلاً من حمقاء .

بروتاغوراس : « الانسان مقياس كل الاشياء » . سقراط : « الانسان

---

* هذه كلمات منون ... عناوين مؤلفات (محاورات) أفلاطون : دفاع عن سقراط ، بروتاغوراس ، غورجياس ، منون ، فيدون ، بارمنيد ، السوفسطائي ، كراتيل ، الوليمة، الجمهورية ، القوانين الخ الخ .

ككائن مفكّر مقياس كل الاشياء » . هـ. ل : ! muance ، فرق دقيق ! *

كزينوفون xénophon ** ، في كتابه « **المأثورات** » ، « أعطانا عن سقراط لوحة اكثر وضوحاً وأمانة » من افلاطون (٨١) .

السقراطيون

حول سفسطات الـ « كَوْمة » والـ « أصلع » ، يعود هيغل الى الانتقال من الكم الى الكيف وبالعكس : ديالكتيك (ص ١٣٩ – ١٤٠) .***

لماذا لا نستطيع ان نسمّي المفرد ؟ كل موضوع [شيء] من نوع معطى (مثلا من نوع الطاولة) يفترق عن أقرانه بذلك ذاته . م ٩ .

١٤٣–١٤٤ : يلحّ هيغل على حقيقة ان « اللغة لا تعبّر جوهرياً الا عن الكلّي ؛ ولكن ما نفكّره هو مفرد ، خاص [جزئي] . لذا لا يمكن التعبير في الكلام عما نفكّر». هـ . ل NB في اللغة لا يوجد سوى الكلي . (م ١٠) .

---

* علماً بأن بروتاغوراس هو المادي وسقراط مثالي ، رجعي ، يميني ، مكافح ضد المادية والإلحاد والديمقراطية (حسب القاموس الفلسفي الصغير ، السوفياتي . وهذا صحيح) . لينين يرى وجهاً آخر في الامور ، يجرّد « وجه » الديالكتيك . النظرية المادية للمعرفة ، المنطق . خلفاؤه والشراح جرّدوا « المسألة الأولى ، العليا ، في كل فلسفة » وقتلوها : لم يفهموها ، ضيّعوا الجذر ، ولم يبالوا باللقاء بين الطرفين وتحوّلهما .

** كزينوفون مؤرخ ، فيلسوف ، جنرال ، وكاتب ممتاز . تلميذ سقراط ومعاصر لأفلاطون .

*** سفسطات ديالكتية وشعبية قديمة : الرأس تتساقط منه ألوف الشعرات دون أن يقال « أصلع » ، ثم عند نقطة معيّنة (سقوط شعرة إضافية ؟) يتحوّل الى أصلع أو يقال « أصلع » . كذلك الكَوْم الذي ينقّص منه : متى يكف عن كونه كوماً ؟

« هذا الأمر؟ Ceci ? » : الكلمة الأعمّ) . (م ١١) .

من هو؟هو أنا. كل البشر هم أنا Das Sinnliche الحسّي) بوجه عام ؟ ولكنه عام ، الخ الخ celui - là « ذلك الرجل » ولكن كل رجل هو celui - la * .

NB . للدراسة :

عن الفلسفة (الديالكتيك) ، بليخانوف كتب على الأرجح حتى ألف صفحة (بلتوف + ضد بوغدانوف + ضد الكنطيين + « المسائل الأساسية » الخ الخ**) في هذه الصفحات الألف mil ! **لا شيء عن** المنطق الكبير ، عن معنـــاه (أي في الأساس عن الديالكتيك كعلم فلسفي) .

« بشكل عام ، إن واقع ان الفلسفـــة تُقيِّم الكلي ، بحيث ان الكلي وحده قابل لأن يعبَّر عنه ، وان الـ « هذا » ، هذا الأمر الذي نفكّر فيه، غير قابل مطلقاً للتعبير عنه ، — هذا وعيٌ وفكرٌ لم تصل اليهما بعدُ الثقافةُ الفلسفية لزماننا مطلقاً » (١٤٣) .

---

* بالطبع ، ثمة فروق بين لغة وأخرى ، في « ضمائر الاشارة » (وسواها) . ولكن هذه الفروق لا قيمة لها على الاطلاق بالمقارنة مع الهوية المشتركة ، مع القضية الأساسية الجذرية التي يطرقها هيغل ولينين .

أطروحة واحدة ، « لازمة » ، نغَم يتردّد ويتردّد .

و هنا لينين يسدّد طعنة لبليخانوف . (و **نفس** الطعنة في « حول الديالكتيك ») . فلنتابع !

** المؤلفات الفلسفية البليخانوفية التي قصدها لينين هي: ١) بلتوف (اسم مستعار) : حول تطور التصور الواحدي للتاريخ ١٨٩٥ ٢) مقالات ضد بوغدانوف جمعت في ١٩١٠ ٣) مقالات ضد برنشتاين ، ك . شميدت ، الخ . ٤) المسائل الأساسية للماركسية .

ولنذكر ان بليخانوف يلحق الماركسية بسبينوزا ... وليس هنا مكان تعداد (جَرْد) أخطاء وعيوب هذا الماركسي غير الصغير ، أو كشف آلية هذا الانحراف لماركسي كبير .

بين هؤلاء ، هيغل يضع ايضـــاً « ريبية الأزمنة الحديثة » (**كنط ؟**) وريبية الذين يقولون ان « اليقين الحسّي متمتّع بصفة الحقيقة » .

اذْ das Sinnliche (الحسّي) « هو الكلّي » .

N B **بهذا يصيب هيغل كل مادية باستثناء**

N B **المادية الديالكتية .**

نسمّي ؟ – ولكن الاسم عرضي ولا يعتبر عن **أساس الشيء**، عن **جوهره او قوامه ذاته .** (كيف نعبّر عن المفرد) . (١٤٤) .

هيغل والمادية الجدلية :

كان هيغل «يؤمن، يفكّر جدياً أن المادية كفلسفة مستحيلة ، لأن الفلسفة علمُ الفكر ، علم الكلي ، والكلي هو الفكر. كان في هذا الموقف يكرّر خطيئة تلك المثالية الذاتية التي دعاها دومـاً المثالية (السيئة) . ان المثالية الموضوعية (وبالأحرى المثـــالية المطلقة) اقتربت تعرّجيا (وبخضّات) من المادية لدرجة **ملامستها** بل جزئيا **تحولت اليها .**

فلاسفة بَرْقة (Cyrénaïques) كانوا يعتبرون حقيقيـاً الاحساس « لا **ما في** الاحساس، محتوى الاحساس، بل الاحساس نفسه كإحساس» (١٥١). **هـ. ل** : الاحساس في نظرية المعرفة لفلاسفة برقة ...

المبدأ الجوهري لمدرسة برقة هو اذن الاحساس الذي يجب ان يكون محك الحقيقة والخير » (١٥٣) .

« الاحساس هو الفردي غير المحدَّد » ، وإذا أدخلنـا فيه الفكر عندئذٍ ظهر الكلي واختفت « الذاتية المحض» .

(الظاهر الوجيون على طريقة ماخ وشركاه عن مسألة **الكلي** ، « القانون » ، « الضرورة » الخ ، يصيرون حتما مثاليين)

هـ. ل : N B فلاسفة برقة وماخ وشركاه .

انظر اربرفيغ – هاينتس ، فقرة ٣٨ ، ص ١٢٢ ، وايضاً بخصومهم كتاب افلاطون « ثيتيت » . ريبيتّهم وذاتويتهم .

إن برْقياً آخر ، هو هيغسياس ، فد « تعرف » « بالضبط على هـذا اللاتوافق بين الاحساس والكلية » ... (١٥٥) .

يخلطون بين الاحاس كمبدأ لنظرية المعرفة وكمبدأ اخلاقي . هذا: لاحظ جيداً . ولكن هيغل قد حرَّر[أبرز] نظرية المعرفة. (م ١٢) .

فلسفة أفلاطون

حول مخطط افلاطون عن ادارة الدولة على قِبل الفلاسفة :

... « إن أرض التاريخ مختلفة عن أرض الفلسفة » ... (١٩٣) .

... « يجب معرفة ما هو الفعل agir : الفعل هو فاعلية الذات كذات بغية أهداف خاصة . كل هذه الأهداف ليست إلاّ وسائل لتحقّق الفكرة ، لأن **الفكرة** هي السلطة [القوة] المطلقة . » (١٩٣ . **هـ . ل** : الأهداف الخاصة في التاريخ تخلق « الفكرة » (قانون التاريخ) .

حول نظرية الفِكَر [المثُل] لأفلاطون :

... « لأن الحدس الحسّي لا يبين لنا شيئاً بصور طاهرة ، كما هو في ذاته ... » (كتاب « فيدون ») – ص ٢١٥ – لهذا السبب ، الجسد يعيق النفس . **هـ . ل** : « طهْر » (= غياب حياة ؟) المفاهيم العامة .

NB ، **ديالكتيك المعرفة** ، NB :

إن دلالة الكلي متناقضة: انه جامد، غير طاهر، ناقص،الخ، الخ، ولكنه ليس إلا **مرحلة** نحو معرفة **العياني**،إذْ لا يمكن ابداً

أن نعرف العياني بشكل كامل . إن جمعاً **لا نهاية له** من المفاهيم العامة، من القوانين ، الخ ، يعطي **العياني** في جملته . (م ١٣) .

← NB : إن حركة المعرفة **نحو** الموضوع لا يمكن أن تحصل إلاّ جدلياً: (savoir) reculer pour mieux sauter : نتراجع لكي نقفز (هنا لكي نعلم) بشكل أفضل . خطوط تتلاقى وتنفصل : دوائر تتلامس . knotenpunt (النقطة – العقْدة) = ممارسة الانسان والتاريخ الانساني .

« محكُ (ممارسة =) تطابق أحد وجوه الواقع اللامحدودة» هذه **النقاط العقدّية** تمثل وحدة المتناقضات ، حين الكينونة واللاكينونة كلحظتين هما قيد الاختفاء يتوافقان برهةً في لحظات للحركة معطاةٍ (= التقنيات ، التواريخ ، الخ) .

في تحليله لديالكتيك أفلاطون ، يسعى هيغل مرة اخرى إلى تبيان الفرق بين الديالكتيك الذاتي ، السوفسطائي ، والديالكتيك الموضوعي :

« كل شيء واحدٌ ، هذا ما نقوله عن كل شيء : « هذا الشيء واحد ، ومع ذلك نبّين فيه التعدّد أيضاً ، كثيراً من الاجزاء والصفات [الكيفات]»، – ولكننا نقول في نفس الوقت : « هذا الشيء من وجهة نظر مغايرة تماماً لوجهة نظر كونه متعدداً » ؛ لا نجمع الفكرتين . هكذا فالتمثيل والخطاب هما في حركة ذهاب وإياب بين الوجهتين المذكورتين . هذه الحركة الحاصلة بصورة لا واعية هي الديالكتيك الفارغ الذي لا يوّحد الضدين ولا يبلغ الوحدة . » (٢٣٢) . **ه . ل** : « الديالكتيك الفارغ » عند هيغل . . . NB ... « الديالكتيك الفارغ » .

يقول **افلاطون** في « **السوفسطائي** » :

« الأمر الصعب والحقّ هو أنّ ما الآخر هو هو نفسه ، – وأن ما نفسُه هو هو الآخر ، وبالحقيقة من نفس وجهة النظر الواحدة . » (٢٣٣) . NB : **ه . ل**

« ولكن بالضبط يجب أن ندرك أن المفهوم ليس هو فقط المباشَر في الحقيقة ، رغم انه البسيط ، – ولكن بساطته « روحية » ، انـه جوهرياً الفكـْرُ عائداً في نفسه (مباشرةً لا يوجد الا هذا الأحمر الخ .) ؛ من جهة أخرى ليس هو ايضا ما ينعكس في ذاته فقط ، موضوعَ الوعي . انه ايضا في ذاته ، اي انه جوهر موضوعي...» (٢٤٥) . هـ. ل: NB موضوعية .

إن المفهوم ليس شيئاً مـــا مباشراً (رغم ان المفهوم شيء « بسيط »، ولكنَ هذه البساطة « روحية » ، بساطة الفكرة) – المباشر ليس إلا الإحساس بـ «الأحمر» («هذا أحمر»)، الخ.

إن المفهوم ليس « فقط موضوعاً للوعي » ، إنمـا المفهوم هو **جوهر الموضوع** (gegenständliches Wesen *)، هو شيء ما AN sich « في ذاته » [« بذاته »] .

...« هذا الوعيُ لطبيعة المفهوم لم يعبِّر عنه أفلاطون بهذا الوضوح »... « ٢٤٥ » .

هيغل يُثقل ويُسهب عن « فلسفة الطبيعة » لأفـــلاطون ، أشد صوفيات الأفكار حماقة ، من نوع : « المثلثات » هي جوهر الاشياء الحسّية (٢٦٥) وغيرها من خرافات صوفية . إنه لأمر ذو دلالة كبيرة ! الصوفي – المثالي – الروحـــاني هيغل (كل الفلسفة المعاصرة الرسمية ، المثالية والاكليركية) يُمجّد ويمضغ في تاريخ الفلسفة الصوفيةَ والمثالية . ولكنه يتجاهل المـــادية

* من Gegenstand ، المنتصب امامي، مقابلي، ضدي، الموضوع Objet كلمة Objet الفرنسية لها نفس المعنى في تركيبها او اشتقاقها (ob - jectum = موضوع أمام) .

ويعاملها بإهمال. هيغل حول ديموقريط: لا شيء! عن افلاطون : كتلة كبيرة من ثرثرة صوفية . هـ . ل : المثالية والصوفية عند هيغل (وعند افلاطون) .

إذ يتحدث هيغل عن جمهورية افلاطون وعن الرأي الشائع الذي يقول انها خرافة مستحيلة ، فإنه يردد فكرته المفضّلة :

... « ما هو واقعيّ فهو عقليّ . ولكن يجب معرفة تمييز ما هو واقعي فعلاً ؛ في الحياة العادية ، كل شيء هو واقعي ، ولكن ثمة فرق بين عالم الظاهرات والواقع » ... (٢٧٤) . هـ . ل : الواقعي عقليّ .

فلسفة أرسطو

الرأي الشائع الذي يعتبر فلسفة أرسطو « **واقعية** » في مقابل **مثالية** افلاطون رأي خاطىء (٢٩٩) . (وضوحاً ، هنا أيضاً يعطي هيغل عن نقاط كثيرة **تأويلاً مثالياً**) .

كذلك ص ٣١١ « تجربية » empirisme *.

هيغل ، إذْ يفرض مجادلة أرسطو مع تلاميذ افلاطون حول الأفكار [المثل] ، يخفي جوانبها المادية . مثلاً ص ٣٢٦ وغيرها . NB . NB

ترك يفلت منه هذا التصريح : « إن تأليه الاسكندر (اسكندر المكدوني ، تلميذ أرسطو) ... ليس أمراً مدهشاً ... الله والانسان ليسا

---

* بدلاً من « مادية » ، يقول هيغل : « واقعية » ، « تجربية » ...

أرسطو (ق ٤) متردد بين المادية والمثالية ، توفيقيّ في سلسلة من قضايا هذه القضية . عارض بقوة نظرية المثل الأفلاطونية ... وهو مؤسس « المنطق » ، عملاق الفكر اليوناني، رائد الفكر الاوروبي الخ ...

مختلفين عن بعضهما كل هذا الاختلاف » ... (٣٠٥) . **ه . ل** : « يكفي أن نقلب ! » . بالضبط ! .

هيغل يرى مثالية أرسطو في فكرة هذا الاخير عن الله (بالطبع هـــذا مثالية ، ولكنه مثالية اكثر موضوعية ، **اكثر ابتعاداً وأكثر عمومية** من مثالية أفلاطون، ولهذا فهو في فلسفة الطبيعة في أحيان كثيرة مساوٍ للمادية). [**وهامش:**] هيغل لفْلَف تماماً نقد مُثُل أفلاطون عند أرسطو .

إن النقد الذي قام بـــه أرسطو لِـ « مثُل » افلاطون هو نقد **للمثالية كمثالية بوجه عام**: إذ أن أصل المفاهيم، المجردات، هو ذاته أصل « القوانين » و «الضرورة» الخ . لقد جانب المثالي هيغل بشكل جبان حقيقةَ ان أرسطو (في نقده لفِكَر أفلاطون) قد قوّض **أسس** المثالية . NB .

حين يقوم **أحد** المثاليين بنقد أسس مثالية مثالي **آخر** ، فالمادية هي دوماً المستفيدة . مثلاً أرسطو **ضد** أفلاطون ، الخ ، هيغل **ضد** كنط ، الخ .

« لوسيب وأفلاطون يقولان ان الحركة أزلية، ولكنهما لا يقولان لماذا.» (**أرسطو ، الميتافيزياء** ، XII ، ٦ و ٧) ص ٣٢٦ .

بهذه الطريقة المثيرة للشفقة ، يرفع أرسطو الله **ضد** المادي لوسيب والمثالي أفلاطون . عند أرسطو هـــذا انتقائية . ولكن هيغل يستّر ضعفها حباً بالصوفية .

إن نصير الديالكتيك ، هيغل ، لم يستطع أن يفهم الانتقـال **الجدلي من** المادة **الى** الحركة ، **من** المادة **الى** الوعي – الثاني خصوصاً . ماركس يصحّح خطيئة (أو ضعف ؟) الصوفي . NB ديالكتيٌ ليس فقط الانتقال من المادة الى الوعي بل أيضاً الانتقال من الاحساس الى الفكر الخ .

كيف نميز انتقالاً جدليـاً عن انتقال غير جدلي ؟ بالقفزة . بالتناقض . بانقطاع الاتصـــال . بوحدة (هوية) الكينونة واللاكينونة .

المقطع الآتي يبيّن ، على نحو واضح بشكل خاص ، كيف يقنّع هيغل نقاط ضعف مثالية أرسطو :

« أرسطو يفكّر الموضوعات، وبحكم أنها كائنة كمفكّرة فهي في حقيقتها، هذه هي **ماهيّتها** أو **مادتها** *. هذا لا يعني أن موضوعات الطبيعة ، على هذا الاساس ، هي ذاتها مفكّرة . الموضوعات مفكّرة من قِبَلي ذاتياً ؛عندئذ فكري هو أيضاً مفهوم الشيء ومفهوم الشيء هو ماهية الشيء . في الطبيعة ، ليس المفهوم موجوداً كمفكّر بهذه الحرية ، بل هو من لحم ودم ؛ بيد أنّ له نفساً وهذه النفس هي مفهومه [**هـ . ل** : ساذج !!] . أرسطو يتعرّف على ما الاشياءُ هي في ذاتها ولذاتها ؛ وهذا يؤلف ماهيتها . المفهوم ليس لذاته ، ولكنه مُفْسَد بالخارجية . إن التعريف الدارج للحقيقة هو: « الحقيقة هي توافق التمثيل مع الموضوع» . ولكن التمثيل نفسه ليس إلا تمثيلاً، إنني بعْدُ لا أتطابق ابـــداً مع تمثيلي (محتواه) ؛ أتمثّل البيت ، الألواح الخشبية ، ولكن هذا لا يجعلني أنا هذه الاشياء ــ تمثيل البيت وأنا شيئان مختلفان .فقط في الفكرة ثمة توافق حق للموضوعي والذاتي : **هذا أنا** (التشديد من هيغل) . إذن أرسطو يضع نفسه في أعلى وجهة نظر ؛ لا يسع المرء أن يريد معرفةُ شيء اكثر عمقاً . » « ٣٣٢ ــ ٣٣٣) .

في « الطبيعة » ، ليست المفاهيم موجوده « بهذه الحرية » (حرية فكر وخيال **الانسان** !!) « في الطبيعة » ، هذه المفاهيم ذات « لحم ودم » . ــ ممتاز! ولكن هذا بالضبط مادية . مفاهيم الانسان هي نفس âme الطبيعة : هذا مترجماً إلى لغة الصوفية ، واقع أن الطبيعة تنعكس في المفاهيم الانسانية **بشكل أصيل** (NB : **بشكل أصيل وجدلي** !!)

---

* كلمة يونانية ، بمعنى : ماهية ، مادة ...

ص ٣١٨ ـ ٣٣٧ **كلها** عن ميتافيزياء أرسطو وحسْب !! كل مـا يذهب ضد مثالية افلاطون **مطموس** !! خصوصاً مسألة الوجود **خارج** الانسان والانسانية !!! = مسألة المادية ! (م ١٤) .

أرسطو تـَجْـرِبي ولكنْ مفكـّر . « **العنصر التجربي** مأخوذاً في **جمعه التركيبي** هو **المفهوم النظراني** ، » (التشديدات من هيغل) ٣٤١ . **هـ. ل :** انظر **فوير باخ:** أنْ نقرأ في تسلسله [ترابطه] إنجيل الحواس = أنْ نفكر*.

NB : أن تتطابق المفـاهيم مع تركيب synthèse التجربة ، الاحساسات ، الحواس ، هذا أمر **لا جدال فيه** بالنسبة للفلاسفة من **جميـع** الاتجاهات . **من أين ياتي** هذا التطابق ؟ من الله (انا ، الفكرة ، الفكر ، الخ ، الخ) او من الطبيعة ؟ انجـاز محق في طريقة وضعه المسألة ** . NB م ١٥ .

« الشكل الذاتي الذي يؤلف جوهر فلسفة كنط » ... **هـ. ل :** كنط . حول تيليولوجيا [مذهب الغائية] أرسطو :

... « الطبيعة لها وسائلها في ذاتها وهذه الوسائل هي ايضاً غايات . هذه الغاية في الطبيعة هي لوجوس الطبيعة ، العقلي الحق . » (٣٤٩) . **هـ.ل :** الـ « غاية » والسبب ، القانون ، الرابطة ، العقل .

... « الفهم ليس فقط الفكر مـــع الوعي . ثمة فيـه المفهومُ العميق ، الجامع ، الحق ، للطبيعة ، للحياة . » ... (٣٤٨) .

العقل (الفهم) ، الفكر ، الوعي ، **بدون الطبيعة** ، بدون التوافق معها هو الغلط = مادية !

هـــذه الاطروحة الأكثر أساسية وردت في مؤلف فوير باخ : « **نقد مثالية ف . دورغوث** » الفكر هر قرأءة **انجيل الحواس في تسلسله** « استقراء » الواقع **المترابط** ... **آنتي دوهرنغ** ، ج I ، فصل ٣ .

لا يستطيع المرء ان يقرأ بلا قرف الطريقة التي بها يداهن هيغل أرسطو على مفاهيمه النظـرانية (عن « النفْس » وعن أشيـــاء أخرى كثيرة) والطريقة التي بها يقيم معرضاً للخزَعبلات المثالية (= الصوفية) .

كل تذبذبات ارسطو بين المثالية والمادية مطموسة !!!

حول آراء ارسطو عن « النفْس » ، يقول هيغل :

« بالحقيقة ، كل كليّ هو واقعي من حيث هو خاص ، مفرد ، من حيث هو موجود للآخَر » ـ بتعبير آخر ، هو النفْس (٣٧٥) . هـ .ل : كشف نفسه فيما يتصل بالـ « واقعية » .

أرسطو في كتاب « **النفس** » ، II ، ٥ :

« الفرق (بين الاحساس والمعرفة) هو ان مـا ينتج الاحساس موجود في الخارج [هـ. ل : الاحساس والمعرفة] . والسبب ان فـاعلية الاحساس لها كموضوع المفرد ، بينما المعرفة بالعكس لها كموضوع الكلي . وهـذا الأخير هو بقدرٍ ما في النفس ذاتهـــا بوصفه ماهية . وهكذا يستطيع كل أحدٍ ان يفكّر بنفسه اذا شاء ... ولكن الاحساس لا يتوقف عليه ـ لأجل ذلك لا غنى عـن وجود الموضوع الذي يُحَسّ . » (٣٧٧ . هـ ل : ارسطو قريب جداً من المادية .

المسمار [الشيء الأبرز] هو هنا عبارة « موجود في الخارج» ، **خارج** الانسان ، بصورة مستقلة عنه . هذا مـــادية . وهذا الاساس ، هذه القاعدة ، هذا الجوهر او القاع للمادية ، هو مـا يشرع هيغل في إغراقة تحت ثرثرته :

« كما هي، إن وجهة نظر الاحساس صحيحة تماماً»، هذا ما يكتبه هيغل؛ ثم يشرح انه ليس هناك اي شك في ان « الانفعـالية » هي واقع الاحساس «ليس مهماً ما اذا كان ذلك بصورة ذاتية او موضوعية ، كلاهما يحوي لحظة الانفعالية (NB!!) ... مع هذه الفكرة ، فكرة الانفعالية ، ليس أرسطو

مقصّراً عن المثالية؛ فالاحساس هو دوماً منفعل من جهة . المثالية السيئة هي التي تفترض ان انفعالية وعفوية الروح تتوقفـــان على كون التحديد المعطى خارجياً أو داخليا [هـ . ل: المثـــالي ضُبِط متلبّساً] ـ كما لو كان في الاحساس ثمة حرية؛ الاحساس هو دائرة الحدّ [limitation المحدودية] »!!... (٣٧٧ ـ ٣٧٨) .

NB « المثالي يعيد تخصيص الثغرة التي تقود إلى المادية . كلا ! ليس أمراً لا فرق فيه ، ليس أمراً لا مباليـــاً ، **الداخلية** أو **الخارجية** . هنا أساس المسألة ! « خارجية » هي المادية . « داخلية » = مثالية . إن هيغـــل ، مع طمسه كلمة أرسطو (« **خارجية** ») ، يعطي عن هذه **الخارجية** تأويلاً مغايراً تماماً عن تأويل أرسطو. انفعالية تعني بالضبط خارجية !! هيغل يحل محل مثالية **الاحساس** مثالية **الفكر**، ولكن **هذه أيضاً مثالية**) .

... « المثالية الذاتية تقول : لا توجد موضوعات [أشياء] خارجيـة ؛ إنها تحديدات من أنانا . فيما يخص الاحساس ، يمكن أن نقبله . أنا منفعل في الاحساس ، الاحساس ذاتيٌ ؛ فيَّ يوجد الوجود ، الحالة ، التحديد، لا الحرية أن يكون الاحساس خارجياً أو داخلياً لي هذا أمر لا شأن له ؛ أنه **كائن** ، elle est » ... (٣٧٨ . هـ . ل : تهرّب أمام **المادية** .

ثم تأتي المقارنة الشهيرة بين النفس والشمع التي ترغم هيغل على التخبّط مثل إبليس قبـــل صلاة السحور وعلى إطلاق الصيحات عن « الالتباس » الذي كثيراً ما تولّده هذه المقارنة .

يقول أرسطو (كتاب « **النفس** » ، II ، ١٢) :

« الاحساس هو امتصاص الاشكال المحسوسة بدون المادة »... « تماماً كما الشمْعُ يأخـ فقط طابع الخاتم الذهبي بدون الذهب نفسه ـ بل فقط شكله الخالص . » . هـ. ل : NB نفْس = **شمع** .

هيغل يكتب : ... « في الاحساس ، الشكل وحده هو الذي يصل الينا بدون المادة . الأمر على نحو آخر حين يكون لنا تصرّف عمليّ ، حين نأكل ونشرب . في الممارسة بوجه عام [**هـ . ل** : « على نحو آخر » في الممارسة] ، نتصرّف كأفراد مفردين ، وبوصفنا أفراداً مفردين موجودين ، بل موجودين مادياً ، نتصرّف ازاء المادة بل وبشكل مادي . فقط بقدر ما نحن ماديون matériels نستطيع أن نتصرف كذلك ؛ ذلك لأن وجودنا المادي داخل في القضية » **هـ . ل** : هروب جبان أمام المادية .

« هيغل على مسافة شعرة من المادية – وهو يتملّص ويهرب » .

بخصوص « الشمع » ، هيغل يغضب ويقدح : « إن أبسط انسان يفهم»، « يبقون بشكل فظ مع الجانب الفظ للمقارنة » الخ ... (٣٧٩) .

« النفس يجب أن لا تكون أبداً شمعاً منفعلاً وأن تتلقى التحديدات من الخارج . » (٣٨٠) . **هـ . ل** : ها – ها !!! .

... « انها (النفس) تغيّر شكل الجسم الخارجي إن شكلها ذاته » ... (٣٨١) .

يقول **أرسطو** ، **النفس**، III ، ٢ : ..: « فاعلية ما هو محسوس وفاعلية الاحساس هما فاعلية واحدة وحيدة ؛ ولكن كينونتها ليست واحدة » ... (٣٨١) . ويعلق **هيغل** : ... « ثمة جسمٌ يظنّ وذاتٌ تسمع ؛ الكينونة نوعان » ... (٣٨٢) . [**هـ . ل** : هيغل يطمس نقاط الضعف في المثالية] .

ولكنه يترك جانباً مسألة الوجود **خارج** الانسان !!! هـذا هروبٌ سوفسطائيٍ **أمام** المادية ! .

ويتحدّث **أرسطو** عن الفهم ، عن العقل (nouss ،) ، فيقول (كتاب **النفس** III ، ٤) : ... « لا يوجد إحساس بدون الجسم ، بالمقابل العقـــل يمكن أن يُفصَل عن الجسم . » (٣٨٥) . « العقل مثل كتاب ليس بالواقع مكتوباً على صفحاته أي شيء . » (٣٨٦) . [**هـ . ل**: tabula rasa صحيفة

بيضاء*]. هيغل يغضب من جديد: «مثال آخر شهير بشكل محزن» (٢٨٦)، ينسبون إلى أرسطو عكس تفكيره بالضبط، الخ، الخ [هـ . ل: ها – ها !]. « ومسألة الكينونة بصورة مستقلة عن العقل وعن الانسان تُحْجَب !!! » – كل هـــذا لكي يبرهن : « أرسطو على هذا النحو ليس من أنصار المذهب الواقعي . « (٣٨٩) . [هـ . ل : ها – ها ! إنه خائف !!] .

أرسطو يقول :

« لهذا السبب إن من لا يُحِسّ لا يعرف ولا يفهم شيئاً ؛ اذا كان يعرف شيئاً ما، من الضروري ان يعرفه ايضاً كتمثيل ؛ اذْ ان التمثيلات هي مِثْل إحساسات ولكن بدون مادّة » ... (٣٨٩) [**هـ. ل** : أرسطو **والمادية**].

... « الفهم هل يدرك الموضوعات الواقعية حين ينفصل عن كل مـادة ، هـذه المسألة يجب ان تخضع ايضـــاً لفحص خاص » ... وهيغل **ينتزع** من ارسطو دعوى إن « فَهْم » و « قابل لأن يُفهم » هما شيء واحد.» (٣٩٠) الخ . تلك مسطرة عن التأويلات المثالية التي يقيمها مثـــالي !! ذلك تزوير لأرسطو **بغية جعله** مثاليـاً من القرنين الثـــامن عشر والتاسع عشر !! [في الهامش :] تزوير أرسطو . م ١٦ .

فلسفة الرواقيين

بخصوص محك الحقيقة عند **الرواقيين**(م ١٧) – «التمثيل المفهوم، التمثيل الذي جرى فهمه» (٤٤٤–٤٤٧)، – يقول هيغل ان الوعي لا يقارن التمثيل إلا مـع التمثيل (**لا مع الموضوع** – ٤٤٦ : « الحقيقة هي توافق الموضوع والوعي» = «تعريفٌ شهيرٌ للحقيقة ») وبالتالي فانكل شيء هو في «اللوجوس الموضوعي ، في معقولية العالم » (٤٤٩) .

---

* مبدأ لوك ، التجربية (والمادية) .

الفكر لا يأتي بشيء سوى شكل الكلية والهوية (التماثل) مع الذات avec soi ؛ هكذا كل شيء يمكن ان يتماثل مع فكري » (٤٤٩) – **هـ. ل** : هيغل ضد الرواقيين ومحكّمهم .

« العلل شيء عسفي ؛ يمكن ايجـــاد علل جيّدة لاي شيء » ... « إن مسألة معرفة مـــا هي العلل التي يجب ان تُعتَبَر جيدة تتوقف على الهدف الذي حدّده المرء على المصلحة ... » (٤٦٩) . **هـ . ل** : توجد « أدلّة » لأي شيء .

فلسفة ابيقور

يتحدث هيغل عن ابيقور (٣٤٢ – ٢٧١ ق م) م ١/١٧ ، فيتّخذ على الفور (قبل ان يعرض آراء ابيقور) موقف قتال ضد المادية ويعلن :

« بيد أنه لأمرٌ بديهي (!!) من الآن (!!) أنه اذا اعتـــبرنا الكائن المحسوس على انه هو الحق ، فإننـــا نكون بذلك عينه قد حذفنـــا ضرورة المفهوم [**هـ. ل** : افتراءات ضد المادية . لماذا ؟؟] ؛ ينهـــار كل شيء الى دونما فائدة نظْرانية ، وهذا بالأحرى تأكيد الرؤية الشائعة للأشياء ؛ بالواقع لا نتخطى وجهة نظر الحسّ العـام او بالأحرى نخفّض كل شيء الى مستوى الحس العام » !! (٤٧٣ – ٤٧٤) .

N B **افتراءات** ضد المـادية !! كلا ، إن « ضرورة المفهوم » لا «تُحذَف» أبداً بدراسة **مصادر** المعرفة والمفهوم!! أما الخلاف مع « الحس العام » فهو نزوةٌ مثاليٍ عفنةٌ .

ابيقور دعـا نظرية المعرفة ومحك الحقيقة la Canonique ، القانون * ، القانونية . هيغل يعرضها باختصار ثم يقول :

---

* الكلمة (canon) يونانية ومرادفها : القاعدة régle ...

« انها بسيطة لدرجة انه لا يمكن ان يكون ثمة شيء أبسط – انها مجرّدة ولكنها أيضاً مبتذلة جداً ؛ وهي كثيراً أو قليلاً في مستوى الوعي العام الذي يشرع في التفكير . تلك تمثيلاتُ سيكولوجية عاميّة ؛ إنها صحيحة تماماً . من الاحساسات نصنع لأنفسنا تمثيلاتٍ هي الكلي ؛ هـــذا الأخير يتثبّت [**هـ . ل** : !!!] . التمثيلات نفسها توضع (في الرأي ، أي حسب الرأي العام) في الامتحان بالإحساسات ، من اجل رؤية ما إذا كانت تبقى ، وتتكرّر. في المجموع، هذا صحيح ولكنه سطحي تماماً ؛ [**هـ . ل** : !!!] ؛ تلك هي البدايةُ الأولى ، آليةُ التمثيل إزاء الادراكات الأولى» ... (٤٨٣).

« البداية الأولى » تنساها وتشوّهها المثالية . المادية **الجدلية** هي وحدها **ربطت** « البداية » مع التالي والنهاية .

NB ص ٤٨١ عن معنى **الكلمات** حسب ابيقور :

« كل موضوع ينال من الاسم الذي يعطى له بادىء بـــدء بداهتَه ، راهنيّته ، وضوحه (ابيقور، حسب **ديوجين لا يرس** ، ج . ١ ، ف ٣٣) . ويعلق هيغل : « التسمية هي شيء ما كليّ ، إنها من فعل [واقع ، صنع] الفكر ، إنها تجعل المتعدّدَ بسيطاً . » .

« حول الطريقة الموضوعية بوجه عام التي بها يدخل فينا ما هو في الخارج – علاقة نحن مع الموضوع ، من حيث بالضبط تتولّد التمثيلات – أصدر ابيقور الاعتبارات الميتافيزية * التالية : [**هـ . ل** : ابيقور : الموضوعات هي

---

* الميتافيزياء تعني : ١) في قاموس الماركسية : الطريقـــة المعاكسة للديالكتيك . ٢) خارج هذا الأطار : ما وراء الطبيعة ، ما فوقها . أي أن ما وراء الاحساس والحسّي والسطح الخ يحوّلونه الى « ما وراء **الطبيعة** » ، ما فوقها . هـــذا شكل أساسي للخلط التجربي – المثالي ...

هنا – ابيقور – الاعتبارات الميتافيزية هي الأعتبارات الفلسفية العامـة ، الغنوزيولوجية ولينين علّق في الهامش : « نظرية المعرفة لابيقور » .

خارج نحن . هـ . ل : NB نظرية المعرفة لا بيقور ...] :

«من سطح الاشياء يصدر سَيلان [flux] دائم لا يدركه الإحساس وذلك لأن الشيء نفسه بسبب المليء الذي يعارضه يبقى مليئاً ولأن المليء في الصلْب يحتفظ لمدة طويلة بنفس تسلسل وترتيب الذرات . وإن حركة هذه السطوح التي تنفصل سريعةٌ جداً في الهواء ، إذْ ليس من الضروري أن يكون العنصر المنفصل ذا عمق » . « الاحساس لا يناقض مثل هـذا التمثيل إذا أخذنا في بالنا الطريقة التي بها تفعل الصوَر ؛ انها تثير توافقاً ، تعاطفاً للعالم الخارجي معنا . إذن ينتقل شيء مـا منها كي يكون فينا شيء ما مماثل للخارج » . « وبحكم كون الارسال يدخل فينا ، نعرف ما هناك من محدَّد في إحساس ما ؛ المحدَّد هو في الموضوع وينتقل هكذا الينا . » (ص ٤٨٥ ، حسب **ديوجين لايرس** ، ج ١٠ ف ٤٨ – ٤٩) .

الطابع العبقري لتخمين ابيقور (٣٠٠ سنة ق م – أي قبل هيغل بنيفو ٢٠٠٠ سنة) حول ، مثلاً، شعاع الضوء وسرعته .

هيغل بكل بساطة **موَّه واخفى** (NB) **الشيء الرئيسي :** (NB) وجود الاشيـاء **خارج** وهي الانسان **وبصورة مستقلة** عنه .

– هذا كله هيغل **يخفيه** ؛ يقول فقط :

... « تلك طريقة سوقية تماماً في تمثيل الاحساس . ابيقور اختار للحق المحك الاكثر سهولة ، الشائع أيضاً اليوم ، بالقدر الذي فيه هذا الحق غير مدرَك بالبصر ؛ قصَدْنا أن ما نرى ونسمع ليس في تناقض معه . إذْ بالواقع لا نستطيع أن نرى منتوجات للفكر، مثْل الذرات ، السطوح التي تنفصل، الخ . أجل يمكن أن نرى ونسمع شيئاً مـا آخر ، ولكنّ ما نرى من جهة وما نتمثل ونتصور من جهة اخرى هما في توافق أو تآلف تام فيما بينهما .

مفصولـَيْن ، ليسا في تناقض ، إذْ أن التناقض لا يظهر إلا حين تكون ثمة علاقة » . هـ . ل : هذه مسطرة من تشويهات وافتراءات مثاليٍ ضد المادية .

بهذه الطريقة نجح هيغل في اللفّ على ابيقور . انه يتحدث عن **أمر آخر** ، لا يهتم ابيقور به **هنا وهو يتفق** مع المادية !! *

ص ٤٨٦ : الغلط حسب ابيقور ينبع من **الانقطاع** في الحركة (في حركة الموضوع نحونا ، نحو الاحساس او التمثيل ؟) .

ويقول هيغل : « من المستحيل ان يحمل المرء نظرية للمعرفة اكثر فقراً».

كل شيء سيظهر **فقيراً** ، اذا قطـّعنا [شوّهنا] وسرقنا .

النفس ، حسب ابيقور ، هي جملة ذرات حسب نظـــام « معرَّف » [محدَّد] . « هذا قـاله ايضاً (!!!) لوك ... هذا كله ليس سوى كلمات فارغة » ... (٤٨٨) « كلا هذه تخمينات عبقرية ، إشارة الى السبل الواجب اتـّباعها **للعلْم** ، لا للظلامية » . **هـ . ل** : هـــذه الـْ « ايضاً » رائعة !!! ابيقور (٣٤١ – ٢٧٠ ق م) لوك (١٦٣٢ – ١٧٠٤) . الفرق ٢٠٠٠ سنة .

NBNB ٤٨٨ وايضاً ٤٨٩ : ابيقور ينسب الى الذرات حركة **(دائرية [منحنية] الخط »** ، هذا « موقف ليس ثمة ما هو اكثر عسفـــاً منه او اكثر اثارة للضجر » عند ابيقور – « و « الله » عند المثاليين ؟؟ » .

هـ . ل : والالكترونات ؟ .

« اوْ ان ابيقور ينفي كل مفهوم وينفي الكلي كجوهر » ... مع ان ذراته لها بالضبط هذه الطبيعة : طبيعة كونهـا أفكاراً pensées [هـ. ل :

---

* عمليـــة هيغل = خلط للمسائل ، تضييـع لِ « البـداية » ، اغراقها في الديالكتيك المحَّول ضد الخارجية والمادية والانعكاس والصائر ثرثرة . بينما « المـادية الجدلية هي وحدها وربطت البداية مع التتمة والنهاية » .

حماقة ! كذب ! افتراء !] ... كل لاتلاحم [كل تناقض التجربيين » ... NB (٤٩٠ – ٤٩١) .

بهذه الطريقة **يجانب** المرء جوهر **المادية** والديالكتيك المادي . (م ١٨) .

« عند ابيقور ليس ثمة ... غايةٌ أخيرة للعالم ، حكمةٌ للخالق . ليس ثمة سوى حوادث ، تتحدّد [تتقرّر] بصدام عارِض (؟؟) ، خارجي (؟؟)، لتشكيلات الذرات » ... (٤٩١) . هـ . ل : على الاله يُشفِق ! مثالي !!

وهيغل **يشتم** ابيقور : « أفكاره عن الوجوه المختلفة للطبيعة يُرْثى لها بذاتها » ... هـ . ل : !!

بعد ذلك مباشرة تأتي المجادلة مع « علم الطبيعة » في « زمننا هذا » ، العلْم الذي ، مثل ابيقور ، يحاكِم بـ « التشابه » ، « يفسِّر » مثلاً الضوء « كاهتزاز للأثير » ... « هذا تماماً نوع التشابه الابيقوري » ... (٤٩٢ – ٤٩٣) هـ . ل : و « نوع » العلوم الطبيعية ! ونجاحها !!

((**العلوم الطبيعية الحديثة** . انظر ابيقور – ضد (NB) هيغل .))

عند ابيقور ، « الشيء ، المبدأ ليس سوى مبدأ علم الطبيعة المألوف ... نفس طريقة العمل لا تزال هي أساس علم الطبيعة في زمننا » (٤٩٥–٤٩٦). هـ . ل : ابيقور والعلوم الطبيعية الحديثة .

ليس صحيحاً سوى الاشارة [اشارة هيغل] الى جهل الديالكتيك بوجه عام وديالكتيك المفاهيم * . أمّا نقده **للمادية** فهو ضعيف .

---

* هذا النقد لعلوم الطبيعة ، لعلماء الطبيعة ولماديتهم العفوية ، يتردّد على لسان لينين (في الدفاتر ، في المادية والتجربية النقدية ، في دور المادية المكافحة الخ) ، وانجلس (في جدل الطبيعة ، في آنتي دوهرنغ) . لينين وانجلس يسيران وراء هيغل في هذا النقد ، في هذه النقطة : الديالكتيك ، العمل بالمفاهيم ، الفلسفة ، الاستنتاج ...

« بوجه عام ، يمكن القول عن هذه الطريقة في السلوك (طريقة **فلسفة ابيقور**) ان لها أيضاً وجهاً هي به صالحة (!! NB) . أرسطو والقدامى ذهبوا **بصورة قبْلية** من فكرة الكلي في فلسفة الطبيعة واستخلصوا منها المفهوم : هذا وجْه . الوجه الآخر هو ضرورة رفع التجربة الى الكلية ، ايجاد القوانين : يعني ان ما ينتج لزوماً **عن الفكرة المجردة يتطابق مع التمثيل الكلي الذي إليه ارتفعت التجربة والملاحظة** [!! NB ! NB] . **القبْلي** ، عند أرسطو مثلاً ، ممتاز تماماً، ولكنه غير كافٍ لأنه مفتقر الى وجه الربط، الارتباط مع التجربة ، مع الملاحظة [NB] . هذا الواقع ، واقع إعادة الخصوصي الى العام ، هو اكتشاف قوانين الطبيعة ، قواها . يمكن اذن القول ان ابيقور هو مخترع علم الطبيعة التجربي [NB] والسيكولوجيا التجربية empirique بذلك أقام، ضد غايات ومفاهيم فهم الرواقيين ، أقام التجربة ، الحضور الحسّي . عندهم نجد الفهم المجرَّد ، المحدود ، العديم الحقيقة في ذاته ، إذن أيضاً المحروم من حضور وواقع الطبيعة ؛ عنده بالعكس نجد حسّ – معنى الطبيعة ، الذي هو أكثر حقيقةً من تلك الفرضيات . » (٤٩٦ – ٤٩٧) . NB .

(**هذا تقريباً لمس المادية الجدلية بالاصبع**) NB .

دلالة أبيقور – النضال ضد « **وَسْوَسَة** » (تطيّر ، خرافة) **الاغريق والرومان** (٤٩٨) – وخوارنةِ زمننا ؟؟ هـ . ل : هيغل حول النقاط الايجابية للمادية . ←

كل هذه الحكايات : الأرنب ألم يجتز الطريق (٤٩٨) الخ (والاله ؟) .

« بصورة خاصة ، التصورات التي تنفي بشكل مطلق ما فوق الحسّي تأتي من فلسفة ابيقور » (٤٩٨) . NB

« ولكن هذا ليس صحيحاً إلا بالنسبة لِ « عالمِ المحدود » ... « **الخرافة**

تنهار ، ولكن معهـــا ينهار تسلسلُ مؤسَّس في ذاته وعالمُ المثل الأعلى (عـــالمُ المثالي ، الفكري) » (٤٩٩) . NB . هـ . ل : لأي سبب كانوا (كان الكلاسيكيون) يتمنّون المثالية ؟؟

ص ٤٩٩ ابيقور عن **النفْس** : ذرات أكثر **دقّة** (NB) ، **حركتهـا** أكثر **سرعة** (NB) ، **رابطتها** (NB) الخ ، مع الجسم (حسب **ديوجين لايرس** ، ج ١٠ ، ف ٦٦ ، ٤/٦٣ – ساذج جداً وجيِّد . ولكن هيغل يغضب ويشتم ويثرثر : « ثرثرة » ، « كلمات فارغة من المعنى » ، « غيـاب أفكار » . هـ . ل : بالنسبة لهيغل ، « النفْس » هي **أيضاً** حكم مسبق زائف préjugé . ص (٥٠٠) .

NB الآلهة حسب ابيقور ، هم بوجه الاجمال الـ « كلّي » – « جزئياً ، انهم في العدَد » مثل العدد ، أي تجريد من الحسّي ...

« وجزئياً ، هم (الآلهة) الشكل الانساني المنجَز الذي يتولّد ، بفضل تماثل الصور ، من الانصهـار المتواصل للصور المتشابهة في الواحد والمتماثل » (٥٠٧) . هـ . ل : الآلهة = الشكل الانساني المكتمل . انظر **فويرباخ** * .

فلسفة الريبيين

يتحدث هيغل عن **الريبية** (م ١٩) ، فيلفت النظر الى « استحـــالة دحضها » ظاهراً NB :

« بالحقيقة لا يمكن التغلب على شخص يريد بأي ثمن أن يكون ريبياً ، ولا إجباره على الاعتقاد بفلسفة إيجابية ، – كما من المستحيل أن نجبر على الوقوف رجلاً مشلولة كل أطرافه » (٥٣٩) . هـ . ل : جيد !

---

* يقـــول فويرباخ في الدروس عن جوهر الدين : « اله الأنسان ليس شيئاً آخر سوى تأليه جوهر الانسان » .

« الفلسفة الايجابية تستطيع بصدده (بصدد المذهب الريبي المفكّر) ان تعي ما يلي : لها ، في نفسها ، اللحظة السلبية للمذهب الريبي ، هذا الأخير ليس معارضاً لها ، ليس خارجها ، ولكنه إحدى لحظاتها ، بيد أنها تحوي اللحظة السلبية في حقيقتها كما لا يملكها المذهب الريبي . » (٥٣٩) .

(علاقة الفلسفة والريبية :)

« الفلسفة جدلية ، هذا الجدل هو التغيّر . الفكرة كفكرة مجردةٍ هي العاطل [الهامد ، الساكن] ، الكينونة ، ولكنها ليست حقة الا بالقدر الذي به تدرك ذاتها بوصفها حيّة ؛ اي انها جدلية في ذاتها ، لتجاوز هذا السكون ، هذه العطالة . وهكذا فالفكرة الفلسفية جدلية بذاتها وليسَ عرضياً ؛ اما الريبية فتمارس جدلها بصورة عرضية – انها ، حسب طريقة حضور المادة ، المحتوى ، لها بالضبط ، تبيّن انها في ذاتها السلبي » ... (٥٤٠) . هـ. ل : N B الديالكتيك في الريبيَّة « عرضي » .

يجب تمييز الريبيَّة القديمة (ريبيَّة العصر القديم)عن الريبيَّة الجديدة(هيغل لا يذكر إلا شولتس في مدينة غوتنجن) .

الآتاراكسيا ataraxie (sérénité ، صفاء ، هدوء ؟) كمثل أعلى للريبيين :

« ذات يوم ، بينما كان بيرون ورفاقه على ظهر سفينة ، هبت عاصفة ، فأخذ رفاقه يرتجفون هلعاً ، فأشار بيرون الى خنزير كان يحتفظ بكل لامبالاته ويتابع اكله بهدوء ، وقال لهم : في هذه الآتاراكسيا يجب ان يبقى الحكيم ايضاً » . (**ديوجين لايرس** ، ح ٩ ، ٦٨) . ص ٥٥٠ – ٥٥١ . هـ. ل : قصة لا بأس بها عن الريبية .

« مذهب الريبيَّة ليس شكاً. الشك هو بالضبط عكس الهدوء الذي هو نتيجة الريبية . » هـ. ل : N B الريبية ليست شكاً .

... « بالعكس ، الريبية لامبالية ازاء هذا وذاك سواء بسواء » ...

شولتس – اينيزيديم * يعلن ريبيةً القول بأن كل مـا هو حسّي هو حق (٥٤٠) ؛ ولكن الريبيين لم يقولوا أبـداً شيئـاً من هذا النوع : (حسب رأيهم ،) يجب « التكيّف عليه » ، التوافق مع المحسوس ، ولكن هـذا ليس الحقيقة . الريبية الجديدة لا تشك في واقعية الاشيـاء . الريبية القديمة تشك في واقعية الاشياء . هـ. ل : NB .

القرن الثاني بعد الميلاد

كلّه موجود عند **سكتوس امبيريكوس**

تروب tropes (لفـّات ، حجج ، الـخ) ** الريبيين : (٥٥٧ – ٥٦٨) .

آ . الاختلاف بين أعضاء الحيوانات .

الاحساسات المختلفة : الابيض يبدو أسود لمن كان مصاباً بمرض الصفر (اليرقان) ، الخ .

ب . فوارق بين البشر . « الطبْع او المزاج » . من نصدّق؟ الاكثرية ؟ هذا لا معنى له : من غير الممكن ان نسأل كل الناس .

فوارق بين الفلاسفة . وهيكل يستنكر:مستند أحمق ... « هؤلاء يرون كل شيء في فلسفة ، ولكن الفلسفة لا يَلحظونها » NB ... « مهـما كان اختلاف المذاهب الفلسفية، فهي ليست مختلفة بقدر اختلاف الابيض والحلو، الأخضر والخشن ؛ هي متـّفقة في كونها جميعاً فلسفات ،

---

* شولتس الألماني المعاصر أخذ اسم الريبي القديم : اينزيدم .

** تدعى « تروب » أطروحات وضعها اينيزيديم (عددها ١٠) وآغريبا (عددها ٥) وهي تؤكد نسبية كل ادراك للكائن من قبل الحواس ونسبية حقيقة كل برهنة ، نسبية مطلقة.

وهذا ما تاه بصرهم عنه » NB ... كل الـ تروب موجَّهة ضد الكينونة ؛ ولكن الحق ليس ايضاً نلك الكينونة الجافة الناشفة – انه جوهرياً سيرورة» NB ...

جـ. فوارق في تنظـــيم أدوات الحواس ؛ أدوات الحواس المختلفة تـــدرك بشكل مختلف (على لوحة مرسومة ، يظهر شيء ما بارزاً للعين ، لا للمس) .

د . فرق الظروف عند الذات (هوى ، صفاء ، الخ) .

هـ . فرق المسافات ، الخ .

الارض حول الشمس أو العكس الخ .

و . خليط (رائحة بوجود شمس قوية وفي غياب الشمس،الخ).

ز . تركيب الاجسام (الزجاج – مكسوراً ليس شفافاً) .

ح . « نسبية الاشياء » (« **نسبية** ») .

ط . تواتر الظاهرات وندرتها ، الخ ؛ العادة .

ي . الأعراف والقوانين ، الخ ، اختلافها ...

عشر أطروحات **هي جميعاً تروب قديمة** . وهيغل يعلق : هـــذا كله « تجربي » – « رفض الانتقال الى المفهوم » ... هذا « سوقي» ، ولكن... « ولكنها بالواقع مصيبة تماماً ضد « وغمائية الحّس العام » ... (٥٦٧).

خمس أطروحات **أحدث** (ذات مستوى أعلى بكثير ، تحوي **الديالكتيك**، تتصّل بالمفاهيم) – أيضاً نقلاً عن سِكستوس .

آ . الفرق بين آراء ... **الفلاسفة** .

ب . رجوع إلى وراء الى ما لا نهاية (كل أمر يتوقّف على آخر الخ الى ما لانهاية) .

جـ . نسبيّةُ (المقدماتِ) .

د . الفرضية . العقيديون يقدّمون فرضيات غير مبرهنة .

هـ . تبادلية [تبعية متبادلة] . دائرة (فاسدة) (حلقة مفرغة) .

NB « هذه الاطروحات الريبية **تصيب** فعلاً ما يُدعى فلسفةً دوغمائية (بحكم طبيعتها ، هذه الفلسفة مضطرّة الى تبنّي كل هذه الاشكال) — لا من حيث هي (الفلسفة العقيدية) ذات محتوى إيجابي ، بل من حيث هي تؤكد كمطلق شيئاً ما محدّداً * » (٥٧٥) .

NB **هيغل ضد المطلق ! هنا يوجد جنين المادية الجدلية** NB

«في نظر النقدِ وّية ** التي لا تعرف بوجه عام أي شيءفي ذاته، لا تعرف مطلقاً ما ، إن أية معرفة للكائن — في — ذاته ككائن — في — ذاته تُعتَبر دوغمائية ؛ في حين انها هي أسوأ دوغمائية بحكم كونها تقيم أن الـ « أنا » ، وحدةَ وعي الذات الذي وُضِع في معارضة الكائن ، هو في ذاته ولذاته ؛ وان الـ « في ذاته » القائم في الخارج هو كذلك أيضاً ، وان هذا وذاك لا يمكن مطلقاً أن يلتقيا . » (٥٧٦) . هـ . ل : « مذهب النقدية » « أسوأ دوغمائيـــة » .

« هذه الاطروحات tropes تصيب الفلسفة العقيدّية التي تسير على المنوال

---

* محدَّد أذن محدود . déterminé أذن borné , fini , limité. والمثالية — حسب ديتسغن ولينين — هي انماء متجاوز الحّد ، مفرط ، مبالغ الخ **لأحـد** وجوه المعرفة ...

** المذهب « النقدي » هو مذهب كنط ويدعى أيضاً « مثالية متعالية » الخ .

الآتي : تقيم مبدأ ، في قضية محدَّدة ، على أنه يقين . (هـ . ل : جيّد) إن مثل هذا المبدأ هو دوماً مشروط؛ وبذلك فهو يحوي في ذاته الديالكتيك، أي تدمير ذاته » . « هذه الاطروحات سلاح أساسي ضد فلسفة الفهم * » (٥٧٧) . هـ .ل : **ديالكتيك** = « تدمير الذات) .

مثلاً ، سكتوس يكتشف جـــدل مفهوم النقطة point (punht) . النقطة ليس لها بُعد ؟ إذن هي **خارج** المكان !! إنها حدّ (limite المكان في المكان ، هي نفيُ المكان وفي الوقت نفسه هي مشارِكة في المكان » — « هي بذلك عينه جدلية في ذاتها » (٥٧٩) NB .

« هذه التروب ... لا أثر لها ضد الأفكار **النظْرانية** ، لأن هذه تحوي في ذاتها العنصر **الجدلي وتجاوز** المنتهي . » (٥٨٠) NB .

نهاية المجلد ١٨ (ص ٥٨٦) .

---

* في تسلسل المستويات الهيغلي : الفهم enteudement تحت العقـــل وفـوق الأدراك والتمثيل الحسي . العقل هو مستوى التصّور المفهومي ، الديالكتيك ، هيغل ... حسب انجاز (في مقطع من « جدل الطبيعة ») ، العقل هو ميزة الانسان ؛ أما فاعليات التحليل والتركيب والاستقراء والاستنتاج ... فهو جودة عند الحيوان ؛ وقد برز العقل الجدلي عند الإغريق ، عند الإغريق والبوذيين ، وفي الفلسفة الحديثة .

(نهاية الفلسفة اليونانية . فلسفة العصر الوسيط
والفلسفة الحديثة حتى شيلنغ ص ١ – ٦٩٢)
(برلين ١٨٣٦)

الافلاطونيون الجدد

« عودة الى الله » (ص ٥) ... « وعي الذات هو الكائن المطلق »(٧) «روح العالمَ » (٧) ... « الدين المسيحي » (٦) ... **وإطالات لا نهاية لها عن الله** (٧ – ١٨) ...

ولكن هذه المثالية الفلسفية التي تقود بشكل مكشوف و«جدي » نحو الاله ، أشرف من اللا أدرية الحديثة بلؤمها وجبنها .

آ . **فيلو** (اوائل القرن الاول الميلادي) عالم يهودي ، متصوف، « وجد أفلاطون في موسى»(١٩) الخ. هي الأمر الرئيسي ، الخ . الله هو اللوجوس ، « جَمْع كل الفِكَر (المثُل) » ، « الكينونة الخالصة » (٢٢) (« حسب أفلاطون »)... الفِكَر هي « ملائكة » (رسل الله) ٢٤ ... اما العالم الحسّي ، « كما عند افلاطون » .

---

* كلمة يونانية وردت بأحرف يونانية ...
نذكر بأن الزوج كائن ـ لا كائن ، كون ـ لاكون ، وجود ـ عدم ، هو ايضاً الزوج هو – ليس (الضمير هو يساوي est رابطة القضية : جان هو إنسان) ، أيس ـ ليس . (الأيْس كلمة سريانية وعربية ـ فلسفية ، بمعنى être ، كينونة ، وجود) .

هـ. ل : الفِكـَر (مُثـُل افلاطون) والله .

(٢٤) = أول أنْ * = لا – كينونة م ٢٠ .

ب – القبالـَه Kabbale ، الغنوسطيون ، – – – نفس الشيء (م٢١).

جـ – فلسفة الاسكندرية – (= انتقائية ص ٣٢) (= افلاطونيون ، فيثاغوريون ، أرسطويون) (ص ٣٣ – ٣٤) .

الانتقائيون – إما أناس بلا ثقافة ، أو « شطـّار » (أناس أذكيـــاء ص ٣٣) يجلبون الخير من كل الجهات ، ولكن ...

– يأخذون الصالح حيث يجدونه، لا ينقصهم سوى منطق الفكر وبالتالي الفكر نفسه » (٣٣) . هـ . ل : بصدد الانتقائيين . (م ٢٢) .

أنموا أفلاطون .

« كلـّي افلاطون الموجود في الفكر ، يأخذ اذن هذا المعنى ، معنى انه بوصفه كذلك هو الجوهر المطلق عينـه . » (٣٣) . هـ . ل : فكـر افلاطون والله .

هيغل حول محاورات افلاطون

صفحات

٢٣٠ السوفسطائي

٢٣٨ فيليب Philèbe

٢٤٦ بارمنيد

٢٤٩ (تيميه) [تيماو)

ملاحظات

(١) . انه خطأ لا يُغتفر ان نتصوّر أن الماركسية **تحذف** مفهوم «**الدائرية**» circularitè الهيغلي المركزي المهيمن . هذا الحذف يحوّل **الخط الحلزوني** الى خط مستقيم أو متكسّر وسائب ، أو هوائي ، يحوّل المادية التاريخية والتاريخية المادية الى تاريخية هوائية ، مثالية ، إلى تطوّرية وضعيه (سبنسر، كونت) ...

انظر : ١) مدخل **جدل الطبيعة** ، لا سيما الصفحة الاخيرة (الكون والأرض والانسان) * ...

٢) مقالة « **حول الديالكتيك** » ، القسم الاخير (تاريخ الفلسفة، تاريخ المعرفة : سلسلة من دوائر»، ٤ « دوائر» في الفلسفة)

٣) الشيوعية البدائية – مجتمع (مجتمعات) الملكية الخاصة – الشيوعية .

٤) المجتمع الروماني – المجتمع الاقطاعي – المجتمع البرجوازي الحديث، ومسألة الحقوق الرومانية : الملكية الخاصة المطلقة («حق التصرف وإساءة التصرف») وأمور أخرى (فرد،

---

* هذا المدخل نشيد ينشده انجلس للتصور الجدلي والتاريخي للطبيعة ضد التصور الميتافيزي الذي هيمن حتى اواخر القرن الثامن عشر ، حتى ظهور نظرية كنط ولا بلاس عن أصل ونشوء المنظومة الشمسية . ومع ذلك (!) ، نقرأ : أزلية المادة – الحركة ، أزلية المادة في تغير أزلي وأزلية قوانين هذه الحركة ومحمولات هذه المادة ، ... حتمية إنطفاء « كوننا – الجزيرة » (جزءنا من الكون اللامحدود) وزوال الانسان والروح المفكر ، وحتمية عودة الروح المفكّر في مكان ما في ساعة ما الخ ...

دولة ، أسرة) . الاسلوب البرجوازي الرأسمالي يولد في بطن الاسلوب الاقطـــاعي النيودالي ويتسلّح (ملوك باريس و « المشرّعون » ، الطبقة البرجوازية) بالحقوق الرومانية ضـد النظام الاقطاعي ... والحقوق الرومانية أول مصادر التشريع النابليوني ...

« عودة » لوثر إلى « المسيحية الأولى » ...

سميث – ريكاردو – ماركس، و، أرسطو: حول السلعة – القيمة – الشغل (انظر « رأس المال » ومخطوطة ماركس ضد دوهرنغ الأحمق والذي يحقّر أرسطو كعالم اقتصاد) .

٥) عودة لينين (= الماركسية ، عصر الامبرياليـــة والثورة الاشتراكية البروليتارية) إلى « حصان » افلاطون « وسهم » زينون . – وعودة **هيغل** (وفويرباخ) الى اليونان ، على جسر أوروبا الحديثة ، وبدون هذا الجسر ، من فوقه ، من فوق العصر الحديث والخلق والبرهان الاونتولوجي . هيغل – (فويرباخ) – لينين « مباشرة » (بلا وساطة) « مع» إشكالية هير اكليت – أفلاطون – أرسطو – غورجياس الخ، مسألة العام والخاص ، مسألة **الكلمة** (أية كلمة في اللغة) .

عودة لينين والعود إلى **الألفباء** ....

لسوء الحظ،هناك من يتصوّر ويفهم ويتمثل التاريخية كتعاقب محض(!؟)، من يتصوّر أن « المرحلة » ، أن الخصوصية الزمانية (أو المكانية) ، بـلا وجه من كلية ، (إن أوروبا عقل والشرق لا عقل) الخ . إن الموقف حاذف الكلية يلغي الجدل والمادية في آن .

هذا التصوّر يتخـــذ – في نصف القرن الأخير ، وفي الوقت الحاضر –

اشكالاً متنوعة ومتعاكسة الخ. نجد مثالاً أول (؟) عنه في الفقرة ١ من بحث « مسائل اللينينية » (رد ستالين على زينونيين حول « تعريف » اللينينية : الصفة أو الهوية الروسية أو القومية أو المحلية للينينية **ليست – ليست** هويتها أو صفتها العالمية أو الأممية : التأخر ، الفلاحية ، الخ الالتواء ، وجه غير عالمي ، استثناء استثنائي ...

إن قضية « الدائرة » و « الدائرية » هي إذن **جزء من** قضية أوسع ، هي كل قضية الديالكتيك والنظرية المادية للمعرفة .

(٢) . إن فكرة اتفاق وتطابق التسلسل المنطقي والتسلسل التاريخي الهيغيلية ترتبط بمثالية هيغل، بنظرانيته، وبجدله وموضوعويته ، ترتبط بمبدأ تماثل (هوية) الفكر والكينونة الهيغلي . المادية الجدلية أي المادية الكاملة لا ترميها ولا تأخذها كما هي... سنرى ما سيقوله لينين بمناسبة فلسفة لوسيب وغيرهـــا .

المادية غير الجدلية ، المادية الطبيعية أو العادية ، « تكره » المثالية ، تخشى التلوّث المثالي، وتقف موقف عداء من أطروحة هوية الكينونةوالفكر، بلا حيثيات. المادية الجدلية تؤيد هذه الأطروحة، على أساس أولية الكينونة على الفكر ، نسخ الفكر للكينونة **بطريقته** ، أوليـــةُ لوجوس الكينونة (أي الترابط وكل مقولات الجدل) ولوجوسُ الفكر (عقل الانسان ، المعرفة) كناسخ نوعي ، أخـــذ من البداية وعي **الفرق** ، « الفرق الذي لا يُمحى » ..

(٣) هيغل ينتبه بالدرجة الأولى إلى الديالكتيك ، إذن إلى **نظرية المعرفة** (« الديالكتيك هو فعلاً Bien نظرية المعرفة (لهيغل و) للماركسية » ، على حد قول لينين في « حول الديالكتيك ») . تحت سلطة هذا الأمر ، وتحت سلطة كرهه المثالي لهذا أو ذاك ، إن اللوحة (العظيمة) التي يقدّمها عن الفلسفة اليونانية ليست وافية تماماً .

تثبيتاً للأذهان ، يمكن أن نتميّز في تاريخ الفلسفة القديمة (أي اليونانية ، اليونانية – الرومانية) ثلاث حقب :

١) الحقبة الأولى (ق ٦ قبل الميلاد) : آ) المادية ممثلةً **بالايونيين** * اي مدرسة مدينة ميليت Milet (**طاليس** ، آنا كسيماندر ، الخ ، الخ) و **هيرا كليت** الغامض من مدينة إفسس.ب) **الفيثاغوريون** . فيثاغور مؤسس العلم الرياضي (تجريد الكم عن الكيف) اي العلْم الأول تاريخياً ، وبمعنى ما سيّد العلوم ، ومؤسّس الهذيان الرياضي عبر العصور ، المثالية الرياضية . ح) **الايليات** ، نسبة الى مدينة ايله Elée او ايليا وهي في جنوبي ايطاليا المعروف باسم « اليونان الكبرى » : **بارمنيد** (تجريد الـ Etre ، الكينونة) و **زينون** الايلي .

٢) الحقبة الثانية (ق ٥ ق م) عصر ازدهار مجتمع الرق والديمقراطية العبودية وصراع الطبقات ، « عصر بيريكليس » الخ، ازدهار الادب الدرامي والادب الغنائي والنحت الخ الخ . آ) **عدة مدارس مادية** : آناكسانمور ، امبيدوكل ، لوسيب و **ديموقريط** والمدرسة الذرية . ب) **السوفسطائيون** : بروتاغوراس ، غورجياس الخ . ح) سقراط ؛ ثم **افلاطون** ؛ ثم (ق ع) **ارسطو** . أفلاطون « مؤسس » المثالية (روافده متنوعة : فيثاغور ، بارمنيد، معطيات شرقية ، الخ) . أرسطو = موسوعة المعرفة ، و «مؤسس **المنطق** .

---

* ايونيا هي منطقة من غربي آسيا الصغرى ، على الساحل ٧٠ حوض البحر الأيوني أو اليونان أو بحر إيجه هو (كان) حوضاً يونانياً (ايونياني الشرق ، آثينة في الغرب ، ... والجزر) . التوسع البحري للأغريق شمل من البداية مناطق مختلفة من سواحل البحر الأبيض المتوسط ، بحر الحضارات الكلاسيكية ، والإختيار التاريخي الكبير (← مجتمع الرق ، الفلسفة ، الفكر النظري الخ) . حضارة الشرق الأدنى انتقلت الى اليونان واليونانين الذين صاغوا معطياتها صياغة جديدة ، وايونيا لعبت الدور الأول في هذا المضمار وهي موطن « الفلسفة » .

٣) الحقبة الثالثة ، الطويلة « المتأخرة » ، العصر الهلّينِسْتي (ما بعد الاسكندر) والروماني ؛ الدائرة تتوسّع (اليونان والعالم اليوناني ، روما ، الاسكندرية ، الخ . » . آ) **الماديون : ابيقور** (ق ع – ٣) ثم اللاتيني لوكريس (ق ا ق) ؛ ابيقور واصل وطوّر ذرية ديمقريط . ب) **الرواقيون** وهم تيار متنوع : زينون سيتيوم ... ، سنيك ، Sénèque الامبراطور مارك – اوريل ؛ تاريخ طويل (خمسة قرون من ق ٣ ق الى ق ٢ م) . جـ) **الريبيون** (من ق ٣ ق الى ق ٣ م) : بيرون ، .... ، إينيزيديم، آغريبا، ومؤرخ الفلسفة الجامع سكستوس – امبريكوس.د) **الافلاطونية – الجديدة**، فيلون اليهودي او الاسكندراني (ق ا م) ، أفلوطين (ق ٣ م) ؛ مدرسة الاسكندرية ، « الانتقائية » الخ . – المسيحية كعقيدة لاهوتية وكـ « موقف » ذات صلة كبيرة بالرواقية ، بالافلاطونية الجديدة ، الخ ...

المراجع (مراجع تاريخ الفلسفة القديمة) مراجع الدرجة الاولى : **سكستوس امبيريكوس** (ق ٢ – ٣ م) و **ديوجين لايرس** (ق ٣ م) ؛ وجزئياً : «كزينوفون » المؤرخ والعالم والجنرال الذي تتلمذ مباشرة على سقراط (ق ٥ ق) ؛ ونوعاً ما محاورات افلاطون، مؤلفات فيلو ، مؤلفات أرسطو ، الخ .

(٤) الأثير و المكان – الفراغ .

المكان – الفراغ غير موجود : المكان شكل وجود المادة (المادة – الحركة) ، صفة عامة كلية لكل « الماهية » ، صفة **امتداد** الأشياء ، الصفة « المكانيّة » .

الفراغ ، الفراغ **المطلق** ، فكرة متخدرة في الذهن الشعبي ، وهو فكرة مثالية . هذه الفكرة ، من وجهة نظر **نظرية المعرفة** أو **الغنوزيولوجيا** ، هي قلب للتسلسل، لتسلسل **المقولات** في **نظرية المعرفة** : بدلاً من أن يكون التسلسل (تسلسل هذه المقولات ، أي هذه المفاهيم الأولى الواسعة الشاملة

الكلية) هو : المادة – الحركة (الكينونة – الصيرورة ، الـ هو المتغيّر الخ) ثم المكان (والزمان) ، يُجْعل المكان (والزمان) **قبل** المادة والحركة ، في الذهن وفي النظرية ، ثم في الكينونة التي أمامنا وتاريخها . فكرة ان المادة المتحركة موجودة **في** المكان والزمان (وهي فكرة صحيحة ، وبالغة الصواب من حيث هي تأكيد **لموضوعية** المكان والزمان) تصبح فكرة ان المادة لها حدّ في الزمان والمكان ، لها بداية ونهاية في الزمان والمكان ، ويصبح المكان والزمان **'علبَةً' حاوية** .

آلية التحويل المثالي مستندة الى التجربة اليومية والعامة للبشر (هكذا الأمر أيضاً بالنسبة لكل القضايا، مثلاً مقولة السببية: كل شيء له سبَب...): هذه الغرفة تحوي طاولة ومقاعد وأشياء أخرى وفراغاً ؛ فيها أشياء ولكن الأشياء لا تملأها ، فيها فراغ ، معظمها فراغ . هذا **صحيح** ولكن هـذا الفراغ ليس مطلقاً ، هو هواء وهو ضوء الخ، هو مادة، كائن ، ماهية، هُوَ.

التجربة ، العمل الانساني ، المعرفة الانسانية الوضعية الايجابية ، هذا كله هو حكماً وبشكل جدّي ومجْدٍ = محدَّد ، محدود ، ذو حدّ ونهاية ، انه قطْع، عزل، تجريد . المثالية تبدأ لا من هنا ، هكذا وبشكل غير موسَّط، بل هي تبدأ من هنا **حين** لا نعي ، حين لا نأخذ وعي وقياس : محدَّد ، محدود ، قطع ، تجريد .

إن المثالية اليونانية أو بعضها لها مأثرة انها نفت الفراغ . هذا واضح في الفيثاغورية . وهو أيضاً موافق مبدئياً لخط الكينونة البارمنيدي . هذا الموقف ليس مثالية بل مادية .

بالمقابل ، إن فكرة الفراغ عند المادي ديموقريط (وفي الخط الديموقريطي التاريخي) تمثّل لحظة السلب أو النفي négation الهيراكليتية – الهيغلية ، وهي تكمّل فكرة الذرات ، تسوّغ حركة الذرات ، الكمّ (المقولة العظيمة)

من حيث هو اتصال وانقطاع *...

إن نفي الفراغ يعطي فكرة **الأثير** ، فكرة فراغ ماهوي مليء ، كينونة فراغية . توريشلي (الضغط الجوي) أرجع فكرة الفراغ الشعبية (وعقيدة « الطبيعة تكره أو تستفظع الفراغ » الخرافية كان فيهـــا **عنصر من** عداء للفراغ . ولكنه عنصر محدود) . ولكن عملية توريشلي محدودة في إطـار « طبيعة » و « علم طبيعة » (فيزياء) عصره ، محدودة في مستوى . وفكرة الفراغ بصوابها وباطلهـــا تلازم الفيزياء ، الميكانيك ، والتصوّر الميتافيزي والميكانيكي للطبيعة ، للكون ... فكرة **الأثير** تعود أو تتعزّز في القرن التاسع عشر (الصدام بين نظريتين عن الضوء ، نظريتين صائبتين جبارتين ، وناقصتين ، جزءيتين – كل منهما تحيط **بوجْه** – : نظرية الارسال ونظرية التموّج ، الأولى ذرية والثانية أثيرية) . **وفيزياء** القرن التاسع عشر تنتهي إلى تأكيد النظرية الثانية ، الى تأكيد فكرة الأثير ، وإقامة نظرية الأثير الفيزيائية (نظرية الاثير في **علم الفيزياء**) . كانت هذه النظرية بناءً ضخماً شامخـاً ، مُبَنْيَناً ، معقـّداً ، و ... فيه ثغرات (هناك ظاهرات تشذّ على القالب المذكور) . نظرية الأثير لعلم فيزياء القرن التاسع عشر هي نظرية أثير هو وسَط متجانس ، ساكن في الأصل ، و يتحرّك .

في الربـع الأخير من القرن التاسع عشر ، حطـّمت تجربة ميكلسون ومورلي هذه النظرية ، كشفت بطلانهـــا . وفي ١٩٠٥ ، جاءت نظرية « النسبية الضيقة » لآينشتاين (التي ستوسّع فيما بعد ، وتصير نظرية « النسبية العامة » لعلم الفيزياء) وواصلت او أكملت الضربة على نظرية الأثير .

---

* الصيرورة = كينونة ولا كينونة . الذرات + الفراغ = حركة مـادّية ، مـا هوية . كذلك الصفر ، الإختراع الهندي (والعربي) : لحظة جبارة في تاريخ المعرفة ، العقل الجدل.

لينين بعيد عن هذه النقطة . ليس عالم فيزياء . ولو كان عالم فيزياء لقبض على التجربة المذكورة وعلى نظرية النسبية وأدخلها في كتابه «المادية والتجربية النقدية » (١٩٠٨) ، موحّداً (وراء آينشتاين) مقولتي الزمان والمكان ، شكلَي وجود المادة ، في شكل واحد ومقولة واحدة فيما يخص مفهوم **المادة** الفيزيائي – الفلسفي الخ ، ولرأى وأكّد هذا الرافد العظيم (آينشتاين ، وكل فيزياء القرن العشرين : ماكس بلانك، هايزنبرغ، نيلس بوهر، دو بروي، لانجفان الخ ... لينين مات في ١٩٢٤ ... ولكن قصدنا خصوصاً : آينشتاين والنسبية) الذي يثبت بشكل لا مثيل له الغنوزيولوجيا المادية الجدلية : **تبعية** مطلقة من الزمان – المكان للمادة – الحركة (+ ردّ اعتبار لمقولة السببية **ضد** تخريف اوغست كونت والمذهب الوضعي الذي سيطر في وسط العلماء حتى أواسط القرن العشرين + الخ) . لينين مات في ١٩٢٤ ، ويبدو ان بعض الفلاسفة أو العلماء الفلاسفة السوفيات عارضوا فيزياء آينشتاين ! لينين لم يكن عالم فيزياء ولعله من المستحيل أن يكون عالم فيزياء ولينين .

غير ان ما دحضته نسبية آينشتاين هو بالضبط نظرية الاثير لعلم الفيزياء وليس فكرة الأثير بشكل عام وبدون حيثيات . إن اكتشاف آينشتاين قضى على فكرة حالة سُكون مطلق (أياً كان وفي أي مستوى كان) في الطبيعة، ومعه عدة اكتشافات أخرى للفيزياء المعاصرة . أما الفراغ فهو مسكون بحركات مادية متنوعة : حقول موجات ، كهرطيسية ، ظهور واختفاء دائمان لأزواج الكترونات + و – ، ومعها فوتونات عالية القدرة الخ . « إن قصّته (قصة الأثير) لم تنته ، ونظرية النسبية تُواصلها » ، على حد قولٍ لِـ آينشتاين وإينفِلد .

المادة – المقولة الفلسفية التي يسوّغها كل علم الطبيعية (لافوازيه ... آينشتاين) والتي أنضجها كل تطور الفلسفة والعلوم (هيراكليت ، بارمنيد ،

ديمقريط وأبيقور ... فيزياء العصر الحديث ... لافوازيه ... انجلس ولينين) – ليست هي فقط الحجر والتراب والهواء والطاولة بل أيضاً « الضوء والكهرباء والمغناطيس » (في تعريف فويرباخ لـ « الطبيعة ») ، هي « الحقل » من الصف الأول الابتدائي ، نبدأ إعطاء هذه الفكرة لأطفالنا (القضيب المغناطيسي يسحب الدبابيس رغم الدفتر – الحاجز) .

فكرة الفراغ – العدم بالغة الضرر في عقل « الثوار » ، في السياسة . ليس هناك انفصال **مطلق** بين الميادين : فيزياء عليا وفلسفة عليا وسياسة وحياة يومية ...

فالمادية الصاحية هي أولاً تأكيد **هوية** الفكر – الروح – الوعي – السيكولوجي – المعطى الثاني – **الانعكاس** . علم الفيزياء وعلم المنطق، صواب الفيزياء وباطل الفيزياء ، صواب الفلسفة وباطلها ، اللاهوت وفكرة العفاريت أو الأشباح ، وفكرة الطاولة وأبسط أفكار الحياة اليومية والعمل اليومي ، ونظرية المادية الجدلية والتاريخية ، الأحلام المجدية والأحلام الفارغة والمضيّعة، « اللاوعي » أي الوعي الجنيني والوعي أي الوعي اللينيني ، هذا كله = الفكر ، الانعكاس ، الذي هو صحيح (تقريبياً) ، أو باطل ، أو خيالي وخرافي، تجريد جدي أو عسفي الخ . الفرق والخلاف والتعارض داخل هذه الهوية الواحدة (الفكر) محكوم بالهوية المذكورة **أي** (اذن) بالعلاقة بين هذه الهوية والهوية المقابلة : الكينونة المادية التي أمامنا ، « خارج الرأس » ، « خارج الفكر » . ومن يؤمن بأن العلْم هو العلم – العلم (= الحقيقة) وأن الخرافة هي الخرافة – الخرافة إنما **شرع** يحوِّل العلم الى خرافة . الواقع عنده صار « الحقيقة » ، صار معرفتَه ، علمَه هو . المادة نزحت الى الفكر ،الفكر نزح الى الخارج ، صار ماهية . معرفته لأنها لم تعِ انها بوصفها **معرفة** هي الذاتي تعجز عن **نسخ** الموضوعي ، و**ترمي** مهمتها .

(٥) **مسألة « التعريف » .**

آ) « الانسان حيوان ناطق » ؛ « الانسان حيوان اجتماعي » ؛ « الانسان حيوان صانع أداة » (فرانكلين ، ماركس : **رأس المال** ، ستالين) * ...

ننسب الحد (= المفهوم) المطلوب تعريفه (الانسان) الى حد (مفهوم) أوسع (حيوان) : الانسان هو حيوان ، هذا تحديده الاوّل، تعيينه العام ، الذي هو مشترك بينه وبين انواع اخرى داخلة معه في الجنس او النوع العام (genre ومنها général) ؛ ثم نعطي حداً ثانياً (جديداً) ، تعييناً ثانياً (هنا : ناطق ، او اجتماعي ، او صانع ادوات انتاج ، او ...) ، هو تعيينه النوعي – الخاص (spécifique) الذي يعطينا فرقَه ، هويته النوعية الخاصة (الخاصة في العلاقة مع النوع العام) التي تميزه عن النوع – العام او الجنس .

هذا تعريف منطقي – ارسطوي ، وجدلي ، انه سير الى أمام . **مع** الانسان أدخلْنا بالتلازم مفهوماً (حداً ، كلمة) **جديداً** ، لم يكن وارداً من قَبل (اي قبل هذه الخطوة) هو مفهوم « ناطق » او مفهوم « اجتماعي» او مفهوم « صانع ادوات » .

يجب اذن ان نخضع بوعي الى فن العمل بالمفاهيم ، الى مبدأ التقدّم ، الى الديالكتيك حين لا نعي اننا في مسيرة فكر ، في سير نظري ، في علاقة مفاهيم ، فإن كل الأمور تتشوّه ، ونَقْعد لا في الكينونة ، بل في المخلوطة (فكر – كينونة ، مفهوم الشيء – واقع الشيء) ، على قاعدة نهاجية ميتافيزية ...

---

* بالحقيقة ، التعاريف الثلاثة قديمة ـ حديثة . الماركسية تؤيد هذا الخطّ ، تربط الوجوه الثلاثة ...

إن « تعريف » لينين **للممارسة** « سيرورة **موضوعية** – فاعلية الانسان الذي يَتّخِذُ **هدفاً** » هو من هذا النوع المألوف ، تعريف منطقي – جدلي ، يعطي التحديد العام سيرورة **موضوعية**) ثم التحديد النوعي الخاص (**هدف**؛ اذن ذاتية ، وعي) للمفهوم او المقولة . انه تعريف للممارسة في العـــلاقة – الهوية والفرق – مع السيرورة الموضوعية ، مع المادة – الحركة ، الكينونة – التغير. هذا « التعريف » (لينين لم يقل : « تعريف ؛ خذوا تعريفاً، اعطيكم تعريفاً !! ») الآتي في نظرية المعرفة بعد الخطوة الاولى (مادة – حركة ، اي **سيرورة موضوعية**) والذي يقيم الحلقة الثانية (تميز شكلين للسيرورة الموضوعية ١) طبيعة بالمعنى الضيق ٢) فاعلية الانسان الهادفة) انمـا يضع معاً في آن عدداً من المفاهيم المتلازمة : ممارسة ، هدف ، ذاتية ، **وعي** (اي فكر، روح) عائداً بذلك الى الخطوة الاولى ، الى علاقة = مقولتيْ الاساس المادي ...

كذلك تعريف لينين **للطبقة** الاجتماعية * ...

ب) إن تعريف لينين **للمادة** ليس من هذا النوع (انظر هذه الدفاتر – الجزء ٢) . انـــه **تكرار** ، فقط تكرار ومحض تكرار ، لمبدئنا المادي ، لخطنا المادي ، لتقابل أو تعارض مقولتي الانطلاق، أو سلسلتي المفاهيم الأولى، خلاصة حلنا المادي للمسألة الاولى ، العليا . هذا الإبداع اللينيني هو بالأحرى اختراع قام به انجلس ولينين والمادية الفلسفية . ولو كره المثاليون، وبالأحرى مثاليو الطراز « **الأحدث** » ، كارهو الفرق (الفصل) ومحبو المخلوطـــة التجريبية « الواحدية » على قاعدة اللا جدل (= الميتافيزية) و « المنطق » المزعوم (= اللا منطق) .

---

* كل التعاريف السابقـــة خاضعة لفكرة التحديدات ـ التعيينات ، خاضعة لإشتراطات الديالكتيك .

من المستحيل إعطاء تعريف (بالمعنى الألوف) عن مقولة المادة ، تعريف ينسبها الى مفهوم أوسع ، أبدأ . لأنـه ليس (ولا يمكن أن يكون) هناك مفهوم **أوسع** ، أبدأ . وهذا بالضبط ما يصرّح به « تعريف » المادة اللينيني. وهو ما يتجاهله الماخيون الروس « الماركسيون » الذين انتقلوا إلى معسكر المثالية على قاعدة ميتافيزية – تجربية . إن هذا العمل اللينيني ليس فقط تثبيتاً أو بلورة للمادية ، بل هو إعلان إن مبدأ الديالكتيك (بدايته) هـو أيضاً مبدأ المادية ، إن الديالكتيك ملازم للخطوة الأولى أو الخطوة الصفر في الغنوزيولوجيا المادية .

كذلك المفاهيم الرديفة أو « المرادفة » (كينونة ، طبيعة بالمعنى الواسع ، فيزيائي ، **معطى** أول) والمفاهيم المقابلة (فكر ، روح ، وعي ، نفسي ، **معطى** ثان) . فلسفياً ، هـــاتان السلسلتان من **المفاهيم** معرّفتان في العلاقة الثنائية وبها (أولية الكينونة ، الفكر نتاج وانعكاس) ، هاتان **المقولتان** الكبيرتان معروفتان معاً في العلاقة ، الفرق ، التعارض .

كذلك مقولة الحركة ... كذلك مقولة التناقض ... كذلك كل المقولات الكبرى الأولية الأولى . ليس لها ولا يمكن أن يكون لها «تعريف»، تعريف بالمعنى المألوف والمنطقي، تعريف من طراز « الانسان حيوان صانع أدوات».

والمادية الجدلية «ماشية» بدون تعاريف (؟) لمقولاتها الأولية . والماركسية كلها ماشية جيداً – عند ماركس، انجلس، لينين – بدون تعاريف أو بقليل من « التعاريف » .

ج) بعض النقاد أخذوا على **رأس‌المال** إنه بلا «تعاريف» أو قالوا شيئاً ما مشابهاً . حسب **انجلس** ، هؤلاء يريدون « من ماركس أن يعرّف حيث هو يبسط وينمّي ... بما ان الأشياء وعلاقاتها المتبادلة متصوَّرة (من قِبَل ماركس ، من قِبَلنا) كغير ثابتة بل متغيرة ، فإن إنعكاساتها الذهبية ، **المفاهيم** هي أيضاً خاضعة للتحوّل ؛ في هذه الشروط لن نحبسها في تعريف صلب ،

بل سنبسطها ، سننمّيهـا » الخ (انجلس ، **مقدمة** الكتاب **الثالث** من **رأس المال**) . « التعاريف لا قيمة لها بالنسبة للعلـم seience ، لأنها دائماً ناقصة، التعريف الوحيد الفعلي هو بسط الشيء نفسه ، ولكن هذا البسط ليس او لم يعد تعريفاً ... بالنسبة للاستعمال الجاري ، إن عرضـاً مختصراً للخصائص الاكثر عمومية والاكثر نموذجية في ما يُدعى تعريفـاً يمكن ان يكون مفيداً بل ضرورياً ؛ وهذا لا يمكن أن يسيء ، اذا لم نطلب من هذا العرض اكثر مما يستطيع ان يصرّح به » (انجلس، من مسودات « **آنتي دوهرنغ** ») .

بالطبـع ، اذا عزلنا هذه الحَملة من انجلس على فكرة « التعريف » ، اذا قطعناها عن خط المادية الجدلية، عن الاطار ، عن هدف الضرب (فايرمان، دوهرنغ، بعض الماركسيين اللامعين الشبّان) ، فإن هذه الحملة ستبدو مجففة، ظالمة .

ولكن « الظلم » أتى وياتي من الذين نسوا هذا الخط وهذه الحملة .

ومن البديهي انه ليس هنا كان دراسة مـأساة **تعريف ستالين للامة** واختلاطه مع نظرية ستالين للأمة والمسألة القومية الخ . هذا موضوع درسناه سابقاً ولم نستنفده من الناحية الفلسفية .

وليس هنا مكان دراسة مأساة كاريكاتور **تعريف التوسد للمارسة** من حيث هو **تعريف** ، وتعريفه لِـ « النظرية » من حيث يدّعي انه « تعريف » ، ومن أن صاحبه يحارب ضد انجلس وماركس، ضد فكرة اللا « تعريف » وفكرة « فـرق مفهوم الشيء وواقع الشيء » الخ ، مؤيداً فكرة « **التعريف** » !! بالمقارنة مع هذا ، إن تعريف ستـالين للامة كان له **مزية** انه تعريف وانه تعريف منطقي (ومادي وتاريخي) . قائم على بسطٍ مـا وعلى تقدم (على فكرة التحديدات او التعيينات) ، انه تعريف منطقي **جدلي** ، شكلاً ـ قطعاً formellement .

(٦) **هيغل : ديموقريط ، التجربية ، المثالية السيئة .**

نص هيغل يقول : « ولكن ، على هـــذا النحو ، تُفتح الابواب على مصاريعها للمثالية السيئة التي تعتقد انها تصفّي أمر الموضوع بنسبها إياه الى الوعي او بقولها عنه فقط : إنه احساسي ، انه لي [mien : انه موضوعي أنا] » .

« المثالية السيئة » هي المثالية الذاتية : بركلي ، هيوم ، كنط + ماخ ، آفيناريوس ، وتجريبيّات القرن العشرين... هيغل (= « المثالية الموضوعية » او « المطلقة ») يعارض هذه المثالية السيئة » ، يعلن براءته منها ، يعلن انه ليس لمثاليته شأن معها ...

المثالية نوعان: آ «موضوعية»، تعطي الفكر، الروح، الوعي، الفكرة الخ. وجوداً موضوعياً : هكذا أفلاطون (فكرة الحصان ، المثُل) و ، هيغل (اللوجوس ، الفكرة ، الدلكتيك الخ) .

ب : ذاتية، تنفي الوجود الموضوعي (المادي) للأشياء : هكذا بركلي، كنط وهيوم **تعديلان** (مختلفان) لهذا الموقف : هيوم يشك في الوجود الموضوعي المستقل للاشياء (**هيوم** يشك في وجود الاشياء المادية، و «الماهية» الأخرى ايضاً : روح ، نفس ، الله ، خلود الخ) ؛ كنط يؤمن بوجود أشياء – في – ذاتها (مادة روح) ويؤكد استحالة معرفتها (نعرف الظاهرات الظاهرة ، « الاشياء لنا » ، الاشياء بالنسبة لنا ، كما تبدو لنا) . والثلاثة المختلفون لهم خط واحد : إحساسي ، إدراكي ، معرفتي انا ، لا موضوعية وجوداً او معرفةً .

المثاليتان هما واحد في المثالية ، كلاهما مثالية تعارض الحل المادي للمسألة « الاولى ، العليا » في الفلسفة (مسألة الأسبقية والأولية) تعارض التصريح الاساسي الاولي بأن الاشياء المحسوسة هي **معطى أول نعبّر** عنه غنوزيولوجياً في **مقولة** المادة ، وأن الموجود الآخر هـــو **معطى ثانٍ** نعبّر عنه في مقولة الفكر = الروح = الوعي = النفسي . وعند نقطة معينة ، المثالية الذاتية

لبركلي تتحوّل إلى مثالية موضوعية : هذه الاشياء ليست سوى إحساساتي ، إدراكاتي ، ليست أشياء (ليست موضوعية ، مستقلة عن إحساساتي ، مادية، مادةً) ، أنا أحس إحساساتي ، انا أدرك **صفات** (ابيض ، أحمر ، كبير صغير ، ممتد ، الخ) ؛ ولكن هـــذه الصفات غير الشيئية لها مصدر آخر غيري ، إنهـا حديث الروح (الذهن) الأول الخالق (الله) إلى الأرواح (الأذهان) المخلوقة ؛ المادة ليست ماهة ، الروح ماهية ...

لينين سجّل على هيغل عداءه الجذري لديموقريط والمادية (هيغل مـــع « خط أفلاطون » ضد « خط ديموقريط » في تاريخ الفلسفة . المثالية والمادية **هما** هذان الخطّان) .

ولكن لينين يعي تماماً قصور مادية ديموقريط – لوك الخ ، وجدوى نقد هيغل لما يمكن أن ندعوه خط « المادية **الميتافيزية التجريبية** » ، وهو في أحد وجوهه مادية **فيزياء ميتافيزية** . هذه العبارة الأخيرة تنطبق على ديموقريط: الذرات (والفراغ) موجودة ، « الباقي » غير موجود . بالطبع ، عنـــد ديموقريط، الطاولات والأحصنة مؤلفه من ذرات متحركة ، إنها إذن موجودة. ولكن بذرة العكس قائمة عنده . إن معارضته لِـ « وجود » البارد والساخن واللون والحلو والمر هي معارضة **لموضوعية** هذه الصفات . **وتصحيح** المادية الفلسفية لديموقريط يكون : الحجم واللون والرائحة والصلابة والميوعة الخ هي صفات وليست كائنات ، ولكنها صفات **موضوعية** .

لوك – استناداً إلى خط سابق ، الى خط مادي سابق – أعلن أو بلور تمييزاً بين « صفات أولى » و « صفات ثانية » للأشياء : الصفات أو الكيفات الاولى هي صفات الامتداد والشكل والحركة ، وهي **موضوعية** ؛ أما الصفات أو الكيفات الثانية (اللون ، الصوت ، الرائحة) فهي **ذاتية** . **وبركلي** انتقل من نقد موضوعية الصفات الثانية الى نقد موضوعية الصفات الاولى ، حوّل

منطق مناهضة الصفات الثانية المزعومة ضد كل الصفات ، مصغياً موضوعية الشيء ، أي ناسفاً الموضوعية ، الماهية . القوام ، ومقولة المادة .

إن أساس منطق تمييز نوعين من الصفات ـ أولى مزعومة وثانيـة مزعومة ، ورفضي موضوعية الصفات الثانية ، **ومضامين** هذا المنطق أو وجوهه ، هي: ١) خلط تجربي بين رائحة (= موضوعيّ) وشم (= ذاتيّ) ، بين طَعْم (كصفة للمنبّه) وطعْم (كإحساس) ٢٠) إعطاء الصفات « الاولى » ومفهوم « الوجود » وكلمة « موجود » طابعاً ميتافيزياً . وهذا التشويه يستند الى حقيقة **مقولات** الامتداد والحركة والشكل (أو « الصورة» ، أو «الوجه» figure) – الموازية للصفات الاولى في منطق لوك وغيره – هي مقولات أعمق كينونياً . وفي النظرية المادية للمعرفة ، نضع **مقولات** الحركة والزمان والمكان ، مباشرة وراء مقولة **المادة** ، ونعلن أن كل الصفات هي صفات المادة المتحركة في الزمـــان والمكان . ٣) هذا يعيدنا الى قضية **العمل بالمفاهيم** ، بشكل واع . وهي القضية التي خرجت وتخرج عنها المادية غير الجدلية .

ليست المسألة مسألة « موجود » و « غير موجود » ، بل هي أيضاً (بعد صَرْفنا بركلي كموقف خاص ، وفي سيرنا نحو ضبط « الأصل » الذي يَؤول الى بركلي وخلفائه) ، قضية الموصوف والصفة ، الماهوي والصفة ، « substantîf والـ adjéctîf . وهنا **مأثرة فويرباخ** .

رجوعاً الى ديموقريط : « الساخن والبارد والأحمر والحلو = غير موجود (إلاّ في نظر العامّـة) ، الذرات والفراغ = موجود = ، نقول :

١) « الفراغ » غير موجود بحكم التعريف ، المكان شكل وجود المادة المتحركة ، المكان مقولة ، تجريد من كل الاشياء ، المكان صفة امتداد الأشياء .

٢) الساخن والبارد الخ صفات موضوعية للأشيـاء ، للكائنات المادية ؛ مستوى أو مستويات للكائن ، للكينونة التي هي مادة متحركة .

٣) الذرات ليست مستوى أخيراً ، وليس ثمة مستوى أخير ... إذا كان المستوى **الأخير** هو وحده « الموجود » ، عندئذ يجب القول : لا شيء موجود ، لا يوجد شيء !

المادية الماركسية – مستندة الى هيغل وإلى فويرباخ – تدين مـــا ندعوه « المادية الفيزيائية » .

(٧) مسيرة الفلسفة ، كمسيرة **تقدّم** تاريخي، هي تواصل و **تعاقب** مفاهيم: **مفاهيم** قديمة تتطوّر ، تُبْسَط ، وتظهر مفاهيمُ **جديدة** . ١) « ضرورة » (أو قدر أو مصير ، و « مصير » من « صيرورة ») هيراكليت ، **ثم** « قانون » . لا يجوز أن نسقط فكر زمن لاحق (أو زمننا) على زمن سابق، أوّلي، ابتدائي، بادىء . بالنسبة لنا (على الأقل لنا نحن الماركسيين): من قال « ضرورة » قال « قانون » . ولكن هذا التصريح يحتاج الى **زمن** . والمسألة **لم** تنته و **لن** تنتهي . ٢) طاليس (ق ٧ – ق ٦) أول فيلسوف ، وهو أول الماديين . فلسفته مادية . ولكن المادية الأولى (طاليس وكل المدرسة الايونيـــة) مادية ساذجة وهكذا تُدْعى بحق ومعنى (فيما بعد ، السذاجة تقلّ ولكنها لا تزول) عالم طاليس المادي مسكون من قبل مئات أو ألوف الآلهة . « فلنَرْم هذا الساذج » ، هكذا يفكر « ماركسي » من طراز واطىء ، يحبّ العلم ويكره الاحيائيـــة والسحر ، يكره **الأسطورة** والدين ويحب « العلم » (علمه هو) . قبل أن نرميه ، نلاحظ على الأقل ان هذا الخرافي **تنبّأ** بخسوف الشمس الحاصل في عـام ٥٨٥ ق م ؛ في حين أن صاحبنا « المادي » المحب للعلم **لا يرى** شيئـاً واحداً من واقعنا الحاضر . ٣) « لوجوس » هيراكليت يتطوّر ، يتغيّر ، يُقلَب ، يُصوَّف في خط أفلاطون – فيلو – أفلوطين – الروحانية ...

« نوس » (عقل، فهم) آناكسا غور متقدّم على « لوجوس » هيراكليت، مبدئياً . هيراكليت = خطوط (ملامح) عـــامة ، « حدْسٌ » عبقري ،

لا يكفي كتأسيس لمعرفة علمية وضعية ايجابية . آناكسا غور ، والفلاسفة العظام ، يواصلون خط **المعرفة** ، يعطون **مفاهيم** متقدّمة (مثـــلاً كينونة ، مثـلاً هويّة الخ ، يقيمون **المنطق** الأساسي (ارسطو) ، وتصويفُ المعرفة يلازم المعرفة الآخذة في تقدّم (مثالية ، ميتافيزية) .

و **هنا** : لوجوس (هـــيراكليت (— نوس (آناكساغور) — نفْس (ارسطو) . نزوح من الموضوع الى الذات ، ومن المادية الى المثالية .

ولكن **هذا** النزوح **كاشف** لطبيعة النفْس ، الفكر ، الروح ، لحقيقة مـا هو في المادية الجدلية مقولة « المعطى الثاني » . لوجوس الانسان ، نوس — نفْس — روح الانسان ، هو انعكاس لوجوس الطبيعة بما فيهـا الانسان ، انعكاس نوس — نفس — روح الخ الطبيعة . و « هنا الطرفان les extrêmes يتلاقيان ويتحوّلان » * .

(٨) **اي** ان **هيغل** يختار و« يؤسس » **الديالكتيك، الموضوعي ، المثالي** ، مبدأ تماثل او هوية الفكر والكينونة في وَجْهيه : ١) ديالكتيك وموضوعية وموضوعية ٢) ومثالية (اذن ذاتوية) .

نوعاً ما ، سقراط ـ افلاطون — الانقلاب على السوفسطـائية الخ = « هيغل » العصر **القديم** .

بالطبـع ، كل فلاسفة الاغريق ديالكتيون بشكل وآخر . هـــذه السمة العامة الاجمالية لفلسفة العصر القديم ، صفتها الخاصة بالمقارنة مع فلسفة العصر الوسيط والحديث حتى نهاية القرن الثامن عشر .

(٩) لا يوجد شيئان متماثلان تحت الشمس ، لا يوجد شيئـــان متساويان

---

* كلمة **نوس** (عقل) أعطت « نومين » كنط (الشيء في ذاتـه الذي لا يمكن معرفته وهو جوهر عقلي ...) nouméne ، و noéme هوسّرل ، و noosphère تيار دوشاردن (الكرة العقلية ، الغلاف البشري العقلي للكرة الأرضية ...)

بشكل مطلق . لا وجود ، لا كينونة ، بـلا فرق . مبدأ الفرق او **مقولة** الفرق مقولة كلية . ومقولة **الهوية** (التماثل) خاضعة ، تابعة ، نسبية . « لو كان كل شيء متماثلاً مع ذاته ، عندئذ لا فرق ، لا تعارض ، لا علة كينونة [لا أرض وجود] » ؛ « كل الاشياء مختلفة » ، « لا يوجد شيئان متساويان فيما بينهما » ؛ «أصل للفروق محايث [أصلي – ملازم] » (**هيغل ، خلاصة لينين لمنطق هيغل**) . وكذلك **ماوتسي تونغ** (كراس « **في التناقض** ») . **ألتوسر** رأى هذه القضية في كراس ماو (وشوّهها) ؛ لم يرهـا عند لينين وهيغل ؛ وهو يحـــارب هيغل (ولينين) باسم « الفرق » . ولكن فرقه (« فرق » التوسر) « مُضاف » ، مضـــاف الى التناقض ، ليعطي مقولة مركبة معقـّدة (« بنيوية ، عقدية الـــخ ») **مخلوطة** ، مخلوطة كينونية – فكرية ، واقعية – معرفية ، ni chair , ni poissen ، ... ، تجربية – واحدية ، اي بوغدانوفية موديل ١٩٦٣ – صنع فرنسا . (بحثه « **عن الجدل المادي** » في كتابه « **من اجل ماركس** ») ...

ليس ثمة شيئان متساويان. إن حبة رمل تختلف عن حبة رمل اخرى... وخصوصية الفكر، نوعيته الخاصة ، هي بالعكس: حذف الفروق، مساواة ، نوع،مفهوم،هوية،جوهر الخ . هذه هي نوعية هذا الموجود الخاص : الانعكاس – الفكر – اللغة ؛ **هذا** هو **وجوده** . بهذا الطريق او بهذه الطريقة يعكس وينسخ الكينونة، الوجود ، عالم الفرق او الاختلاف . اذْ لا فرق بلا هوية، لا اختلاف بلا تماثل، (لا تعارض بلا علاقة، لا تناقض بلا ترابط الخ ...). **علم المنطق** الجدلي يقيم مقولة **الهوية الفرقية** ، يبدأ بهـــا كعلمْ منطق (في الغنوزيولوجيا المادية : الكينونة – الصيرورة ، المادة – الحركة ، السيرورة الموضوعية) .

جدلان اثنان : الفكر ، الكينونة . على الأول ان ينسخ الثاني بأمانة ،

ولكنه لا يستطيع ان يحقق ذلك الا **بالطريقة** الهيغلية – الماركسية ، بالديالكتيك .

سؤال من زميل معلّم ، يعلّم (في جملة أمور) **الحساب** والرياضيات : هل **نجمع** المختلفات ؟ .

الجواب : لا نجمع **إلا** المختلفات . نجمع برتقالة حمراء وبرتقالة حمراء أخرى، نجمع تفاحات متماثلة (في كونها تفاحاً) ومختلفة في الحجم واللون و «النوع» والسعر الخ ، نجمع حليب البقر وحليب الغنم (كلاهما حليب) ، نجمع الحليب والماء (كلاهما سائل وماء . هذا غش بائع الحليب ؟ ولكنه مستحيل لولا وجود هوية مشتركة : ماء) . نجمع رجالاً ونساء وأطفالاً وشيوخاً موجودين في غرفة (ونحصل على ٧ آدميين أو هم « سكّان » دولة ما (ونحصل على عشرة ملايين من البشر) ، ونجمع آدميين وكلباً وهرة وطاولة وثلاثة كراسي (ونحصل على ١٤ جسْماً مادياً موجوداً في الغرفة) ؛ في الاقتصاد ، نجمع « الحبوب » (قمح، شعير ، ذرة ، شيلم الخ) ، نجمع « القيم » المالية للحبوب والقطن والجوارب والبترول الخ ... و**رأسُ المال** (مؤلف الماركسية الأعظم) يبدأ بـ تعادل أي تساوي أي تماثل أي هوية **المختلفات البالغة الاختلاف : قانون القيمة** . وماركس يشدّد ويُسهب: إن أصحاب مصانع انكلترة حوّلوا مليارات علب الكبريت أو ما شابه إلى قصور شاهقة في مدينة لندن . وهذا هو المستوى الأعمق والأبدأ لعلم الاقتصاد السياسي . وهو (هذا **التجريد** ، هذا القانون، هذا المفهوم) يعبّر عن العلاقة الأبسط والأسهل والاكثر شيوعاً، التي تصادَف يومياً مليارات المرّات ؛ هذا المفهوم الواحد الكلي البالغ التجريد (القيمة التبادلية ، ووراءها الشغل المحض أي غير « الموجودة ») **هو** العياني البالغ العيانية ، المتعدّد البالغ التعدّد (المتنوع المختلف الى ما لا نهاية) .

العلم الرياضي (علم الرياضيات أو علم الرياضة) قائم على هذا التماثل . الرياضيات تضاعف الفكريّة ، تعطيها لوناً نوعياً خاصاً ، يعبّر عنه في قولنا إنها علم الكلمّ المجرّد ، أي حاذف الكيف . وننتقل من العلم الرياضي الجبار الى المثالية الرياضية ، الى المذهب الفلسفي الرياضي ، حين ننسى هذه الحقيقة، حين لا نأخذ وعي عملية التجريد (= الحذف) المذكورة . هكذا الهذيان الرياضي (المرافق للهذيان عامة أي للمثالية) على امتداد العصور، من فيثاغور – افلاطون الى مثالية القرن العشرين ، عبر الافلاطونية الجديدة وامتداداتها المسيحية واليهودية والاسلامية والتصوّر الميتافيزي للطبيعة (فلسفة العصر الحديث الكلاسيكي) .

(١٠) . « لا يمكن التعبير في الكلام عما نفكّر » ومع ذلك نحن نعبّر . (ونعبّر بكلمات مادية حسية مفردة) . هنا المسألة . مذهب سحرية اللغة ، تصويف اللوجوس ، مذهب المثل – الكائنات (افلاطون) ، الخ ، هـــذا جذره المعرفي، نعبّر رغم الاستحالة . نسيان فكرة الاستحالة يحوّل الكلمات الى كائنات des êtres

قارِن بساطة وعمق وعظمة هيغل (هيغل ، فويرباخ ، لينين ، **وأيضاً** هيراكليت ، هيبو قراط ، آنا كساغور ، وأرسطو ، غورجياس وسكتوس الخ ، **وأيضاً** افلاطون صاحب « القلـب » الاكبر والأبسط) ، مع زمن الانحطاط الخ ، مع برغسون الذي يريد لغة تعبّر لا عن الفكر ، عن الوعي conscience ، بـل عن الوعي المحوّل الى شعور شعوريّ ولا شعوري ، باطني، فردي ، خاص مبهم ، سابح في نهر الديمومة النفسية ، الذي يريد لغة لا تكون مفاهيم بـــل إحساسات ، إذن لغة فيها مليارات الكلمات ، لغة

« روحية » حيوانية للانسان ، لا لغة * .

(١١) . « هذا ceci : الكلمة الأعم » .

هذه مفارقة ... **هذا** ، **هذا** الأمر ، **هذا** الشيء ، يُفترَض فيه أنه يدلّ على شيء محدَّد مفرد واحد وحيد قائم أمامنا وقد نشير اليه بإصبعنا . **بالضبط** نشير اليه بإصبعنا .

و « هذا : ceci » هي الكلمة الأعم . يمكن أن نطلقها على أي شيء مادي ، روحي ، عفريتي ، على جملة ، على كلمة ، على فكرة، على عدد ، على عشرة كتب ، على طاولة ، على مجموعة كواكب ، على مفهوم الذرة ، على شعور برغسون .

إن كلمات اللغة ** هي: أسماء ، وصِفات،وأفعال،وحروف جرّ،وأدوات تعريف ، وضمائر متنوعة، الخ . مبدئياً (ابتدائياً) الاسماء تدل على أشياء، الصفات على صفات، الافعال على أفعال، حروف الجر على علاقات متنوعةالخ؛ ولكن ثمة من البداية (في الأصل) ديالكتيك ونسبية وعلاقيّة وتحوّل وتبادل مواقع – (الصفة يُشتق منها اسم أو أسماء والاسم يُشتق منه صفة : مادة، مادي ، المادية ، المادّوية (أي المذهب المادي) الخ) *** – . وكلمة ceci (هذا أو هذا الشيء) يمكن أن تقال عن كائن ، عن صفة ، عن كلمة ،

---

* كلمة conscience تُرجمت في سورية قبل ٢٠ ـ ٣٠ سنة بـ «شعور» وراء خط برغسون والحال شعور أقرب الى Gemiit , sertiment ... بالطبع نحن مع « نفْس » ارسطو ضد « نفْس » برغسون ـ فرويد ـ وليم جيمس الخ . علماً بأن الماركسية هي التي « ردت الإعتبار » ـ ضد الخط العريض للفلسفة ـ الكلاسيكية ـ الى الشعور والإحساس والحدس والتخمين والخيال والحلم الخ. ولكن الفلسفة البرجوازية اللاحقة (ما بعد الكلاسيكية) وضعت الحدس أو الشعور الخ ضد العقل ، كبديل عن العقل ، ناهضت العقل الخ .

** العربية ، الفرنسية الخ ... ليس الصينية مثلاً ...

*** « أكل » فعل ، الأكل اسم ؛ وكل انسان يفهم مباشرة ان الأكل هو فعل ...

عن حرف جر ، عن الكون ، عن أي أمر . وبالطبع ، انها مفهوم مثل كل الكلمات (انها غلاف **مادي** للمفهوم) .

في « الإعراب » نقول : « أ كَل » **فعلٌ** ماضٍ الخ . وكلمة « فعل » هذه نُعْربها : اسم مرفوع وعَلامة ... كذلك : « في » : **حرفُ** جر . وكلمة « حرف » هذه نُعْربها : اسم مرفوع ... الإعراب العربي يختلف عن هذا النموذج ؛ كطقْس إعرابي (تحليلي) انه لا يبدأ بتحديد أن كلمة انسان ، أو حصان ، أو سعادة هي اسم ، بل يُحدّد مباشرة وظيفتها (فاعل ، مبتدأ ، خبر ، مفعول به الخ ... بمعنى ما ، كل كلمة هي اسم، وليس هناك شيء خارج سلسلة الفعل الكونية .

(١٢) . « ولكن هيغل قد حرّر [ابرز] نظرية المعرفة » . وهكذا يفعل لينين في تعامله مع هيغل والآخرين .

يحرر نظرية المعرفة ، مقيماً نظرية المعرفة المادية والديالكتيك والمنطق .

لسوء الحظ ، هذا بَعْدهُ شحب ! المادية باتت فيزياء (ميتافيزية) تردد الاطروحات العظيمة والمنقوصة ، وهي (كانت ولا تزال) قاصرة عن إقامة المادية ضد المثالية في فكر وعمل الماركسيين . هذه المأساة قصة طويلة (ليس هنا مكانها) ولم نقدر حتى الآن نتائجها **العَمَلِيّة** ! .

(١٣) باللغة العربية : العياني او العيني هو المعيَّن تعييناً كاملاً ، المحدّد الى النهاية . هذا مثلنا الأعلى في المعرفة .

في نظرية المعرفة ، العياني هو « نهاية » الشوط ، « خاتمة » سيرورة المعرفة ، (نقصد المعرفة العلْمية) . في مستوى الادراك : الحسي والعياني واحد. مستوى المعرفة العلْمية ، يمكن تمييز الحسي (نقطة البداية) والعياني (نقطة الوصول). بينهما فرق، بُعد، مسافة كبيرة (العياني ليس الحسّي)،

وهوية (العياني هو الحسّي او – دفعاً لالتباس تجريبيّ – هو الكائن ، هو الكينونة، الواقع . كل الانعكاس هو مفهوم ، تسلسل مفاهيم ، تركيبها الخ).

حسب ماركس (**مدخل ١٨٥٧** ، الفصل ٣ ، **طريقة علم الاقتصاد السياسي**) ، الطريقة الجديدة (الجدلية) في علم الاقتصاد تبدأ بمجردات **بسيطة** وتصعد منها تركيباً على طريق انشاء لوحة العياني الحية . الطريقة السابقة (التجريبية) تسير بالعكس ، لا تعي ان بداية سيرها هي ايضاً مفهوم مجرد (أن « السكان » ، « الامة » ، هي ايضاً مجردات ، ولكنها غير بسيطة ومخلوطة وفوضوية)، وتنتهي الى تبخير الواقع في مجردات أثيرية. بالطبع ، الطريقة القديمة (ق ١٦ ، ق ١٧ ، ق ١٨) وصلت الى مفاهيم صالحة ، مفيدة ، الى تحديدات عامة من نوع « تقسيم الشغل » الخ . ولكن وظيفتها انتهت ، وآدام سميث حقق ثورة بتجريده مفهوم **الشغل** ، اي الشغل المحض بلا موضوعاته المختلفة ، الشغل كمحض **فاعلية ذاتية** . وبالطبع ، الطريقة الجدلية تضع في ذهنها ان الواقع (موضوع الدراسة) قائم بتمامه خارج الرأس، ان معرفة هذا الواقع ليست انتاجه بل نسخه بطريقة الفكر، بطريقة الفكر العلْمي الجدلي ، بهذه المسيرة الغريبة المعكوسة ، وتؤكد ان كل هذه المسيرة قائمة تحت سلطة الادراك والتمثيل الحسيين ناقليْ الواقع الى رأس العالم . ماركس يُنْصف هيغل وينصف « التجريبية » ، اي يأخذ الجدل ويأخذ المادية – ويكشف سرّ سقوط هيغل في الوهم المثالي الكبير : تصوّر ان طريق المعرفة الأعلى (= الجدل = هيغل) هو نفسه طريق انتاج الواقع القائم خارج « الرأس » بتمامه وكماله . –

إن الانتقال من العياني الى المجرّد (الى المجرّد العلْمي غير العسفي) هو صعود : حين يصعد الفكر من العياني الى المجرد فانه لا يبتعد (اذا كان المجرّد جدياً) عن الواقع بل بالعكس ، يقترب منه ، يتعمق فيه ، يمضي في

داخله ، يكشف العلاقات . الخ . هذا مـــا يقوله **لينين** مستخدماً كلمة « يصعد » ، « صعود » (خلاصة منطق هيغل) .

ولكن الطريق من المجرد الى العياني هو أيضاً **صعود** . هذا مـــا لا يراه الموقف التجربي. (يتصوّر العكس ، او يرى العكس فقط) ، ضد بوخارين وآخرين ، يقول لينين : « الحقيقة عيانية دومـاً » ضد بيلا كون وآخرين ، يقول : ان روح الماركسية ، نفسها الحية ، هي « التحليل العيـــاني لموقف عياني » . الدوغمائية ، الذاتوية ، ماركسية الشباب و «اليسار » الـــخ ، لا تفهم هذا. عملياً، الدوغمائية والتجربية توءمان . وكذلك المثالية والميتافيزية. في تاريخ الماركسية ، لا سيما في نصف القرن الاخير . هـذه الشرور الأربعة هي شر واحد يظهر في خط واحد ، عند نفس الاشخاص الخ .

وكذلك الأمرُ في مـاركسية العرب (شكل قديم وشكل جديد) وفي معارضها الفكر القومي ، سواء بسواء . « الأمة » (ساطع الحصري ، ومئة آخرين مختلفين ومختلفين معه) ، « صراع الطبقات » (ماركسية معلومة) ، « حركة التحرر » وما شابه هي مفاهيم – مقولات – كلمات ، نسيَتْ انها كلمات فصارت حكْماً محض كلمات. أصحابها **ينتهون** كمعرفة الـ «قانون» ، سواء كان القانون هو الأمة والأمة العربية ، او صراع الطبقـات ، او حركة التحرر العربية . إنهم يُبَخّرون الواقع في مجرّدات أثيرية .

(١٤) « مسألة الوجود **خارج** الانسان والانسانية !! = مسألة المادية !» هيغل يلفلفها ، يلفلف وجهـــاً أساسياً في الخـــلاف والتعارض بين ارسطو وافلاطون .

اذن افلاطون – هيغل وبركلي ، المثالية الموضوعية والمثـــالية الذاتية ، كلاهما مثالية اذن ذاتوية .

ضد هذا الخط : لوك ، ديدرو ، فوير باخ ، لينين وايضـــاً أرسطو ... المادية = خارجية .

عصر النهضة ، العصر الحديث، بيكن ، لوك ، ديكارت ، علوم الطبيعة، الطريقة الاختبارية (التجريبية) للعلوم، الاستقراء ، الخ = تَوجُّه وتوجيه نحو الخارج .

معركة « **المادية والتجربية النقدية** » معركة ذات قيمة ودلالة لا حد لها.

المسألة الاولى ، العليا ، في كل فلسفة **هي** فعـــلاً المسألة الاولى . ولكنها ليست فقط الأولى . مجرّدةً ، مخصيَّة ، تصير عدمـاً او شبه عدَم ؛ تصير (مثلاً !) مادية مبتذلة ، مادية « المبشّرين المتجوّلين » ...

(١٥) . « تطابق المفاهيم مع تركيب التجربة ، الأحساسات ، الحواس ، هذا أمر لا جدال فيه بالنسبة للفلاسفة من جميع الاتجاهات . من اين ياتي هذا التطابق ؟ ... انجلس على حق في طريقة طرحه المسألة » .

١ – هذا هو الجذر الذي يقيم المسألة الفلسفية الأولى .

٢ – وهذه المسألة تفرق ، تفصل بين المادية والمثـالية الذاتية (ليس وراء الاحساسات أشياء مستقلة) ، والمثالية الموضوعية .

٣ – المثالية = « يـــأتي التطابق من الله (انا ، الفكرة ، الفكر ، الخ ، الخ) » .

المادية = يـــأتي التطابق من الطبيعة . المنبه يولّد الاحساس ، والفكر انعكاس . المادية الصاحية : الفكر انعكاس نوعي ، مفهومي ؛ اللغة مـــادة الفكر .

(١٦) **مبادىء المادية** بمناسبة ارسطو ، ضد خلط ومثالية هيغل :

الوجود الخارجي ، المستقل ، الموضوعي للاشيـاء او فكرة **الخارجية . اذن** كتـابع : فكرة الانفعالية ، الانطباعية ، موقف ارسطو ـ المشائية (والسكولاستيك) الخ – بيكن ، لوك ، الاحساسية ، ديدرو ، فويرباخ الخ – الرأي العـــام الشعبي – المادية الماركسية ، اي التشبيهات البسيطة

والبليغة : شمع ، صحيفة بيضاء ، تمثـــال شمع ، ... وفكرة **الصورة** ، النسخة . حق وباطل المعرفة هو أمانة وعدم أمانة الصورة . المثالية (بما فيها هيغل ، بمـا فيها مثالية بعض « الماركسيين » ، مثالية الفلسفة البرجوازية والجامعية) تهرب من هـذا المبدأ ، تحاربه ، تقيم الديالكتيك ضده ، تطلق نيرانها ضـد الشمع والصحيفة البيضـاء ، تقيم الفاعلية كحاذِف للإنفعالية والخارجية ، تخلط المسائل .

المادية والديالكتيك قضيتان وقضيـة واحدة . لينين لا يخلط ، ولذلك فهو يربط ، يحقق ويكتشف وحده المادية والديالكتيك .

الفكر انعكاس ، بل انعكاس في مرآة = مادية . **ضد** افلاطون ، هيغل ، وضد كل المثالية ، وأيضاً ضد المادية المبتذلة . الفكر ليس ماهية ، ليس ماهية روحية أو مادية ، ليس مادياً . انه انعكاس .

الفكر ليس انعكاساً في مرآة = ديالكتيك ، تطبيق الديالكتيك على نظرية الانعكاس . ضد كل المادية السابقة لماركس . الفكر انعكاس نوعي ، مفهومي ، انكسار ، تعرّج ، التواء ، توسط . الفكر فاعلية فكرية مرتبطة بالفاعلية العملية (الممارسة) . والاحساس (= انفعال) نفسه هو فاعلية للحواس ، وهذه الفاعلية جزء من جملة الفاعلية العملية ، جزء ملازم . موقف الانسان من الكينونة موقف فاعل ...

لينين يثمن **مادية** أرسطو (وجدليته) ، ويثمن خط المادية التاريخي . يعارض مثالية أرسطو (وميتافيزيته) ، موقفه التوفيقي ، رده الضعيف على المادي لوسيب والمثالي افلاطون حول أزلية الحركة الخ الخ .

أرسطو – لوك – كوندياك الخ على **خط** واحد .

وموقف أرسطو (شمع ، طبع فكرة **الشكل**) موقف بالـــغ الجدوى والأهمية . فكرة **الشكل** الارسطوية موقف ثمين وخالد ، أياً كان الاختلاط

الارسطوي والاحتمالات المترتبة عليه . التوسر ، البنيوية ، اللعب على **شكل** ، على **بنية** ، الخ ، ابتذال وتشوه ينقلان من **هذه** المادية الجدلية الارسطوية الى **بركليّة** لابسة لباس الرياضة المفهومية (؟) والرياضية (!) .

عند أرسطو ، هيغل فوّت مناسبة (إن صح القول) الانتقال من المثالية الموضوعية الجدلية الى الجدلية المادية، فرصة تأسيس المادية على الجدل. **وجوهرياً**، ليس للينين من اعتراض على هيغل سوى هذا : **الخارجية** ! فالخارجية هي الموضوعية ، هي الكينونة ، هي المادية ؛ الخارجية تستتبع « الباقي » .

ارسطو يقيم ثنائية أو زوجي **مادة – شكل** . المادية الفلسفية الماركسية تقيم ثنائية أو زوجي وتعارض **مادة – فكر** . هذه الثنائية لا تحذف المضمون الثمين في الثنائية الارسطوية . **الشكل** ملازم **للمحتوى** . المادة هي محتوى وشكل (أولاً ، ثنائية مادة وفكر . ثانياً : ثنائية محتوى وشكل . هكذا تتسلسل المقولات ، العلاقات والمقولات) . الفكر (= الفكر الانساني ، الذاتي) يقبض على الاشكال ، ويعرف **المادة** بهذه الطريقة أو الطريق .

عربياً ، نترجم (بحقّ) كلمة en général ، généralement ، بـ **بشكل** عام ، **بوجه** عام، **بصورة** عامة ، بعامة . وكذلك en partîculier تترجَم بنفس الطريقة . « en » هي بشكل ، بوجـــه ، بصورة ، بكيفية ، بطريقة الخ .

(١٧) الرواقية

مدرسة **متنوعة ومتغيرة** . تبدأ من القرن الثالث قبل الميلاد (زينون سيتيوم * ، كريزيب) وتتواصل حتى القرن السادس م في روما (سينيك ، إبيكتيت ، الامبراطور مارك – اوريل ق ٢ م) .

---

* مدينة في قبرص .

الرواقية الاولى تابعت صراحة خط هيراكليت والمادية ... الاحساسات هي مصدر كل معرفة ، قبـــل التجربة النفس هي صحيفة بيضاء . عمليات المعرفة تجري في النفس التي هي مادة أو ماهية خاصة مركبة من هواء ونار . الطبيعة كل مادي ، حيّ ، وعاقل ، وأجزاؤه في حركة . على حـد قول ماركس ، « إن الحكيم الرواقي لا يتمثل أو لا يتصور « حياة بلا تطور ، بل حياة متحركة بشكل مطلق، الأمر الذي ينجم عن تصوره للطبيعة الذي هو تصور هيراكليت ، تصور ديناميكي ، تطوري ، حيّ . » ... أعلن الرواقيون أن المادة مبـــدأ منفعل والله مبدأ فاعل ؛ ان كل شيء خاضع للضرورة أو القدر ؛ عارضوا ابيقور ، أقاموا الفضيلة ضد المتعة * ، دعوا الى الخضوع للقدر والتخـلي عن ملذات الحياة (مبدأ « تحمّل وامتنع ! ») ، عارضوا عالم الاشياء المتغيرة بـ « ثبات » العقـــل ، نشروا فكـراً انسانياً كونياً كوسموبوليتياً ، مهدوا للمسيحية وأثـّروا فيها (العلاقة كبيرة بين (رواقية) و (مسيحية) في القرنين الثاني والثالث ، وهي بالطبـع كبيرة بينها وبين انحلال مجتمع الرق – ثورة العبيد – الامبراطورية وانحلالها) ، التقوا مع خرافات الافلاطونية الجديدة والصوفية .

(١/١٧) . **ابيقور** (ق ٤ – ٣ ق) : أحد أقطاب المادية ، واصـــل ديموقريط والمذهب الذري . ولكنه بخلاف سلفه ، فسح مجالاً للصدفة وللحرية ...

رسالة الدكتوراه لماركس (١٨٤١) موضوعها « الفرق بين فلسفتي الطبيعة عند ديمقريط وابيقور » . وهي أول مؤلفاته (إذا استثنينا بعض الرسائل وموضوعاً مدرسياً عائداً لنهاية الدراسة الثانوية ...) . ماركس يؤيد ابيقور

---

* متعة ابيقـــور لم تكن تهتّكاً . مذهب اللذة والسعادة الابيقـوري لم يكن مذهب شهوات وأهواء ، بل بالعكس ... ولكنـّه شوّه فيما بعد ، افتريَ على ابيقور وتلامذتـه ، وجُعلت كلمة « ابيقورية » شتيمة .

يفضله على السلف، مقدمة المؤلف المذكور تتحدث عن بروميثيوس(الاسطورة العظيمة) عبر سوفوكلس (الدراما – المأساة) ، عن ابيقور الخ .

(١٨) نص هيغل :

« أوْ أن ابيقور ينفي بشكل عام كل مفهوم والكلّي كجوهر . كل ما يولـَد ليس سوى تراكبات عرضية ستنفك بشكل عرضي أيضاً إذ أن الجزء هو العنصر الاول والموجود واقعياً ؛ والصدفة هي قانون التراكب . ولكن بما أن الصدفة تحكم ، فإن كل غائية وبالتالي كل هدف نهائي للكون يختفيان . ولتبيان ذلك يستخدم ابيقور أشد الامثلة سوقيةً : مثلاً ، حرارة الشمس تولـّد من الوحل الديدان ، الخ . أجل يمكنهم أن يكونوا عرضيين بوصفهم كلاًّ بالنسبة الى شيء آخر ، ولكن في – ذاتهم ومفهومهم وجوهرهم هم الآن شيء ما عضوي ، – وهذا ما ينبغي فهمه . ابيقور يطرد الفكر ككينونة في ذاتها ، دون أن يفكر أن ذراته ذاتها [ذرات ابيقور] لها طبيعة مباشرة بل هي جوهرياً بالوساطة ، التي هي سلبية أو كليـــة ؛ مناقضة للمنطق inconséquence ، التناقض الأول والوحيد لابيقور– وهو كل تناقض التجريبيين».

هنا أيضاً ، هيغـــل يجمع الحق والباطل : نقد التجريبية (كشف عيبها الملازم) ، ورفض المادية ، رفض المسألة الفلسفية الاولى وحلها المادي . ثم ألا يمكن أن نعتبر هذا الرفض بوصفه رفضاً لفرق المقولتين (رفضاً لهذا الفرق، لهذا الفصل موقف خلط تجربي ؟ المثالية (بما فيها هيغل) تحل الكينونة في الفكر ، ولكن على قاعدة هذا الخلط الأولي في كينونة لا مبالية (لا فرق فيها) . أنْ تكون هذه (الكينونة) (صيرورة) لا يغير هذه النقطة . ولا يغيرها كل عداء هيغل للتجريبية .

(١٩) **الريبية :**

أسسها بيرون pyrrhon (ق ٤ – ٣ ق م). وتبعه ... اينزديم (ق ١ م) وآغريبا وسكستوس امبريكوس .

الريبية هي مذهب الشك في بلوغ الحقيقة الموضوعية ، اذن (تعليق) ، الحكم) ، نظرياً . وعملياً بلوغ موقف راحة وصفاء ولا مبالاة ...

في زمن النهضة والعصر الحديث ، تمثلت في الاديب الفرنسي مونتيني Montaiyne والمفكر بيل Bayle ، ولعبت دوراً كبيراً ضد ايديولوجيا العصر الوسيط ، ضد الايمان وسلطة الكنيسة الخ ، ضد العقيدية والنظرانية و (حجة السلطة) ... مونتيني (ق ١٦) رائد الفكر الفرنسي وأحد رواد الفكر الحديث * .

في الفلسفة الحديثة، هيوم وكنط (ق ١٨) يمكن أن يُنسبا الى الريبية. مذهبهم ريبية ، لا أدرية ، نسبوية . هيوم نفى القيمة الموضوعية للمقولات الفلسفية ، ذوب الماهية في الظاهرة ، نفى السببية ، الخ . كنط أكد وجود أشياء – في – ذاتها (مادية وروحية) هي جواهر عقلية نومين nomènes وأكد استحالة معرفتها . .

مبدئياً ، الريبية كفلسفة هي اتجاه مثالي ذاتي . ولكن الماركسية ثمنت دائماً الجوانب الجدلية عند الفلاسفة الريبيين : الريبية ، النسبية ، الخ ، لحظات متضمنة في الديالكتيك المادي .

إن دراسة الريبية القديمة على يد هيغل ولينين هي حلقة هامة في مجمل البسط كذلك كانت دراسة السوفسطائية .

(٢٠) . **فيلو اوفيلون** (Philon , Philo) . يهودي من الاسكندرية . جمع افلاطون والتوراة .

الله والكلمة (لوجوس) والروح القدس ، في هذا التسلسل ، يؤلفون العالم ويشكلون ثالوثاً لا يتجزأ . انهم الواحد ، عقلُ ونفسُ العالم... أثّر

---

* وعنده وعند آخرين : تعليق الحكم هو موقف اخلاقي أيضاً : عدم اصدار حكم ظالم ، حرص على عدم الظلم .

تأثيراً كبيراً على آباء الكنيسة الاوائل ، وعلى الفلسفتين الشرقية والغربية .

له كمتصوّف جوانب جدلية أكيدة . ورد **ذكره** في مطلع مقـــالة لينين « حول الديالكتيك » : « فك الواحـد الى اثنين ومعرفة جزءيه المتناقضين (انظر شاهد فيلو عن **هيرا كليت** في كتاب لاسال عن هيراكليت) هُوَذا.. جوهر الديالكتيك » .

هناك خيط يصل بين هيراكليت وفيلو (عبر بارمنيد ، ... ، افلاطون الخ) . الوجه اللاهوتي يغلب (وسيغلب تمامـــاً بعد فيلو) . كان موجوداً عند هيراكليت . (وهيراكليت له صلة بمـــا قبله ، بالمادية الايونية ، بالكوسموغونيا الالهية ، بالاسطورة اليونانية ؛ والمعرفة اليونانية ذات صـــلة بالشرق الادنى في وجهيه : كمعرفة مجدية وكتصويف لاهوتي) . ثمـة جانب (جوانب) جدلي في التصوف الاسلامي، سواء عند المتصوفة الهراتقة أنصار مذهب الحلول (حلول الله في الكون ، « محايثة » لاهوتية) او عند موفّق التصوّف والاسلام الارثوذكسي ، الإمام الغزالي ، الذي أعلنه العالم الاسلامي « حجةَ الاسلام » ، ضـــد موقف الحنبلية (والوهابية) . ياكوب بوهم (١٥٧٥ – ١٦٢٤) = جدل وتصوّف... هيغل مؤسس الديالكتيك الحديث، ولكنْ له وجه لاهوتي ونسب لاهوتي . الجدل المادي وحده يُنهي هـــذا الاجتماع . ولكنه لا ينهيه باتخاذ موقف وضعيْ علـْمي مزعوم ، اي يتبنّى الوضعَوِيّة والعلوِيّة . الأمر بالعكس تماماً . الوضعَوِيّة او العلوِيّة تقيم لاهوتاً جديداً **هو** لاهوت . تتصوّر نفسهـــا مُقيمةً **في** الكينونة وتقيم في فكرها . رفضها لوجود صلة بين لاهوت ومعرفة علـْمية، وبين حديث وقديم وبدائي ، هو رفض **لهوية** المقولة الفلسفية الثانية ، (ولهوية المقولة الاولى – المقابلة) ، قصدنا : فكر – وعي – روح – سيكولوجي – معطى ثانٍ – انعكاس . وهذا الرفض ، الذي هو رفض لمعادلة (الفكر = انعكاس) ، يقيم الفكر كماهية .

لينين « يُنَقّي » الفلسفة ، نظرية المعرفة ، يجرّدها . ويقود السائل الى النهاية ، الى الجذر . هذا مـــا سنراه ايضاً بمناسبة كتاب « **الميتافيزياء** » **لارسطو** : هنا سيَصِل مقولات كنط ، هيغل ، الله ، مُثُل افلاطون ، بفكرة « الطاولة » او « الطاولة بوجه عام » . وقد رأيناه قبل قليل بمناسبة أرسطو أيضاً : « ... ممتـاز ! ولكن هذا بالضبط مادية . مفاهيم الانسان هي نفْس âme الطبيعة : هذا ، في لغة الصوفية ، = الطبيعة تنعكس في المفـاهيم الانسانية **بشكل أصيل ، بشكل اصيل وجدلي** » ، « من الله (انا ، الفكرة ، الفكر ، الخ ، الخ) أم من الطبيعة ؟ » ...

انجلس، لينين ، الماركسية ، بلورت نهائياً وتماماً (نقـّت ، صفـّت الخ) مقولتي التعارض الاول او العلاقة الاولى ؛ اي انهـــا في هذه العلاقة وبهذه العلاقة أكـّدت هوية الروح = الفكر = الوعي = كل «إمارة»السيكولوجي، هوية واحدة **في** هذه العلاقة الأولى ، الأوّليّة* . وفي هذا العمل ، ارتكزت الماركسية على هيغل وفويرباخ .

وهي بهـــذا الموقف ، **ردّت الاعتبار** الى موجودات « السيكولوجي » المتنوعة والتي كانت في الفلسفة الكلاسيكية . (في ارستقراطية « العلْم » و « المعرفة » و « العقل ») مهمَلة ، بوصفها لا علمـاً ولا معرفة ولا عقلاً ، او أقارب فقراء . واقع ان الفلسفة البورجوازية ما بعد الكلاسيكية – تيار اللاعقلانية الألمـــانية ، المذاهب « الحيوية » vitalisme ، مذهب الحدْس البرغسوني ، البراغماتية ، وهلمجرا – قد « ردّت الاعتبار » هي أيضاً لهؤلاء

---

* كتاب « **ما العمل ؟** » (١٩٠٢) نشيد للوعي ، للوعي الكامل ، الماركسي الثوري ، ضد مجّدي « العفوية » . ولكن ، في هذا الكتاب ذاته ، في أساسه الفلسفي ، لينين يؤكد مقولة « الوعي » الفلسفية : يمجّد الادب الروسي ، يدافع عن الحلم مـــع بيساريف ضد الماركسوي مارتينوف ، يؤكد ان العفوي والاحساس او الشعور = بداية وعي ، وعي جنيني ...

الأقارب الفقراء لا يجوز ان يدفعنا الى موقف ردّ فعل ، ولا يجوز ان ينسينا ان هذه الفلسفة المنحطّة قد ردّت الاعتبار **بطريقتها الخاصة** : أقامت الشعور والحدس والحياة ومـــا شابه **ضد** « العقل » ، كبديل عن العقل ، مؤسِّسَةً ارستقراطية جديدة نازلة الى الشارع (مع الفاشيّة) .

(٢١) **القباله ، الغنوسطيون**

آ) **القبالة** Cabale او Kabbale من فعل قبل (نال، تلقى) تيار عميق وسري وباطني في تاريخ اليهودية ، يكمّل التوراتية والتلمودية . تكوّن بين القرن الاول والقرن العاشر م ، تطور وانبسط في العصور الوسطى ... تراث واسع من أدب وفلسفة وصوفية وسحر . له صلات وتبادلات مـــع المحيط المسيحي والاسلامي .

القبالة تعطي الارقام العشرة وحروف الابجدية العبْرية معانيَ سحرية .

حسب « كتاب الخلْق » (« سفر يتسيرة » ، ما بين ق ٣ – ق ٦) ، وُلِد العـــالم الأرضي بعمليّة من الأحرف الـ ٢٢ في الهواء ؛ كل المخلوقات انبثقت من تبـــدّل مواقع الأحرف الـ ٢٢ التي تعبّر عن كل الافكار وكل الموضوعات على الكرة ذات الـ ٢٣١ باباً حيث هي مثبّتة . هكذا استطاعت قوة الكلمة ان تحقق الخليقة من العدم ، اي الانتقال من الـ ليس الى الـ هو . الأحرف الأم هي الألف (الهواء) ، الميم (الماء) ، الشين (النار) الخ ... ستة أختام ، تَوزُّع ثلاثي كوني ، سبعة حروف مزدوجة الخ ...

« كتاب الخلق » نموذج او مثال . هناك نماذج أخرى في هـــذا التراث الطويل .

غوته اهتمّ بالقبالة اليهودية ، في جملة ما اهتم به من أمور (كان اديباً عالماً فيلسوفاً الخ) .

انظر مقالة انجلس: « حول تاريخ مسيحية الازمنة الاولى » في «ماركس – انجلس : حول الدين » دار الحقيقة .

ب) **الغنوسطيون** . اصحاب مذهب او مذاهب الغنوس (= معرفة ، عرفان)، تيار فكري (وشعبي) ازدهر في القرون الميلادية الاولى ، وخصوصاً في القرنين الثـاني والثالث . اجتماع عناصر : « مسيحية » + افلاطونية + « وثنية» + شرقية هندوكية + يهودية . العقيدة المسيحية اللاهوتية تكوّنت عبر علاقة وتناقض وحرب مع هذا التيار .

الافكار الرئيسية للغنوسطية : إله العهد القديم (التوراة) أدنى من الكائن الأسمى ؛ المادة فيها شرارات الهية ؛ إنسانية المسيح الجسدية ظاهر خادع...

أشهر ممثليها :

آ) بازيليد الاسكندري : اله اليهود ملاك شرير . الله ارسل ملاكاً آخر لمكافحته اتخذ شكلاً انسانياً وهو يسوع . تناسخ الارواح .

ب) فالنتين : حلولية .

ج) كاربوكرات : تناسخ ؛ توزيع الأملاك ؛ شيوعية الأملاك والنساء .

د) **مارسيون** (ق ٢) : دين مسيحي مواز ، معـادٍ لليهودية ، مذهب ثنائي . (إله الرحمة ضد إله العهد القديم) لم يؤسس مدرسة بل دينـاً آخر منظماً ...

هـ) **مونتان** (ق ٢) : عودة المسيح قريباً على الأرض وتحقق اورشليم السماوية (العدالة على الأرض) .

... منشأ هذه الدعوات في الشرق الأدنى ولا سيما في آسيـا الصغرى ، ولكنها انتشرت في مناطق مختلفة من حوض البحر المتوسط . دعوة مونتان انتشرت في بلاد الغول ، قرطاجة ، روما الخ .

العقيدة المسيحية تكوّنت في حرب وافتراق عن هـذه الدعوات ، (لا سيما عن مارسيون ، ومونتان) .. فالمسيحية دين خلاص ، **وتنتهي الى** أن الخلاص هو في عالم آخر . وهي دين جديد ولكنها تنتهي الى تأكيد الصلة مع العهد القديم ، مع اليهودية ، والسامية (ضد مارسيون ، وغالبية الغنوس).

ثم جاء **أفلوطين** (ق٣) : افلاطونية + حلولية + مسيحية + «وثنية» .

و **ماني** (ق ٣) في فارس : الثنائية الفارسية (إله خير وإله شر) + مسيحية . وقد انتشر مذهب ماني انتشاراً واسعاً ، واعتنقه **اوغسطين** (ق ٤ – ٥) قبل أن ينقلب عليه . (وقد صار القديس اوغسطين رائد خط طويل في تاريخ المسيحية الغربية) . وظهر مذهب ماني في القرن الثاني عشر في جنوبي فرنسا (حركة الأطهار والآلبيجوا) .

العقيدة المسيحية الآخذة في النشوء والتبلور دخلت في صراع مع هذه التيارات ايضاً. ثم بدأ كفاحها مع الهرطقات: الآريوسية (ق٤) ، النسطورية، الطبيعة الواحدة (ق ٥) ، المشيئة الواحدة (ق ٦ – ٧) ...

(٢٢) **الانتقائية** :

آ) جمع اطروحات من منظومات مختلفة ، بعد استبعاد الوجوه المتعارضة في هذه الاطروحات ... موقف واسع الانتشار .

ب) المدرسة الانتقائية التي ازدهرت في **الاسكندرية** في القرن الرابع م.

٥

هيغل :
« دروس عن فلسفة التاريخ »

المصادر : تسجيـــل الدروس المعطاة بين ١٨٢٢ و ١٨٣١ . مخطوط هيغل **حتى الصفحة ٧٣** الخ .

ص ٢٧ ... « الخطابات... هي أفعال أعمال * بين البشر» ... (بالتالي ليست هذه الخطب ثرثرة) .

ص ٢٩ – الفرنسيون والانكليز أكثر ثقافـــة (« عندهم ... مزيد من الثقافة **القومية** ») – ولكننا ، نحن الالمـــان ، نتجادل على **كيفية** كتابة التاريخ ، أكثر مما نكتبه في الواقع . **هـ . ل** : لطيف وذكي !

٣١ – التاريخ يعلّمنا « ان الشعوب وحكومات الشعوب لم يتعلموا قط من التاريخ شيئـاً : كل عصر متفرّد لدرجة تحول دون ذلك » . **هـ . ل** : ذكي جداً .

NB « بيد أن التجربة والتاريخ يبينان ان الشعوب والحكومات لم تتعلم قط أي شيء من التاريخ ولم تفعـل قط حسب الدروس التي كان ممكنـاً استخلاصُها منه . كل عصر له شروط خاصة لدرجة ، كل عصر يؤلف حالة فردية لدرجة ، توجِب ، والحالة هذه ، اتخـاذ القرار بحكمها ولا تترك مجالاً آخر . » NB .

ص ٣٤ – « العقل يحكم العالم » ...

---

* actions .

٤٤ : ماهية المـادة هي الثقالة – ماهية الروح هي الحرية . **هـ . ل** : ضعيف !

٤٦ « التاريخ الـكلي [الكوني] هو التقدم في وعي الحرية ، التقدم الذي علينا أن نتعرّف عليه في ضرورته » ...

٤٨ (على طريق المادية التاريخية) . بماذا البشرُ مسيَّرون ؟ قبل كل شيء بـ « حبّ الذات » – دوافع الحب ، الخ ، أندر ، ودائرتها أضيق . ماذا ينتج عن كل هذا التشابك من أهواء ، الخ ، من حاجات ، الخ ؟

٥٢ – ٥٣ . « لا شيء عظيم يتحقق في العالم بدون انفعال – هوى* »... الهوى – الانفعـال هو « الوجه الذاتي ، وبقدر ذلك الشكلي – القطعي للقدرة » ...

٥٤ – التاريخ ليس له كنقطة انطلاق غايةٌ واعية .. المهم هو ما **ليس واعياً للبشر** ، ويظهر كنتيجة أفعالهم .

٥٤ ... **بهذا المعنى** « العقل يحكم العالم » NB .

٥٧ ... في التاريخ ينتج عن أعمـال البشر « شيء آخر أيضاً غير الذي يسعون وراءه ويبلغونه ، غـير الذي يعلمونه أو يريدونه مباشرة » ... « إنهم (البشر) يحققون مصلحتهم . ولكن في الوقت نفسه يتحقق شيء آخر أيضاً محويٌّ في هذه المصلحة ولكنه لم يكن في وعيهم ولا في نظراتهم». NB . (انظر انجلس) . (م ١) .

٦٠ «... أولئك هم الرجال العظام في التاريخ الرجال الذين تحوي غاياتهم الخاصة ذاتها العنصر الماهوي الذي هو ارادة الروح الـكلية » ...

٦٨ – إن تَديّن وفضيلة راعٍ ، فلاحٍ ، الخ ، جديران جداً بالاحترام (أمثلة !! NB) ولكن

---

* passion في مقابل action . passion هي هوى ، جموح ، إنفعال .

... « حق الروح الكلية فوق كل الحقوق الخاصة » ...
هنا عند هيغل ليست الانماءات نادرة عن الله والدين والأخلاق بوجه عام – مثالية بازارية تماماً . (م ٢) .

١٤٤ : «إن إلغاء الرق بالتدريج أفضل من إلغاء مفاجىء» ...

٧٩ . إن تكوين [دستور] دولة مع دينها ... ، فلسفتها ، أفكارها ، ثقافتها ، « قواها الخارجية » (المناخ ، الجيران ...) تؤلّف « ماهية واحدة ، روحاً واحدة » .

٨٩ . في الطبيعة الحركة دائرية فقط (!!) – في التاريخ ينخلق جديد ... (م ٣)

١٠٠ . اللغة أغنى حين تكون الشعوب في مرحلة أقل تطوراً ، حين تكون الشعوب بدائية ، – اللغة تفقر مع الحضارة وتشكل قواعد اللغة .

١٠٥ : « التاريخ الكلي يتحرك على أرض أرقى من الأرض التي فيها تجد الأخلاق مَسْكنَها (وضْعَها Staett) الحقيقي ، » ...

١١١ – ١١٢ : لوحة مرموقة عن التاريخ : جمع الأهواء الفردية ، الأفعال ، الخ [**هـ. ل** : جيد جداً] (« في كل مكان خيراتٌ هي خيراتُنا ، وبالتالي في كل مكان ميل مصلحتنا مع أو ضد ») ، تارة كتلة المصلحة العامة ، تارة كتلةُ « **التوى الصغيرة** » الضخمةُ (« الانبساط الهائل لقوى صغيرة تولّدْ أشياء كبيرة مما يبدو تافهاً) . النتيجة ؟ النتيجة هي « **الاعياء** » lassitude . – **هـ. ل** : هام جداً . انظر في صفحة **لاحقة** هذا المقطع **بشكل اكثر تفصيلاً** * .

ص ١٢٠ – **نهاية المدخل** .

---

* ننقله عن لينين في نهاية هذا البحث ، تحت عنوان: « هيغل: حول التاريخ الكوني».

ص ١٢٠ – « **الاساس الجغرافي للتاريخ الكوني** » (عنوان ذو دلالة) : ١٢٠ – ١٤٨ .

١٢١ – « سماء إيونيا الصافية » استطاعت ان تُنتج هوميروس بشكل أسهل ، ولكن هناك أسباب أخرى . – « لا وجود لشاعر في ظل السيطرة التركية » . الخ . **هـ. ل** : (انظر بليخانوف) . م ٤ .

١٢٨ – الهجرة الى أميركا تصفّي « السخط » « وهذا يضمن بقاء النظام البرجوازي الراهن» ... (والحال إن هذا النظام هو « الثروة والفقر» ١٢٨ ...) : **هـ. ل** : !!!

١٢٨ . اوروبا لا تعرف مثل هذا الجزر : لو كانت جرمانيا لا تزال مغطّاة بالغابات لما كان ثمة ثورة فرنسية .

١٤٩ : ٣ أشكال للتاريخ الكوني : ١) الاستبداد ٢) الديمقراطية والارستقراطية ٣) الملكية .

تقسيم : العالم الشرقي – الاغريقي – الروماني – العالم الجرماني . جمل فارغة عن الاخلاق الخ الخ .

الصين . الفصل الاول (١٦٣ – ١٩١) . وصف **الطابع** الصيني ، المؤسسات ، الخ ، الخ . عدم ، عدم ، عدم .

الهند – حتى ص ٢٣٣ – حتى ...

فارس (ومصر) حتى ص ٢٩٤ . لماذا سقطت المملكة الفارسية (الامبراطورية) ، لا الصين والهند ؟ الديمومة لا تعني بالضرورة الكمال . – « الجبال الباقيات ليست أرقى من الوردة التي تتساقط أوراقها بسرعة في حياتها المنتشرة في روائح عطرية . » (٢٩٢) . فارس سقطت لأن التأمل الروحي بدأ هناك (٢٩٣) ، بينما الاغريق أظهروا تفوّقهم ، (مبدأ للتنظيم أعلى » ، مبدأ « الحرية الواعية ذاتها » (٢٩٣) .

٢٩٦ : العالم الاغريقي ... مبدأ « الفردية الخالصة » – حقبة تطوره ، ازدهاره ، سقوطه ، « الصدام مع الأداة المقبلة للتاريخ الكلي » (٢٩٦) – رومـــا مع « ماهيتها » . هـ . ل : التاريخ الكوني ككل ، والشعوب المختلفة « أدواته » .

٢٩٧ : شروط اليونان الجغرافية : تنوُّع طبيعتها (بعكس رتابة الشرق).

٣٠٧ – المستعمرات في اليونان . تراكم ثروات له « دائماً » كتابع البؤس والفقر ... هـ . ل : الثروة والفقر .

٣١٢ – ٣١٣ . « العنصر الطبيعي ، مفسَّراً بالإنسان، بذويّته الداخلية، الجوهرية ، هو بشكل عـام ، بداية الإلهي » (حول الأساطير اليونانية) . هـ . ل : هيغل وفويرباخ . *

٣١٦ . « إن علاقة الانسان وحاجاته مع الطبيعة الخارجية علاقة عملية . وهو إذ يلبِّي حاجاته بفضلها ، يستعملها، فاعلاً بذلك كوسيط . فموضوعات الطبيعة قويّة ، وهي تبدي شتى أنواع المقاومة . للتغلب عليهـــا ، يلجأ الانسان الى ادخال موضوعات أخرى من موضوعات الطبيعة ، وهكذا يدير الطبيعة ضد نفسهـا ولهذه الغاية يخلق أدوات . [هـ . ل : ثمة عند هيغل بذورُ ماديةٍ تاريخية] . هذه الاختراعات الانسانية تنتسب الى الروح ويجب أن نقدّر هـذه الأداة أكثر من موضوع الطبيعة ... يُعزى للآلهة شرف الاختراع الانساني المكرّس لقهر الطبيعة » (عند الاغريق) . [هـ . ل : هيغل وماركس] (م ٥) .

٣٣٣ : الديمقراطية في اليونان كانت مرتبطة بصغر الدوَل . **الخطاب** ، الخطاب الحيّ كان يوحِّد المواطنين ويخلق الحميّة .

---

* فويرباخ : « دروس عن جوهر الدين » .

« لهذا السبب » لم يوجد قط دستور جمهوري في الثورة الفرنسية . هـ . ل : ؟؟

٤٠٢ – ٤٠٣ . « انه (يوليوس قيصر) قد أخمد النزاع الداخلي (مزيلاً الجمهورية التي لم تعد سوى « شبح ») وفتح نزاعاً آخر . حتى ذلك الحين ، لم يكن بالواقع حكمُ العالم قد تخطّى إكليل جبال الآلب . ولكن قيصر فتح مسرحاً جديداً ؛ خلق المشهد الذي كان لا بدّ أن يصير بدءاً من ذلك الحين مركز التاريخ الكلي . » . هـ . ل : هيغل و « النزاعات » في التاريخ .

ثم بصدد اغتيال قيصر : ... « بوجه عام إن ثورة سياسية تنال إن صحّ القول تصديقها الشرعي في رأي البشر اذا تكرّرت (نابوليون ، آل بوربون) ... بفضل التكرّر ، ما كان في البداية يبدو عرضياً وممكناً فقط ، يصير شيئاً واقعياً ومثبّتاً . » . هـ . ل : مقولات الممكن والعرضي **إزاء** الواقعية والتثبّت في التاريخ .

٤٠٩ – ٤٣٠ « المسيحية » .

تَسْطيح – ثرثرة مثالية اكليركية حول عظمة المسيحية (مع شواهد من الانجيل !!) . كريه ، مقيت !

٥٢٧ – ٥٢٨ : لماذا انحصر الاصلاح في بضع أمم ؟ بين أسباب أخرى – « الأمم السلافية كانت **زراعية** » ، مما يؤدي الى «علاقات الأسياد والخدم» ، « إنتاجية » أقل ، الخ . ولماذا الأمم اللاتينية ؟ – **طابعها** (الطابع الأساسي ٥٢٩) . (م ٦) .

٥٣٩ : ... « الحرية البولونية لم تكن شيئاً آخر سوى حرية البارونات [النبلاء الاقطاعيين] ازاء الملك [الرئيس الواحد] ... هكذا كان للشعب نفس المصلحة التي كانت للملوك ضد البارونات ... حين نتحدث عن الحرية ، يجب دوماً أن ننتبه جيداً الى مسألة ما اذا لم تكن هذه الحرية هي بالواقع مصالح خاصة . » . هـ . ل : NB ، العلاقات الطبقية . (م ٧)

٥٥٤ – ٥٥٥ : حول الثورة الفرنسية ... لماذا الفرنسيون مضوا « فوراً من النظرية الى الممارسة » ، لا الألمان ؟

عند الألمان، كان الاصلاح [البروتستانتي] قد صحّح كل شيء ، قد حذف « الظلم الذي يتخطّى اي وصف » الخ . **هـ. ل** : !!! م ٨ .

٥٥٧ – ٥٥٨ : لأول مـــرة (في الثورة الفرنسية) وصل الانسان الى نتيجة ان « الانسان ينتصب على الرأس ، اي على الفكرة ، ويبني الواقع بموجب الفكرة » ... « كان ذلك ... بزوغَ شمس رائعاً » ...

ثم ، اذْ يدرس هيغل « ســـير الثورة في فرنسا » ، يؤكد هيغل بصدد الحرية بوجه عام – حرية **الملْكية** ، حرية **الصناعة** .

... اصدار القوانـين ؟ ارادة **الجميع** ... « العدد الصغير يجب ان يمثل العدد الكبير، ولكنه في أحيان كثيرة **لا يفعل سوى سحقه** »...(٥٥٩) . [**هـ. ل** : انظر ماركس وانجلس *] . « إن سيادة الاكثرية على الأقلية هي ايضاً وبنفس القدر تناقض هائل . » [**هـ. ل**] : ؟

٥٦٣ ... « من حيث قيمته ، إن هـذا الحدث (الثورة الفرنسية) ذو مدى تاريخي كلي – كوني » ...

« الليبرالية » (٥٦٣) « المؤسسات الليبرالية » (٥٦٣) انتشرت في أرجاء اوروبا .

٥٦٨ : « التاريخ الكلي ليس شيئاً آخر سوى نمو مفهوم الحرية » ...

ص ٥٦٩ – النهاية

---

* بشكل خاص ، ماركس : « الحرب الأهلية في فرنسا » .

في الحاصل ، إن فلسفة التاريخ تقـــدّم قليلاً جداً جداً — وهذا أمر مفهوم: إذ هنا بالضبط،في هذا الميدان،في هذا العلْم، حقق ماركس وانجلس أكبر خطوة الى الأمام . وهنـا أكثر من أي ميدان آخر ، هيغل شاخ وأضحى (أنتيكة) .

الأمر الأهم هـو المدخل الذي يحوي أشياء ممتازة في طريقة وضع المسألة . (انظر الصفحة التالية)

هيغل بصدد

التاريخ الكوني

« اذا اعتبرنا الآن التاريخ الكوني من وجهة نظر المقولة التي يجب اعتباره منها ، رأينا تنفتح أمامنا لوحة غير محدودة للحياة الانسانية ، لفاعلية البشر مع أقصى تنوّع من الظروف والأهداف من جميع الأنواع ، لوحة للأهداف والمصائر البالغة الاختلاف . في كل هذه الحوادث والطوارىء، نرى في مستوى الرؤية الأول وقائع وأعمال البشر – ودائماً يجد اهتمامنا ذاته وينحاز . تارةً يجذبنا الجمال أو الحرية أو الثروة ؛ وتارةً يفتننا العزم، وتارةً تتمكن الرذيلة نفسها من أن تفرض نفسها . ويحصل ان نرى تتقدم ببطء وهيبة كتلةُ مصلحةٍ عامة، ولكننا في أحيان أكثر نرى تدخلاً هائلاً لقوى صغيرة – وتنبثق أشياءُ جبارة عمّا يبدو تافهاً . وأمامنا في كل الحالات مشهد مبَرْقَش ، ولا يختفي شيء إلا ويحل محله شيء آخر . (٧٣) .

ولكن النتيجة الأولى لهذه الدراسة ، رغم قوة جذبها لنا ، هي **التعب** الذي يتبع مشهداً بالغ التنوّع، مشهدَ فانوس سحري، ومع اعترافنا باستحقاق كل منظر مفرد تستيقظ فينا مسألةُ معرفة ما هي إذن غاية كل هذه العناصر المفردة ؛ هل كل منظر مستنفَد في هدفه الخاص أم أليس علينا بالأحرى أن نتصوّر مفهومياً هدفاً أخيراً واحداً لكل هذه التواريخ [القصص] ؟ وراء ضجيج وقرقعة هذا السطح ألا يوجد فعل وتقدُّم عمل، عمل داخلي، صامت، سرّي، فيه تنحفظ القوةُ الجوهرية لكل هذه الظاهرات العابرة؟ ولكن حتى اذا لم نجلب الى التاريخ الكلي فكرةَ ،معرفةَ العقلِ، يجب على الأقل أن نجلب اليه الايمانَ العميق الذي لا يُقهَر بأن العقل هو فيه أو على الأقل الايمانَ بأن عالم الفهم [الذكاء] والارادةِ الواعية ذاتَها ليس متروكاً للمصادفة بل يجب أن يتظاهر في ضوء الفكرة التي تعرف نفسها بنفسها . » (٧٣ – ٧٤) .

((N. B. في المقدمة ، ص XVIII ، ذكر الناشر غانس ان النص حتى الصفحة ٧٣ مكتوب من قبل هيغل في عام١٨٣٠ ، مخطوط – «انضاج»)) .

ملاحظات

(١) إن فكرة هيغل«العقل يحكم العالم» أرقى من هذه الفكرة عند ماديي القرن الثامن عشر الفرنسيين. المثالية الموضوعية والمطلقة الهيغلية أرقى جذرياً وأقرب الى المادية من المثالية التاريخية الذاتوية لماديي القرن الثامن عشر. عند هيغل : العقل الذي يسيّـر العالم (يسيّره بمعنى ما محدّد) ليس عقل فرد او أفراد او جمـاعة بل العقل الموضوعي ، عقل الواقع (سببية ، ضرورة ، ديالكتيك) الخ ، ويجتمع ديالكتيك هيغل وموضوعيته مع جذره المثـالي وإغلاقه الغائي .

ماركس ، انجلس ، لينين ، يستأنفون – عـلى قاعدة المادية – إشكالية هيغل التي تخلّى عنها فويرباخ . فويرباخ رمى ، مع التصويف المثالي والديني، جدل هيغل .

كتـاب **انجلس** عن « **لودفيغ فويرباخ** » يبـدو – خارج مسألة **الأساس** المادي – تثميناً لهيغل ، وتثميناً له ضد قصور فويرباخ ...

نطلب من القارىء ان يعود الى **الفصل الرابع** والأخير من كتاب انجلس، وان يطالعه في نصه الكامل .

(٢) إن مئات الصفحات من كتابات ماركس ، انجلس ، لينين ، تتّصل مباشرة بالدين . انظر بشكل خـاص بمجموعة « **حول الدين** » لِـ **ماركس وانجلس** الصادرة عن دار الحقيقة ، بيروت .

إن موقف الماركسية من الدين **تابع** لمبادئها ، لجوهرها ، كمادية، (وبالاحرى والأصح كمادية **جدلية وتاريخية**) . ولكن يمكن ويجب القـول ان تأسيس الماركسية على يد ماركس يتعادل مع نقد الدين (ونقد نقـّاد الدين) : هذه « النقطة » تشغل مكاناً كبيراً في « الاطروحات عن فويرباخ » ...

ولا بأس من ان ننقل هنا ردّ لينين على غوركي :

« من الخطأ ان الله هو عقدة أفكار توقظ وتنظّم المشاعر الاجتماعية . تلك مثالية بوغدانوفية تقنّع الأصل المادي للأفكار . إن الله هو تاريخياً ويومياً يشكل أوّل عقدةُ أفكار يُولّدها سحقُ الانسان من قبل الطبيعة الخارجية والاضطهاد الطبقي، أفكار تعزّز هذا الانسحاق وتنوّم صراع الطبقات. كان هناك زمن في التاريخ كانت فيه فكرة الله، كفاحُ الديمقراطية والبروليتاريا ، يقاد في شكل كفاح فكرة دينية ضد فكرة دينية أخرى، ولكن هذا الزمن قد ولّى منذ أمد طويل . أما الآن ، في اوروبا وفي روسيا ، فإن كل دفاع عن فكرة الله او تبرير لها ، مهما كان ناعماً او حسن النية ، هو تبرير للرجعية . » .

وفي هذه القضية ، ميزت الماركسية وجهاً اجتماعياً سياسياً ، طبيعياً — تاريخياً (الجذر الاجتماعي للدين) ، ووجهاً معرفياً غنوزيولوجياً (فلسفياً محضاً إن صح التعبير) . هذا الجذر المعرفي هو التجريد ، **طبيعة** المعرفة كمعرفة ، الربط الخ . إحدى أهم مآثر لينين — كفيلسوف أنه قبض على هذا الجذر المعرفي ، أمسك بهذه النقطة ، بسّطها ، أكّدها بحدّة ، في « خلاصة كتاب **الميتافيزياء** لأرسطو » ... والماركسيون الذين لم يروا هذه النقطة أقاموا ديناً جديداً ، إلهاً جديداً ، آلهةً جديدة ...

(٣) نقرأ عند هيغل : « إن التغيّرات في الطبيعة ، رغم تنوّعها اللامحدود ، لا تُبيّن إلاّ حركة دائرية تتكرّر بلا انقطاع ؛ في الطبيعة لا ينتج جديد تحت الشمس ... » .

هذا الموقف تصويف للفرق الاساسي الأكيد بين الطبيعة والانسان . المادية تؤكد أوّلية وأزلية الكينونة — الطبيعة — المادة ؛ وهذه « الأزليّة » تحوي او تتضمّن التكرارية كتعيين لازم وغير كاف . بيد أن مثالية هيغل تتعارض مع هذا الانطلاق . هذا **أولاً وثانياً** : لقد اتخذ هيغل موقفاً خاطئاً من

الصراع بين فكرة ثبات الانواع الحية ، وفكرة نشوئها وتحوّلها وتطوّرها ؛ أيّد نظرية الثبات . علماً بأن الموقف المعاكس كان وارداً عند بوفون ، ديدرو ، غوته ، لامارك ، جوفروا دو سانت ايلير .

الديالكتيك المادي هو الذي أسّس التاريخية بشكل علمي ونهائي . ولقد كتب ماركس وانجلس في « **الايديولوجيا الالمانية** » (١٨٤٦) : « لا نعرف سوى علم واحد هو علم التاريخ . التاريخ يشمل وجهين ؛ يمكن تقسيمه الى تاريخ الطبيعة وتاريخ الانسان . بيد ان هذين الوجهين غير قابلين للفصل . ما دام هناك بشر ، فإن تاريخ الطبيعة وتاريخ البشر مترابطان . إن تاريخ الطبيعة – علم الطبيعة – لا يعنينا هنا ؛ علينا ان نعنى بتاريخ البشر ، اذ أن الايديولوجيا بكاملها تقريباً ليست إلا تجريداً شاملاً لهذا التاريخ ، الايديولوجيا نفسها ليست إلا وجهاً من هذا التاريخ » . وتتمة هذا النص هو أسس المادية التاريخية، قاعدة التصور العلمي المادي لتاريخ المجتمع البشري...

إن مؤلفات **عديدة** لماركس وانجلس ولينين ، في ميادين متنوّعة ، تعطينا صورة ممتازة عما يمكن ويجب تسميته المنهج التاريخي العلمي الذي لا وجود للماركسية بدونه . ماركس ، انجلس ، لينين ، يعرضون بدقة وقائع ثورات ١٨٤٨ (صراع الطبقات في فرنسا ، ١٨ برومير لوي بونابارت ، الثورة والثورة المضادة في المانيا ...) ، حرب الفلاحين الالمان (في القرن السادس عشر) ، مؤتمر حزب الماركسيين الروس في ١٩٠٣ ، تجربة البلاشفة ، الخ . هذا في ألفباء المنهج الماركسي .

(٤) **بليخانوف** أكد أهمية **الشروط الجغرافية** في مؤلفات عديدة : المسائل الأساسية للماركسية ، عن التصوّر المادي للتاريخ ، فلسفة هيغل ...

ولكن – كما يقول النقد الدارج – بليخانوف « بالَغ » . ضد هذا النقد، يجب القول أن الملخَّص الستاليني للماركسية (مؤلف ستالين « المادية الجدلية والمادية التاريخية ») فعل « العكس » ، ولفلف المسائل في صيغة تُخرِج

عملياً العامل الجغرافي من عداد العوامل الفاعلة تاريخيـاً على أساس ان الثابت (الثابت الى حد كبير خلال الوف السنين ، قصدنا « الشروط الطبيعية ») لا يحدّد ولا يقـــرّر المتغيِّر (وتاريخ البشر = تغيُّر ...) . هذ الأساس المنطقي ليس منطقياً تماماً . وبهذا الموقف ، لا يمكن تعليل الفرق بين تاريخ الشرق وتاريخ اوروبا . وستالين يرفض هذا الفرق ، ويدفن مقولة «الاسلوب الآسيوي للانتاج » (ومفهوم الركود الشرقي الخ) . بالمقابل، بليخانوف يؤكد هـــذه المقولة ، يقيم خطّين اثنين لتاريخ البشرية الماضي ، ويعطي تعليلاً جغرافياً (أحاديّ الجانب) لهـذا الفرق ، يعلن ان أدوات الانتاج **تقرّر** علاقات الانتاج وان الشروط الطبيعية **تقرّر** أدوات الانتاج (يستعمل لفظاً واحداً) الخ .

في الحالتين – بليخانوف، ستالين – دوغمائية تكمّلها تجربية ، او بالأصح دوغمائية وتجربية متلازمتان ، على قاعدة إلغـاء فرق « واقع الشيء ومفهوم الشيء » ، فرق « الكينونة والفكر » :

من جهة ، الاساسي العـــام الجوهري الخ ومن جهة ثانية الثانوي الخاص العرضي الذي يمكن ان يلعب دوراً مساعداً او معوّقاً لخطّ الضرورة والحتمية والآلية ؛ والقانون (المقولات) يتحقق ، يتوقّع ، سواء كان قانوناً واحداً وحيداً (ستالين) او قانوناً يتفرّع الى قانونين (بليخانوف) . الفرق بـين الاثنـين هو ان بليخانوف ينقل الطبيعة الجغرافية الى الجهة الاولى . لا يمكن القول أنه مخطىء ، يجب القول ان موقفه أفضل من موقف ستالين ، ولكن يجب القول ان المنهج في الحالتين خاطىء ، وأنـــه يضع العلم الماركسي في طريق مسدود .

إن إحدى أهم ظاهرات التاريخ هي **الانتقال** او **النقل** transfert هذا الانتقـــال من منطقة الى منطقة ليس **خارج** الضرورة او الحتمية . بيد أن المنهج الدارج يطرد من « الضرورة » و « العام » و «الجوهري» و«القاعدة» ،

« خاصاً » بعد « خاص » و « عرضياً » بعد « عرضي » الخ ، فلا يبقى من الضرورة سوى **كلمة** « ضرورة » !

مرةً أخرى نقول : إن **العالم** ليس « **المجتمع** » ، تجريدُ مفهوم المجتمع ؛ العالمُ وحدةُ **مناطق** ، **مجتمعات** ، **شعوب** الخ ؛ هـــذه الوحدة تنشأ وتنمو وتتغيّر عبر التاريخ. إن مفهوم **العالمية** mondialité مفتاح أساسي في اللينينية وفي الماركسية . بدون العـــالمية ، كل تاريخ البشرية ، كل النوع الانساني ، يصبح غير مفهوم ...

(٥) لابأس من التذكير بأهمية أسطورة بروميثيوس (الحضارة « الاوروبية» بروميثيئية ، بروميثيوس مذكور في مقدمة رسالة الدكتوراه لماركس عبر اسخيلوس وابيقور) . انظر أيضاً مقالات ماركس عن الهند ١٨٥٣ (موقف الانسان إزاء الطبيعة في الهند وفي الغرب) ، والفصل الاخير من **مدخل١٨٥٧** (حديث ماركس عن الميثولوجيا اليونانية) ...

(٦) الاصلاح البروتستانتي (ق ١٦) لم يشمل السلاف واللاتين ، بوجه الاجمال . البروتستانت سُحقوا في فرنسا ، في بلجيكا الخ .

الاصلاح البروتستانتي البرجوازي المتقدم انتصر في هولندة ، وفي شكل قومي معدَّل في انـكلترة .

اللوثرية نجحت في أكثر من نصف ألمانيا حيث قـــام الصلح الذي أنهى الحروب الدينية والسياسية على مبدأ « الناس على دين ملوكهم » (الفلاحون يتبعون مذهب الأمير) ، وهذا كان عائقاً **إضافياً** في طريق تطوّر المانيـــا اللاحق ، في طريق تلاحمها ووحدتها .

لوثر أيد الأمراء ودعا الى سحق الفلاحين ابان « حرب الفلاحين الالمان » التي قادها توماس منتسر . هذه الحقيقة الأساسية والمرتبطة بجملة تفكيره لم تمنع انجلس والماركسيين من تسجيل وجه إيجابي في عمله : انه أحد ممثلي العصر

الحديث ، مُصلح اللغة الالمانية ، واضع « مارسييز القرن السادس عشر » (نشيد « ربّنا حصن أمين ») * .

حسب ماركس وانجلس ، لوثر ألغى الكاهن ولكنْ وَضعَهُ في قلب كل انسان ، جعل كل إنسان كاهناً على ذاته . ثمة في هذا الموقف عودة الى المسيحية الاولى ، الى الرواقية ، الى الفردية والذاتية . وقد أشار ماركس الى ارتباط ذلك الأصل المسيحي بالطور الأخير من مجتمع الرق ، طور انتشار الاقتصاد السلعي، (وسيطرة وانحلال الامبراطورية الرومانية) ، و « تَذَرُّر» المجتمع الى أفراد ، أي ما يمكن ان نعتبره البذرة البرجوازية في مجتمع الرق، البذرة التي طواها العصر الاقطاعي .

كالفن دفع الأمور ـ أمور الايديولوجيا الدينية ـ الى الأمام ، وكانت رقعة الكالفينية وصراعاتها فرنسا والبلدان الواطئة (هولندة ، بلجيكا) ، انكلترة وسكوتلندة ...

هيغل الفيلسوف ينسب نفسه الى لوثر المصلح الديني الألماني . يستشهد مراراً بمطلع نشيده الجنائزي « الله نفسه مات » ، مؤكداً وحدة هوية الله والانسان ، وحدة المطلق والنسبي، تلازم اللامحدود والمحدود، العام والخاص، مُؤَوِلاً لوثر والمسيحية هذا التأويل ، مؤكداً ما يعتبره نفَساً اوروبياً مسيحياً مغايراً للشرق ... انظر مؤلف روجه غارودي : **فكر هيغل** ، دار الحقيقة . **ضد** تأويل هيغل ، يجب التذكير بأن الدين (ولا سيما المسيحي) هو أولاً ايمان بإله خالق للكون ، متعالٍ transcendant ، وإن **الخاصة** المسيحية العقيدية (بالمقارنة مع الاسلام واليهودية) ـ قصدنا : عقيدة المسيح الآله ـ الانسان الخ ـ هي بند ثانٍ في العقيدة المسيحية .

---

* لوثر يمثل الجناح اليميني الأصلاحي ومنتسر الجناح اليساري الثوري في الثورة البرجوازية. هذه الحالة تتكرّر في القرن التاسع عشر على يد ممثلين آخرين في الثورة البرجوازية .

(٧) هذه الحالة ـ لقاء الملك و « الشعب » ضد الأمراء النبلاء ـ هيمنت على قسم كبير من تاريخ فرنسا .

بوجه الاجمال ، إن علاقات (تحالفات وتصارعات) الملك ـ النبلاء ـ البرجوازية ـ الفلاحون ـ « العمال» وعوام المدن ـ الكنيسة (العليا والدنيا) ـ تُقَدِّم لوحةً **متنوعة** مختلفة بين قطر وآخر ، وبين طور وآخر في تاريخ صراعات العهد الاقطاعي الطويل .

(٨) هذه مسطرة من قصور وتعامي ومثالية ورجعية هيغل.مرة أخرى : لوثر بارك الامراء ... الذين انتهو الى تثبيت الاقطاعية والتجزؤ أي «عاملي» تأخر ألمانيا اللاحق ، تأخرها البالغ عن ركب الجيران الغربيين . « العوامل الأخرى » لهذا التأخر : خروج المانيـــا من تيار التبادل العالمي بعد تدهور البحر المتوسط ، انشطارها « الجغرافي » والديني ، سياسة الدول الكبرى المجاورة ، تبعثر المانيـــا بين ٣٠٠ دولة ودويلة ، تدهور أو ركود تعداد السكان ، « البؤس الالماني » المادي والنفسي والسياسي ، الزحف على البطون في البلاطات ... تعاليم اللوثرية، الارتداد على النفس من أجل خلاصها ،اللعنة التي أنزلها المصلح الديني بثورة الفلاحين ، كانت من أهم عناصر هذا « البؤس الالمـــاني » .

٦

خلاصة كتاب لاسال

« فلسفة هيراكليت غامض إفسس »

في الاستشهاد الذي يتصدر الكتاب ، بين أمور أخرى ، مقطـــع من هيغل – من « **تاريخ الفلسفة** » لهيغل – يقول فيه انه ليس ثمة قضية واحدة لهيراكليت إلاّ وأخذها في منطقه .

أوردتُ هـــذا الشاهد . هيغل ، **المؤلفات الكاملة** ، المجلد ١٣ ، ص ٢٤٦ ، دروس عن تاريخ الفلسفة * .

نرى بوضوح لماذا وصف ماركس هذا المؤلف للاسال بأنه « عمل تلميذ » (انظر رسالته الى انجلس بتاريخ ...**) . لاسال يردّد هيغل ، **ينقله ؛ يمضغه** ألف مرة حول مقاطع مختلفة لهيراكليت،مالئاً عمله لدرجة لا تُصدَّق بحشوٍ من اطلاع واسع مدَّعٍ .

الفرق مع ماركس : عند ماركس ثمة كُتَل من **أشياء جديدة** وهو معنيّ فقط بالحركة الى أمـــام التي تذهب من هيغل ومن فويرباخ والتي تتجاوزهما ، التي تذهب **من** الديالكتيك المثالي **نحو** الديالكتيك المادي . لاسال يلوك هيغل على موضوع خاص اختاره لنفسه . في الحاصل : نَسْخٌ لهيغل **بصدد** شواهد من هيراكليت وعن هيراكليت .

لاسال قسم مؤلفه الى قسمين : « قسم عـــام . مدخل » (المجلد الأول ، ص ١ – ٦٨) . « قسم تاريخي . مقاطع وشهادات » (الباقي)***. الفصل

---

* انظر صفحة سابقة من ترجمتنا . (دروس عن تاريخ الفلسفة : هيراكليت) .

** بتاريخ ١٨٥٨/٢/١ .

*** كتاب لاسال يقع في مجلدين .

الثالث في القسم العـــام : « بسط منطقي موجز لمنظومة هيراكليت » . (ص ٤٥ – ٦٨) ، يعطي زبدة الطريقة ، – محاكات لاسال . هذا الفصل نقل خالص ، ترداد عبودي لهيغل **بصدد** هيراكليت ! هنا أيضاً (وأكثر أيضاً في القسم التاريخي) ، جبال اطّلاع ولكن من أدنى نوع : لقد حدّد لنفسه مهمة : العثور على هيغل في هيراكليت . وهو يحقق المهمة « بشكل لامع » ، كتلميذ مجتهد يقرأ كل مـــا يتصل بهيراكليت عند الأقدمين (و الحديثين) ويؤوّل **المجموع** حسب هيغل .

ماركس ، في ١٨٤٤ – ١٨٤٧ ، انطلق من هيغل ذهابـاً الى فويرباخ ، **ومتجاوزاً** فويرباخ ، نحو المادية التاريخية (والديالكتية) . لاسال بدأ في ١٨٤٦ (المقدمه ص٣) ، واستأنف في ١٨٥٥ وأنهى في آب ١٨٥٧ (المقدمة ص ١٥) عملاً هو عمل **مَضْغٍ** خالص ، فارغ ، لا جدوى فيه ومُدَّع ، للهيغلية !!

بعض فصول القسم الثاني مثيرة للاهتمام وغير خالية من الفائدة لأنها احتوت تراجم لنصوص هيغل وتبسيطاً شعبياً لهيغل ، الأمر الذي لا يحذف شيئاً من جميع العيوب التي أشرتُ إليها سابقاً .

أحياناً ، تبدو فلسفة الأقدمين وفلسفة هيراكليت ظريفة فعلاً بسذاجتها الطفلية ، مثلاً ص ١٦٢ « ما هو سبب كون بَوْل الذين أكلوا ثوماً له رائحة الثوم ؟ » .

والجواب :

« أَلِأنَّه ، كما يقول بعض تلامذة هيراكليت، يحصل في الجسم (العضوي) نفس سيرورة التحويل بالاحتراق التي تحصل في الكون، ومن ثم، بعد التبرّد، يجتمع هنالك (في الكون) كرطوبة ، هنـا كبوْل ، ولأن التحوّل يُنتج انطلاقاً من الغذاء رائحة ذلك الذي اختلط معه هذا الغذاء وتولّد منه» ...

(١٦٣) . ص ٢٢١ وبعدهـــا ، يذكر لاسال بلوتارك* الذي قال عن هيراكليت : ... « إن كل شيء هو منتوج الاحتراق انطلاقاً من النار كما أن النار هو منتوج كل الأشياء ، تماماً كما أننا نحصل على الموضوعات [الاشياء] بواسطة الذهب وعلى الذهب بواسطة الموضوعات » ... **ه . ل :** هيراكليت حول الذهب والسلع .

(وعن وظيفة المال .
القيمة .)

بهذه المناسبة ، يتحدث لاسال عن **القيمة** (ص ٢٢٣ NB) التي يبسطها على طريقة هيغل (كـ « وحدة مجرّدة مأخوذة على حدة ») ويضيف : ... « إن هذه الوحدة ، النقد [العُملة] ، ليست شيئاً مـا **واقعياً** ، بل هي شيء **فقط فكري** آو **مثالي** (التشديد من لاسال) ، وهـــذا يتبيَّن من كون ... » الخ . **ه . ل :** هذا غير صحيح : مثالية لاسال .

(ولكن على كل حال لاحِظْ ان هذا وارد في كتاب صدر في عام ١٨٥٨ ، ومقدّمته مذيّلة بتاريخ آب ١٨٥٧) .

في الملحوظة ٣ ، ص ٢٢٤ (٢٢٤ – ٢٢٥) ، لاسال يعالج بشكل أكثر تفصيلاً مسألة المال ، يقول ان هيراكليت لم يكن « اقتصادياً » ، ان المـال هو ((فقط ؟؟)) إشارة قيمـــة ، الخ ، الخ (« كل ما ليس إلا الوحدة المثالية أو تعبير القيمة لكل المنتوجـات الواقعية الموجودة في التداول ») (٢٢٤) الخ .

بما أن لاسال يتكلم هنا ، بشكل مُبهم ، عن الاكتشافات الأخيرة في هذا الميدان – نظرية القيمة والمال – يمكن افتراض ان في ذهنه محادثات ورسائل من ماركس .

---

* Plutarque ، بلوطارخ ، مؤرخ يوناني (ق ١ – ٢ م) .

ص ٢٢٥ – ٢٢٨ ، يذكر لاسال **مقطعاً** طويلاً لبلوتارك ثم يبرهن (بشكل مقْنع) ان المقصود هيراكليت، وان بلوتارك يعرض في المقطع المعني « الملامح الأساسية لثيولوجيا هيراكليت النظرانية » (ص ٢٢٨) .

المقطع جيِّد – يعطي **روح** الفلسفة اليونانيـة ، السذاجة ، العمق ، الانتقالات والمضي ، الانصهار .

لاسال يستخلص أيضاً من هيراكليت مذهباً لاهوتياً كاملاً و « منطقياً موضوعياً » (هكذا ! حرفياً !) الخ . باختصار ، هيغل « بصدد » هيراكليت !!

لاسال يشدد ويكرر الى ما لا نهاية (وبالحقيقة ، هـــذا متعب) ان هيراكليت ليس فقط يتعرّف على الحركة في كل شيء ، ويتخذ كمبدأ له الحركة أو الصيرورة Werden ، بل أن المسألة هي بالضبط فهم هذه الحركة من حيث هي « التماثل السيروري للأضداد المطلقـــة » (ص ٢٨٩ وصفحات أخرى كثيرة) . لاسال يُدخِل ، بضرباتٍ مطرقةٍ ، في رأس القارىء ، الفكرة الهيغيلية القائلة انه في المفاهيم المجرَّدة (وفي منظومتها أو مذهبها) **مـــن المستحيل** التعبير عن مبدأ الحركة بغير مبدأ تماثل أو هوية الضدّين . الحركة والصيرورة ، بوجه عام ، يمكن أن يحصلا بلا تكرار ، بلا عودة الى نقطة الانطلاق ؛ **وفي هذه الحال** ، إن حركةً كهذه لا تكون « تماثـــل الضدين » ولكن الحركة الفلكية والحركة الميكانيكية (على الأرض) ، حياةَ النباتات ، والحيوانات ، والانسان ـ هذا كله قد أدخل في رأس البشر ليس فقط فكرة الحركة ، بـل أيضاً وخصوصاً فكرة الحركة مع رجوع الى نقاط الانطلاق ، أي الحركة الديالكتية .

هذا ما تعبّر عنه بشكل لطيف وساذج الصيغة (أو الحكَمة) الشهيرة لهيراكليت : « لا يسبح المرء مرتين في نفس النهر » ـ ولكن في الاساس أو النتيجة (كما قال كراتيل cratyle وهو تلميذ من تلامذة هيراكليت)

لا يستطيع المرء أن يسبح فيه مرة واحـدة (لأن زمن نزول كل الجسد في الماء كافٍ لكي لا يبقى الماء نفسَه) .

(NB . إن كراتيل هذا قد دفع ديالكتيك هيراكليت حتى **السوفسطائية أو السفسطة** (ص ٢٩٤ ـ ٢٩٥ وغيرها) إذْ قال : لا شيءَ حق ، لا يمكن قول أي شيء عن أي شيء . هذا استنتاج سلبي (وسلبي فقط) للديالكتيك. بالعكس ، هيراكليت كان له كمبدأ : « كل شيء حق » ، ثمة في كل شيء (قسْطٌ) من حقيقة . كان كراتيل لا يفعل سوى «تحريك إصْبعه» كجواب على كل شيء ، راسماً بذلك أن كل شيء يتحرّك انه لا يمكن قول أي شيء عن أي شيء .

لاسال في هذا المؤلف فاقد تماماً حسّ القياس : انه **يُغرِق** حرفياً هيراكليت**في هيغل** . وهذا مؤسف. **هيراكليت بلا مبالغة،** هيراكليت من حيث هو أحد مؤسسي الديالكتيك ، يكون بالغ الفائدة . من الصفحات الـ ٨٥٠ للاسال ، يكون من الواجب استخلاص الزبدة في ٨٥ صفحة وترجمتها الى الروسية تحت عنوان: « هيراكليت ، أحد مؤسسي الديالكتيك (نقلاً عن لاسال) » . يمكن أن يخرج منه شيء مفيد ! .

القانون الأساسي للعالم حسب هيراكليت (لوجوس ـ الكلمة le Verbe م ١ ، أحياناً « القدَر * » هو قـانون التحوّل [تحوّل الشيء] الى ضده » (ص ٣٢٧) (= « قدَر ، مصير ، صيرورة ») .

لاسال يؤوّل معنى كلمة « قدَر » : انه « قانون التطور ـ الانبساط » (ص ٣٣٣) . وبهذا الخصوص يذكّر ؛ بين أمور أخرى ، بـ

---

* نعتمدها كترجمة للكلمة اليونانية الواردة هنا بأحرف يونانية . كان يمكن ان نقول : ضرورة ، مصير ، (صيرورة) . عند الرومان fatum . باليونانية eimarmene . م ٢ .

أقوال نيميزيوس Nemesius : « ديموقريط وهيراكليت وابيقور يريدون أنْ ليس ثمة رعاية providence لا للكلّي ولا للمفرد » (الصفحة نفسها) .

من الغريب ان لاسال الذي يكرّر بلا فائدة فلسفة هيراكليت الدينية لا يستشهد ولا يذكر مرة واحدة فويرباخ ! مـــاذا في الحاصل كان موقف لاسال من فويرباخ ! موقف مثالي هيغلي ؟

ولذا استطاع فيلو ان يقول عن مذهب هيراكليت ... انه ، مثل مذهب الرواقيين ، يشتقّ كل شيء **من** العالم و **في** العالم ، ولكنه لا يؤمن ان لا شيء يأتي من الله » (٣٣٤) **هـ. ل** NB .

مثال عن « تعديل » على طريقة هيغل :

اليكم كيف يترجم لاسال المقطع الشهير لهيراكليت (نقلاً عن Stobée) بصدد « ما هو وحده حكيم » :

« خطابات كثيرة سمعتُها ، ولكنّ أحداً لا يصـل الى الاعتراف بأن ما هو حكيم هو ما هو مفصول عن الكل (أي عن كل ما هو موجود) . ٢٢ (٣٤٤) .

– يعتبر كلمات « حيوان أو آله » إدخالاً ويرفض ترجمات ريتر Ritter (« الحكمة بعيدة عن الكل ») (٣٤٤) وَشلاير ماخر Schleiermacher « ما هو حكيم معزول عن كل شيء » ٣٤٦ ، بمعنى : « المعرفة » مميّزة عن علْم المفرد .

حسب لاسال ، المعنى هو الآتي :

أنّ « المطلق (ما هو حكيم) خال من كل وجود حسّي ، إنه السلبي » (٣٤٩) – أي السلبي = مبدأ النفي ، مبدأ الحركة . وهذا تزوير جلي في الاتجاه الهيغلي : إدخال هيغل **في** هيراكليت . (م ٣) .

جمهرة من تفاصيل عن الرابطة (الخارجية) لهيراكليت مع

اللاهوت الفارسي، اورموز – أهريمان (م ٤) ، تعليم السحْر ، الخ ، الخ ، الخ .

قال هيراكليت : « الزمان هو جسْم » (ص ٣٥٨) ... هذا ، على ما يبدو ، بمعنى وحدة الكينونة والعدم . الزمان هو وحدة الكائن واللاكائن الخالصة ، الخ ! .

النار عند هيراكليت تكون = مبدأ الحركة (وليس النار بالمعنى العادي)؛ والنار شيء مشابه في مذهب الفلسفة (والديانة) الفارسية ! (٣٦٢) .(م٥).

لئن كان هيراكليت **أول** من استخدم كلمة **لوجوس** (« الكلمة ») في المعنى الموضوعي (loi قانون) يكون أيضاً قد أخذها عن الدين الفارسي... (٣٦٤) .

– شاهد من الـ زند – آفستا Zend Avesta (٣٦٧) .

في الفنرة ١٧ عن العلاقة بين « العدالة » * و« القدر » ، لاسال يؤوّل هذه الافكار لهيراكليت بمعنى «ضرورة » ، « رابطة » (٣٧٦) .

NB : « **رابطة كل شيء** » ** (ص ٣٧٩) .

أفلاطون (في كتابه « ثيتيت ») يعبّر عن فلسفة هيراكليت بقوله :

« الضرورة تربط جوهرية [ماهويّة] الكينونة » ...

« هيراكليت هو مصدر هذا التصوّر الشائع عند الرواقيين الذي يعبّر عن « قدَر » ، ضرورة كل الظاهرات rerum omnium necissitas على أنها **الرابطة** والارتباط ، الترابط illigatio » ... (٣٧٦) .

شيشرون *** :

---

* وردت باليونانية Dikré ، وهي ايضاً إلهة العدالة ...

** وردت بالفرنسية ، ثم باليونانية .

*** خطيب روما الاشهر (ق ١ ق م) .

« أدعو destin [مصير] مـــا يدعوه الإغريق « قدر » ، اي نظام [تسلسل] وتعاقب الاسباب ، حين السبب المرتبط بسبب آخر يولّد بنفسه شيئاً » (ص ٣٧٧) .

لقد مضى الوف السنين منذ ولادة فكرة « رابطة كل شيء»، فكرة « سلسلة الاسباب » . إن مقارنة مختلف الاشكال التي بها فُهِمت هذه الاسباب في تاريخ الفكر الانساني كان من شأنها أن تعطي نظرية عن المعرفة تكون بلا شك مقْنِعة .

المجلد الثاني .

بخصوص « النار » ، يبرهن لاسال مكرراً نفسه ألف مرة ، أنهـــا عند هيراكليت « مبدأ» . انه يلحّ بشكل خاص على **مثالية** هيراكليت (ص ٢٥– إن مبدأ التطور ، الصيرورة ، هو **منطقياً** موجود سابقـاً عند هيراكليت ، ان فلسفته = فلسفة مثـــالية ، كذا !!! (ص ٢٥) « تأويلات قسْرية **في الاتجاه** * الهيغلي ! »

هيراكليت يقبل « ناراً خالصة ولا مادية بشكل مطلق » (ص ٢٨ ، **تيماو** ** ، عن هيراكليت) ...

ص ٥٦ (المجلد الثاني)، لاسال يذكر نصاً (لِكليمان clément الاسكندري، Strom V ، الفصل ١٤) عن هيراكليت يقول ، في ترجمة حرفية :

« العالم ، وحدة الكل ، لم يخلقه أي آله ولا أي انسان ، ولكنه كان وهو سيبقى ناراً حية أزلياً تشتعل وتنطفىء بموجب قوانين » ... NB

---

* sens : معنى اتجاه ، (وحسّ) . في العربية ، المعنى هو أيضاً القصد (أعني كذا = أقصد كذا) .

** Timée ، احدى « محاورات » أفلاطون .

هـذا عرض جيد جداً لمبادىء المادية الجدلية * . ولكن في الصفحة ٥٨ يعطي لاسال عن المقطع نفسه « الترجمة الحرّة » الآتية :

«العالم ــ كان وهو ــ وسيبقى صيرورة دائمة، تنتقل باستمرار ولكن بشكل نظامي من الكائن الى اللاكائن (السَيْروري) ومن هذا الاخير الى الكائن (السيروري) » .

هذه مسطرة ممتازة عن الطريقة التي بهـا يعامل لاسال هيراكليت ، في الاتجاه الهيغلي ، يخرّب حيوية وطراوة وسذاجة هيراكليت وصحته التاريخية بتأويلات تسحبه نحو هيغل (تأويلات تسمح للاسال بان يكرّر هيغل على عشرات الصفحات) .

الباب الثاني من القسم الثـاني (« الفيزياء » ص ١ ــ ٢٦٢ !!! في المجلد الثاني) لا يُطاق إطلاقاً . ثمة هنـا بقِرْش من هيراكليت وبليرة ذهبية من مضغ لهيغـل ومن تأويل خاطىء . لا يمكن للمرء إلا تصفّحه لكي يتمكّن من نصح الجميع بأن لا يقرؤوه ! .

من الباب **الثالث** (« نظرية المعرفة ») استشهاد مأخوذ من **فيلون** .

« اذْ ان الوحدة هي مـا يتألف من ضدّين ، بحيث يظهر هذان الضدان بمجرد قطع الوحدة الى اثنين . أليس هـذا المبدأ هو ، حسب الهيلين [الإغريق] ، مـا كان يضمه هيراكليتُهم العظـيم والشهير في رأس فلسفته ويفاخر به على انه اكتشاف جديد ؟ » ... (٢٦٥) . NB NB . **

والشاهد التالي أيضاً من فيلون :

---

* ستالين ذكر هـذا المبدأ الهيراكليتي وتعليق لينين عليه في مؤلفه « المادية الجدلية والمادية التاريخيـة » .

** لينين أحال القارىء على هذا الشاهد في مطلع مقاله« **حول الديالكتيك** » الذي يمكن اعتباره أهم وأكثف مؤلف فلسفي للينين . (انظر لينين : دفاتر عن الديالكتيك) .

... « بنفس الكيفية ، إن أجزاء الكون مقسومةً الى اثنين ومعارضة فيما بينها : الأرض الى جبل وسهل ، الماء الى حلو ومالح ... بنفس الكيفية ، الجو الى شتاء وصيف وأيضاً الى ربيع وخريف ... وهذا ذاته ما استخدمه هيراكليت لتأليف محاولاته عن الطبيعة NB ؛ اذ استعار من لاهوتيّنا فكرة الاضداد ، مثّلها بأمثلة عديدة ومنضجة بعناية . » (ص ٢٦٧) .

إن محك الحقيقة حسب هيراكليت ، ليس الاجماع الانساني ، الاتفاق العام (ص ٢٨٥) — لو كان الأمر كذلك ، لكان هيراكليت تجريبياً ـ ذاتياً (ص ٢٨٤) . كلا ، انه **مثالي موضوعي** Objektiver Idealist (٢٨٥) بالنسبة له ، إن محك الحقيقة ، بصورة مستقلة عن الرأي الذاتي لكل البشر هو التوافق مع القانون المثالي [الفكري] الذي هو هوية الكينونة واللاكينونة [تماثل الـ هُوَ والـ ليْس] (٢٨٥) .

حيث نرى بوضوح ان لاسال هيغلي من الطراز القديم، مثالي. انظر ماركس ١٨٤٥ في « اطروحاته عن فويرباخ » ! لاسال هنا رجعي . (م ٦) .

ص٣٣٧ ، اذْ يذكر لاسال بوشنر **Büchner بين** آخرين (الملحوظة رقم١) ، فإنه يزعم ان هيراكليت كان يعرض **بصورة قبْلية** « نفس الفكرة » التي تؤكدها « الفيزيولوجيا الحديثة » (« الفكر حركة للمادة ») * .

هذا تشويه واضح بديهي . في الشواهد عن هيراكليت، يقال فقط ان النفْس هي ايضاً سيرورة تحوّل ـ المتحرّك يعرَف بالذي يتحرّك .

---

* بوشنر (ق ١٩) والمادية المبتذلة بوجه عام لها مأثرة انها أكدت ان الفكر نتاج المادة وحركة المادة الخ ؛ بيد أن **البسط** الحقيقي والمجدي كان علم الانعكاس وليس صيغة « الدماغ يفرز الفكر كما يفرز الكبد الصفراء » ...

شاهد من خالقيدة (في **تيماو**) :

... « امـا هيراكليت فهو يربط عقلنا بالعقل الإلهي الذي يسيّـر ويقود الكون ، ويقول ان عقلنا بحكم هذه المرافقة التي لا ينفصل عنها يملك معرفة مرسوم العقل وحين يستريح الروح [الذهن] من فاعلية الحواس فإنه يتنبّـأ بالمستقبل . » (٣٤٢) .

في كليمان Clément (Strom . V) :

... « نظراً لغرابتها ، فإنّـها (المقصود : الحقيقة) تتوارى عن المعرفة وتهرب منها » ... (٣٤٧) .

حسب لاسال ، هيراكليت هو « أبو الديالكتيك الموضوعي » (ص٣٥١)، اذْ عنده تتحوّل « فلسفة الطبيعة » الى فلسفة **الفكر** ، فـ « الفكر معترَفٌ به كمبدأ للوجود » (٣٥٠) ؛ الخ الخ على طريقة هيغل... تنقص هيراكليت لحظة الذاتية subjectivité (م ٧) .

الفقرة ٣٦ . « **كراتيل** أفلاطون » ص ٣٧٣ ـ ٣٩٦ .

في الفقرة المخصّصة لهذا الحوار، لاسال يبرهن ان افلاطون يقدّم كراتيل (لا كسوفسطائي وذاتوي subjectiviste ، كما أصبح فيما بعد ، بل) كتلميذ أمين لهيراكليت ، يؤوّل واقعيـــاً نظريّته (نظرية هيراكليت) عن جوهر وأصل الكلمـات واللغة بوصفها **تقليداً** للطبيعة (« تقليد جوهر الاشياء » ، ص ٣٨٨) ، لجوهر الأشياء ، « تقليد الله وصورته » ، « تقليد الله والكون، (نفس المكان) .

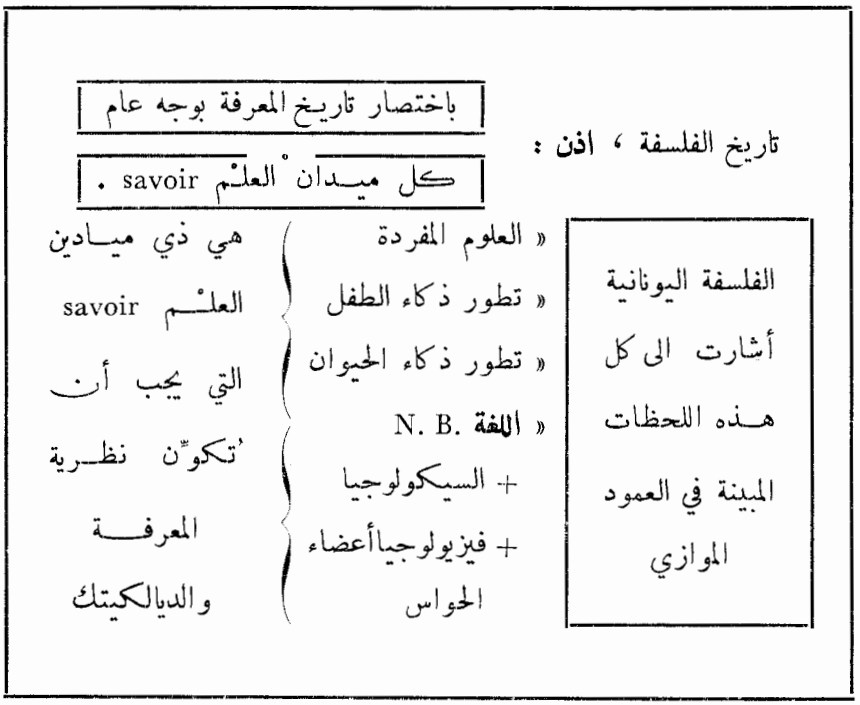

... يقول لاسال : « لقد بيّنا ان هذا التماثل (المشار اليه أعلاه) في المفهوم (إذ يجب أن يدعى تماثلاً وليس فقط تشابهاً) بين **الكلمة** Verbe **والاسم** Nom و **القانون** Loi ، هو ، من جميع الزوايا ، تصوّر مفهومي مبدئي لفلسفة هيراكليت ، وله فيها دلالة وأهمية أساسيتان » ... (٣٩٣) .

... « الأسماء بالنسبة له (لهيراكليت) هي قوانين الكينونة ، هي بالنسبة له – العنصر المشترك للأشياء ، كما أن القوانين هي بالنسبة له – « **العنصر المشترك لكل الأشياء** » ... (٣٩٤) . هـ . ل : N B .

وهيبوقراط حين يقول : « الاسماء هي قوانين الطبيعة » انما يعبّر عن

أفكار هيراكليت . هـ . ل : NB هام جداً ! * .

« إذْ بالنسبة لفيلسوف أفسس ، الأسماء كالقوانين ... هي بالطريقة نفسها منتوجات وتحقيقات للكلّي . هذه وتلك هي بلوغ الكينونة الفكرية أو المثالية ، الكلي الخالص ، المحرَّر من لوثة الواقع الحسّي » ... (٣٩٤) .

أفلاطون يحلّل ويفنّد فلسفة هيراكليت في حوارَيْ الـ « **كراتيل** » والـ « **ثييتيت** » . يخلط (خصوصاً في هذا المؤلف الأخير) هيراكليت (المثالي الموضوعي والديالكتيك) مع المثالي الذاتي والسوفسطائي بروتاغوراس (الانسان مقياس كل الاشياء) . ولاسال يبرهن أن هيراكليت هو ، في تطور وانبساط الافكار ، أصل : ١) السوفسطائية (**بروتاغوراس**) و ٢) الافلاطونية ، الفِكَر – المُثُل (المثالية الموضوعية) .

يشعر المرء ان المثالي لاسال ترك في الظل مادية هيراكليت او اتجاهاته المادية ، ساحباً إياه من جهة هيغل .

(ب ٤ ، **الاخلاق** ، ص ٤٢٧ – ٤٦٢) .

في هذا الباب – الاخلاق [الاثيقا] – لا شيء .

ص ٤٥٨ – ٤٥٩ ، لاسال ينقل أن **نيميزيوس** كان يقول عن هيراكليت وديمقريط انهما ينفيان العناية providence [الرعاية الالهية] ، بينما شيشرون يقول (في De fato) ان هيراكليت مثل ديموقريط وآخرين (أيضاً أرسطو) كانوا يعترفون بالقدر Fatum – الضرورة .

---

* هيبوقراط (ق ٥ – ٤ ق م) أكبر أطباء العصر القديم « مؤسس علم الطب » . قام بتجارب ، حاول أن يُفهّم المرض ، أن يعلّله ، لم يعزل ، دشّن الملاحظة العيادية ، ارتكز على الفيزيولوجيا (وظائف الاعضاء) . في القرن التاسع عشر ، ترجم مؤلفاته ليتريه Littré الطبيب والعالم اللغوي صاحب « قاموس اللغة الفرنسية » الأشهر .

... « هذا المصير لا يعني إلا **الضرورة الطبيعية المحايثة** الخاصة بالشيء ، قانونه الطبيعي » ... (٤٥٩) . **هـ . ل** : الضرورة الطبيعية عند لاسال .

(حسب لاسال ، الرواقيون أخذوا **كل شيء** عن هيراكليت ، وجعلوه مسطحاً وأحادي الجانب ، ص ٤٦١) .

الدليل في كتاب لاسال مؤلّف بشكل عالم مع سعـــة اطلاع ، ولكن بدون ذكاء : حشد من أسماء فلاسفة أقدمين الخ الخ .

في تقييم اجمالي عريض ، في حاصل أخير ، إن حكم ماركس صحيح . كتاب لاسال لا يستحق تعب قراءته . (م ٨) .

ملاحظات

(١) le verbe = الكلمة ، كما في عبارة « في البدء كان الكلمة » (انجيل يوحنا : في البدء كان الكلمة ، والكلمة كانت عند الله ، والكلمة هي الله) . هذا هو المعنى الاصلي والدقيق لـ verbe : كلمة ، كلام .

الـ verbe في اللغـــة الفرنسية يوازيه في اللغة العربية الفعل ، الأفعال . verbes اللغة الفرنسية نوعان : أفعال – أفعال (verbes d àction ، أفعال عمل) ، وأفعال حالة (d'état) وهي être واخواتها (صار، ظل، بدا) . في اللغة العربية (واللغات السامية) هناك (بخلاف اللغات الهندية والاوروبية) « جمل اسمية » ؛ كان وأخواتها (صار ... ، مازال ...) تدعى « أفعالاً ناقصة »، وإنّ وأخواتها تدعى « أحرفاً مشبهة بالفعل». في الفرنسية وشقيقاتها لا وجود للجملة الاسمية : لا كلام بلا verbe . قواعد اللغة العربية دُوّنت بعـــد الاطلاع على منطق أرسطو . (و « الإعراب » العربي يختلف عن الـ analyse الفرنسي ...) . اللغات غير الاوروبية يمكن أن تساعد على فهم حدود منطق أرسطو، وعلى تجاوزه : نقصد تجاوز منطق الحكم ، تصنيف الأحكام أو القضايا الخ ؛ امـا مبدأ الهوية أو مبادىء الهوية وعدم التناقض والثالث المرفوع فهي مبادىء تلاحم كل خطاب انساني وكل فكر انساني (سليم) وهي ترتبط **بنوعية** الفكر الذي ليس الكينونة بل نسخها **النوعي** (ولنتذكر لينين بصدد زينون: الحركة تناقض ، الحركة موجودة والمسألة هي التعبير عنها في المفاهيم ...) .

العالم (الكاثوليكي) الكبير بول شوشار chauchard وضع تحت عنوان كتابه « اللغة والفكر » (P . U . F ، باريس) جملتين : « في البدء كان الكلمة » (انجيل يوحنا) ، و « اللغة هي الواقع المباشر للفكر » (كارل ماركس) ، ووفى ماركس وانجلس ولينين وبافلوف وستالين حقّهم (استشهد بهم مراراً) ... هذا أفضل ألف مرة من الف تيار « ماركسي » معاصر ، أفضل من جميع الموضات الماركسوية الفرنسية وسواها .

بخصوص ستالين، قصدنا مؤلفه « حول الماركسية في علم اللغة » (١٩٥٠). لسوء الحظ، إن هذا الموقف السليم والعظيم في الماركسية الستالينيه (والمرتبط ببافلوف : الانعكاسولوجيا بوجه عام ، وجهاز المؤشرات الثاني النوعي الانساني ، وبؤلف « الايديولوجيا الألمانية » أو « رأس المال » الخ) لا يكفي بأي شكل كأساس فلسفي يسند المادية الجدلية . بدون مسألة الخاص والعام، بدون إشكالية اللوجوس ، بدون هيراكليت – افلاطون – غورجياس – الخ – هيغل – فويرباخ – لينين ، بدون « الدفاتر الفلسفية » وبساطة وحدّية وشعبية الطرح اللينيني ، نقيم (أقمنا) جدلاً غير ناجع ومادية غير ناجعة ...

(٢) قدَر ، ضرورة ، حتمية ، مصير الخ ، كلمات يونانية ، لاتينية ، عربية الخ لها إيحاءات مختلفة بعض الشيء . والمسألة ليست « مسألة مصطلحات » .

يمكن لزَيد من الناس أن يرفض بشدّة كلمة قدر أو كلمة Fatum وان يؤكّد « ضرورة » و « ضرورة علمية » و « ضرورة مادية وجدلية » ، وأن تكون ضرورته هذه دون مستوى قدر هيراكليت وقدر اللاتين بل وقدر الأديان * ...

---

* انظر نقد انجلس لهذه الحتمية « العلمية » نابذة العرَض، في « جدل الطبيعة » (بحث « الجدل » ، أهمية داروين ضد مفهوم الحتمية الميكانيكي الخ) .

وبالطبع ثمة صلة بين الفلسفة اليونانية والميثولوجيا ، وثمة وجه ثيولوجي أو لاهوتي عند هيراكليت ، وثمة صلات (وانتقالات) بين الميثولوجيا وفلسفة الايونيين المادية ...

(٣) في مذهب هيغل: « الفكرة » تسبق الطبيعة ، تنخلع في الطبيعة .. هذه « الفكرة » لها وجودها (السابق ، المستقل) ، حياتها ، حركتها ، تناقضها ، جدلها ، منطقها . هذا « المنطق » إله هيغل . ماركس يقلب .

لاسال يشد هيراكليت نحو هيغل والمثالية ، يضخّم الجانب اللاهوتي في في تفكيره ، يميّع خطّه المـــادي ، صلاته بالماديين الايونيين الذين سبقوه ، يعطيه وجهاً حديثاً عصرياً الخ .

(٤) اورموز (اهورا ماذدا) وآهريمان هما إله الخير وإله الشر في الديانة الفارسية القديمة (المزدائية وكتابها : **الزند – آفستا**) التي هي اذن ثنـــائية إلهَيْن . إله الشر غير وارد في الديانات التوحيدية الثلاث ، بديلُهُ الشيطان او رئيس الشياطين . ولكن الثنائية ظهرت او تعزّزت في المانوية (مذهب ماني)، في مذاهب الغنوسطية (المسيح ضد يهوه إله التوراة الجبار والظالم) ، في هرطقات الالبيجوا والكاثار ...

(٥) لا بأس من التذكير بأن الماء والهواء والتراب والنار هم قوام الكون، عناصر كل الاشياء ، حسب المـــادية الايونية الساذجة . بعض هؤلاء الماديين الأوائل أكدوا على « الماء » ، البعض الآخر على « الهواء » (او شيء مـــا مشابه للهواء ويعتبرونه قوام كل الكون) ، هيراكليت يؤكد : « النار » ، ويشرح تحوّلات النار (الى هواء ، الى ماء ...) .

لاسال يبتعد ، يطهّر ، يبلور ... ضد الاختلاط الحقيقي ، ولكن في اتجاه الفكرَوِية اي المثالية .

كذلك « كينونة » **بارمنيد** (و« واحد » بارمنيد و« كُرَة » بارمنيد): انها مختلطة ؛ بارمنيد نفسه لم يدفع هذا التجريد العظيم الى آخِره او نهايته

كتجريد (واحد **بارمنيد** كُرَة كونية « مـــادية » المظهر و « حسّية » الصلات ، تقف بَيْن بَيْن) ، لم يع أنه تجريد (وتعيين أحادي). ولكن خط بارمنيد قاد مباشرة الى المثالية (افلاطون = **تقدّم** نحو المثالية) ونوعاً ما الى المثالية وحدها (وايضاً الى المنطق الارسطوي) . بينما خط هيراكليت يواصَل في ديموقريط والمادية **الذرية** التي تتجاوز نظرية « العناصر الأربعة » البدائية (والشعبية) .

وبالطبع ، إن نظرية « العناصر » الاربعة ظلّت قائمة نوعاً ما حتى القرن الثامن عشر ، حتى **لافوازيه** و**علم** الكيمياء : هذه « العناصر » الاربعة ليست عناصر ، النار ليست مادّة خاصة (وليست فكراً) – لافوازيه = دحض نظرية الفلوجستيك وتأسيس علم الكيمياء ، وتأكيد مبدأ حفظ المادة (الذي سبق أن أكده لومونوسوف) – هناك **عناصر** حقيقية « كيميائية » «بسيطة» هي مستوى في المادة وقوامها ذرات atones مختلفة ؛ مندلييف يواصل هذا الخط ؛ الفيزياء الحديثة تواصل هذا الخط ؛ العلم يمضي الى مستوى أعمق ... لافوازيه حلقة أساسية في تاريخ تكوّن التصور العلـْمي للكون ، في تاريخ المادية.

(٦) « إجماع البشر» **ليس** محك الحقيقة . القول بأن **محك** الحقيقة هو شيء ما من نوع إجماع البشر = مثالية ، **ذاتوية** . حتى لو أجمع البشر على ان هذه الطاولة غـــير موجودة تبقى موجودة ، حتى لو أجمعوا على وجود العفاريت تبقى العفاريت عفاريت (ولا شك ان مئات الملايين من الناس يؤمنون بوجود العفاريت: ربما طبقات او شعوب بالكامل) ، حتى لو أجمع العلماء على صواب نظرية بطليموس الفلكية (وقد أجمعوا) او نظرية الأثير المتجانس الساكن (وقد أجمعوا) او نظرية الخ فإن هذه النظرية لا تكسب من هذا الاجمـاع دليل صوابها اي توافقها مع الواقع الموضوعي المادي المستقل .

المثالية الموضوعية لها مزيّة انها ترفض هذا المحك الذاتوي : إجماع البشر. ولكنها تجعل حقيقة المعرفة توافقها مع فكرة او كلمة او رابطة او قـــانون

عام الخ تعلن أنه وجود سابق ، حق ، مستقل (عن الكينونة المادية المحسوسة) ، « موضوعي » غير مادي (تفصل « موضوعية » و « مادية ») .

المثالية الذاتية تنفي مادية الاشياء ، تذوّب الاشياء في الاحساسات ، ترمي الموضوعيه ، تذوّب الحقيقة في الرأي . هذا الخط له أصوله في الفلسفة القديمة ، وهو يتطوّر ، بركلي إحدى حلقاته (نوعاً ما أهم حلقاته) ، وهو غالب في الفلسفة البرجوازية الأحدث (وضعية مثالية ، تجربية نقدية ، براغماتية الخ) ، يجتمع ويختلط بعناصر من المثالية الموضوعية ، ينطلق من بعض وجوه ديالكتية الواقع والمعرفة الخ . المثاليتان (الموضوعية والذاتية) **واحد في** كونهما مثالية ، اي في كونهما تحلاّن الكينونة (المادية الحسية) في الفكر ، على قاعدة خلطٍ تجربي أصلي ، واعٍ او لا .

إجماع البشر – رأي البشر الاجماعي – ليس محكّ الحقيقة . محك الحقيقة هو الممارسة (أطروحات ماركس عن فويرباخ) ، وبديهي أن الممارسة هي ممارسة البشر ، أي الفاعلية الذاتية حكماً .

فاعلية البشر ذاتية ، الممارسة ذاتية ، **محك** الممارسة موضوعي . الممارسة فاعليةُ الذات في الموضوع الخارجي . وحقيقة المعرفة (= الذاتية) هي توافقها مع الموضوع . **مبدأ** الماركسية بما فيها المادية الماركسية هو **الديالكتيك.**

الممارسة هي محك الحقيقة وليس هناك محك آخر : مطابقة النتائج (الموضوعية) والاهداف (الذاتية) ، الوقائع والتوقعات ، الموضوعي والذاتي ، المادة والفكر (الصورة الخ) . الخطأ والصواب يجتمعان ، المعرفة لا تُغلق . . .

الماركسية (المادية الجدلية والتاريخية) وحدها حلّت المسائل ، أنهت – مبدئياً – المثالية والمادية غير الجدلية ، الصوفية والسكولاستيك ،

الدوغمائية والتجربية والبرغماتية الخ . أعظم أسلافها : هيغل (= الجدل ، وأيضاً « الممارسة » ، بذور من مادية تاريخية الخ) .

قلنا أن محك الممارسة موضوعي . دفعاً للالتباس ، للوسطية ، للبين بين ، يجب أن ندفع القضية الى نهايتها . **محك** الممارسة **موضوعي أي** أن **محك** الممارسة مستقل عن البشر وعن كل البشر ، علماً بأن الممارسة هي بالبداهة ممارسة البشر .

« برهان الحلوى هو بالأكل » . حتى لو أجمع البشر على أن الحلوى غير موجودة ، تبقى موجودة ويبقى برهانها (الوحيد) كونهم يأكلونها . ليس هناك آلية « نظرية » (نظرانية) تثبت وجود الحلوى وتدحض العفاريت . **البرغماتية** ترفض « المسألة الفلسفية العليا » (« مادية أم مثالية ؟ ») ، ترفض الحقيقة كتوافق (توافق الذاتي والموضوعي) ، ترفض الدلالة **الفلسفية** لبرهان الحلوى ، تقيم تجربة « نفسية » وتجربة « روحية » الى جانب التجربة « الفيزيائية » ...

(٧) « تنقص هيراكليت لحظة الذاتية » . هذه هي نقيصة كل المادية السابقة (السابقة لماركس) : هذا مصرّح به في «الاطروحات عن فويرباخ »، في « خلاصة منطق هيغل » ، في أماكن أخرى من مؤلفات ماركس – انجلس – لينين .

هذا النقص **هو** مقولة الممارسة .

الممارسة وردت عند فويرباخ، حيث لا تنفصل عن ماديته، عن حملته على المثالية الذاتية لبركلي ، حيث تبقى في هذه الحدود ، دون مستوى الممارسة **كانتاج** ، دون المستوى الماركسي أو الهيغلي – الماركسي .

وماركس في ١٨٤٤ – ١٨٤٦ يتخطى فويرباخ جذرياً ، يعارضه في « الاطروحات » ...

(٨) يمكن القول ان أهم ما يستخلصه لينين من هيراكليت عبر مؤلف لاسال هو الإشكالية – الجذر : لوجوس – كلمات – أسماء – loi قانون – رابطة – عقل الخ .

هذه الإشكالية هي جذر المادية والمثالية ، الديالكتيك والميتافيزيك الخ .

إنها الاساس ، أرض نظرية **المعرفة** . وعلى هذه الارض ، يعطي لينين توجيهاً ثميناً عن دراسة **تاريخ** المعرفة الانسانية . (انظر المستطيل الآنف : « تاريخ الفلسفة ، **إذن** .... علم تطور ذكاء الطفل ، تطور ذكاء الحيوان ، اللغة والسيكولوجيا وفيزيولوجيا أعضاء الحواس ... ») .

نمضي الآن الى خلاصة «ميتافيزياء» أرسطو. مخطوطة «حول الديالكتيك» كُتبت في نفس الآونة ، وعلى القارىء أن يعود اليها .

٧

خلاصة

كتاب أرسطو : « الميتافيزياء »

انظر أعلاه الشاهد عن « البيت » * .

عدد كبير من الملاحظات البـالغة الفائدة والحياة **والسذاجة** (الطراوة) كمدخل الى الفلسفة. ولكنها في العرض تـُخلي المكان للسكولاستيك، للنتيجة بلا حركة ، الخ .

الظلامية الاكليريكية قتلت في أرسطو ما هو حيّ ، وخلـّدت مـا هو ميت .

« الانسان والحصان موجودان في الافراد المفردين ، العـام ليس موجوداً لذاته في شكل ماهية معزولة ، بل هو فقط كل، مؤلف من مفهوم محدّد ومن مادة محددة » (ص ١٢٥ ، الكتاب ٨ ، الفصل ١٠ ، ف ٢٧ – ٢٨) .

كذلك ، ص ١٢٦ ، فقرة ٣٢ و ٣٣ .

« المادة في ذاتها ولذاتهـــا لا يمكن معرفتها . جزئياً تدركها الحواس ، وجزئياً يقبض عليهـا الفهم . الحواس تدركها كمعدن نحاس ، كخشب ، – باختصار كمادة قادرة على التحرّك؛ الفهم يقبض عليها ، حين توجد في الحسّي،

---

* « إذ بالطبع لا يمكن التفكير بأنه ثمـــة بيت – بيت بوجه عام – خارج البيوت المرئية » .

أورد لينين هذا الشاهد (من « ميتافيزياء » أرسطو) في مقاله « **حول الديالكتيك** » . قبله ، قال لينين ما يلي : « لنبدأ بأبسط قضية : أوراق الشجرة هي خضراء ، جان هو إنسان ، ميدور هو كلب ، الخ ، ثمة هنـــا ، بدءاً من هنا ، (كما لاحظ هيغل بعبقرية) ديالكتيك : **الخاص هو عام** (انظر **ميتافيزياء** أرسطو، ترجمة شفيغلر ..... : إذ بالطبع لا يمكن .... » .) .

اذن : أبسط قضيـــة هي جدلية . (و « الديالكتيك ملازم لكل معرفة إنسانية » (لينين) . يجب أن نرفع هـــذا العفوي الى مستوى الوعي) . وهنا مسألة المادية والمثالية أيضاً .

ولكن ليس كحسّي ، هكذا مثلاً الكينونات أو الكائنات الرياضية » *.

هـ . ل : [على هامش المقطعين الآنفين] : كثيراً ما تضيع الفلسفة في **تعريف** خالص **لكلمات** ، الخ . كلُّ الأمور تُلمَس سطحياً ، كلُّ المقولات .

المجادلة ضد أفلاطون (في بداية **الميتافيزياء**) ذات دلالة بالغة وفائدة بالغة . كذلك المسائل « المحرجة » ، اللطيفة بسذاجتها ، والشكوك عن حماقات المثالية . وكل ذلك موحّداً مع الحماقة الأكثر عجزاً ، يدور حول **الأمر الجوهري** ، المفهوم والمفرد .

N B ؛ في بداية الميتافيزياء القتال الأشد عناداً ضد هيراكليت ، ضد فكرة تماثل الكينونة واللاكينونة [هوية الـ هو والـ ليس] . إن الفلاسفة الاغريق قد اقتربوا من الديالكتيك ولكنهم لم يصلوا بالمسألة الى نهاية ، لم يحلوها) .

---

* نقلاً عن هيئة تحرير الطبعة الفرنسية لكتاب لينين : Ed - Sociales ، L. Vernant et E. Bottigelli :

لينين استخدم الترجمة الألمانية لشفيغلر (مجلدين ، توبنجن ، ١٨٤٧) . المطابقة مع النص اليوناني تُظهر عدداً من الأخطاء . فيما يلي النص مترجماً عن اليونانية :

« الانسان والحصان والكائنات من هذا النوع التي تأكدتْ أفراداً خاصين ، والتي هي كذلك بصورة كلية ، ليست ماهية ، بل مركّباً معمولاً من شكل محدد ومادة محددة مأخوذة كلياً (١٠٣٥ ب ٢٥) » .

كذلك ١٠٣٦ آ ١٠ :

« أما المادة، فهي غير قابلة لأن تُعرَف في ذاتها . فالمادة هي من جهة محسوسة [حسّية، قابلة لأن تُحَسّ] ، ومن جهة أخرى مفهومة [فهمية ، قابلة لأن تُفهَم] ؛ محسوسة مثلاً المعدن النحاسي والخشب وكل نوع مادة قادر على التحرّك ؛ مفهومة ، المادة الموجودة في الموضوعات المحسوسة ، ولكن ليس كموضوعات محسوسة ، مثلاً الكائنات الرياضية » .

اذن ، من الآن فصاعداً ، سنعيد الترجمة حسب النص اليوناني . والاحالات حسب طبعة Vrin (باريس ، ١٩٤٨) .

إنه أمر ذو دلالة عظيمة اننا نجد دائماً ، هنا وهناك ، أجِنَّه حيَّة من جدل، و **طموحات** نحو الجدل ...

عند أرسطو ، المنطق الموضوعي **يختلط في كل مكان** مع المنطق الذاتي ؛ ولكن بحيث يبقى المنطق الموضوعي **مرئياً** دائماً . ليس من شك في موضوعية المعرفة . إيمان ساذج بقوة العقل ، بقوة وسلطة المعرفة وحقيقتها الموضوعية . **خلط** ساذج ، خلط عاجز ومثير للشفقة في **جدل** العـــام والخاص – جدل المفهوم والواقع المدرَك بالحواس للموضوع الخاص ، للشيء ، للظاهرة (م ١) .

السكولاستيك والظلامية الاكليريكية أخذتا عند أرسطو ما هو ميت ، لا ما هو **حيّ** : **اشتراطات الروح** ، جهود تنقيبيـــة ، متاهة ، الانسانُ تاه .

منطق أرسطو هو اشتراط الروح ، جهـــد تنقيبي ، اقتراب من منطق هيغل . ولكن من هذا المنطق لأرسطو (أرسطو الذي ، **في كل مكان** ، في كل خطوة، يضع **بالضبط** مسألة الديالكتيك) أقاموا سكولاستيكاً ميتاً ، مع رَمْيهم كل ما هو تنقيب ، تردّد ، طريقة في وضع مسائل . فقد كان للاغريق طريقةٌ في طرح المسائل ، على انها مذاهب توضع **في الامتحـان** ، تنوعٌ ساذج في الآراء ينعكس بشكل كامل عند أرسطو .

« اذن من الجلي ان أحداً من الكليات لا يوجد خارج الافراد في الحـالة المنفصلة . – بيد أن أنصار نظرية الأفكار [المثُل] على حق ، بأحد المعاني ، في منحها وجوداً منفصلاً ، إذ هي ماهيات فرْدة ، ولكنهم ، بمعنى آخر ، على باطل في جعل الفكرة وحدَةَ تعدّد . إن سبب خطيئتهم هو استحالة تفسير مـا هي طبيعة مثل هذه الماهيات ، الماهيات غير قابلة للإفساد ، الى جانب هذه الأشياء الفردية والحسية وخارجها [**هـ . ل : !]** . لذا يجعلون هذه المثُل مماثلة نوعياً للكائنات المفسَدة التي نعرفهـــا ؛ الانسان في ذاته

والحصان في ذاته هما البشر والأحصنة المحسوسة التي فقط أضافوا إليها كلمة « في ذاته » ، en soi ، « بالذات » (الكتاب ٧ ، الفصل ١٦ ، ١٠٤٠ ب ٢٥) [هـ . ل : !] . ومع ذلك ، حتى لو لم نر قط النجوم ، فإنها لا تكف عن كونها ماهيات أزلية ، متميزة عن تلك التي نعرفها . بحيث انه حتى اذا كنا لا نستطيع أن نعيّن طبيعتها ، يبقى مع ذلك من الضروري أن تكون موجودة . وهكذا اذن ، من البدهي أن ليس أحدٌ من الكليات ماهيةً مفردة ، وليس ثمة أية ماهية فردة مؤلفة من ماهيات فردة » (– نهاية الفصل) .

تماماً ! ليس من شك في واقعية [حقيقة] العالم الخارجي . الانسان يرتبك [يتشربك] بالضبط في جدل العام والخاص ، المفهوم والاحساس ، الخ ، الجوهر والظاهرة ، الخ .

(الكتاب ٨ – أُدْخِل على الأرجح فيما بعد – الفصل ٥ ، ١٠٤٤ ب ٢٥) .

... « ثمة مسألة صعبة تطرح نفسها : كيف مادةُ هذا الشيء أو ذلك تتصرّف ازاء الأضداد ؟ مثلاً ، اذا كان الجسد صحيحاً بالقوة [بالكون ، الامكان] وإذا كان المرض عكس الصحة ، هل الجسد هو بالقوة مريض كما هو صحيح ؟... NB

... وهل الحيّ جثّة بالقوة ؟ » .

كذلك الكتاب ١١ ، الفصل ١ ، ١٠٥٩ ب ٥ :

... « الفلاسفة يجعلون الاشياء الرياضية شيئاً ما متوسطاً بين الاشياء المدركة حسياً وبين الأفكار [المثل] ، كأنها صنف ثالث من الكائنات خارج المثل وعالمنا الأدنى، في حين انه ليس ثمة انسان ثالث أو حصان ثالث خارج الانسان في ذاته والانسان الفردي ، أو الحصان في ذاته والحصان المفرد .

ولكن إذا لم يكن الأمر كما هُمْ يقولون ، فبأية أشياء يجب عندئذ ان يهتم الرياضي ؟ بالتأكيد ليس بموضوعات دُنيانا ، لأن أياً من هـــذه الموضوعات لا يملك الخصائص التي تتطلّبها العلوم الرياضية » .

الفصل ٢ ، ١٠٦٠ ب ٢٠ :

... « ثم ، هل يوجد ام لا ، شيء ما الى جانب العياني ؟ أقصد بالعياني المادة وما هو معها . إذا كان الجواب لا ، فان كل ما هو في المادة فان ؛ إذا كان هناك شيء ما ، فانه التحديد النوعي والشكل . ولكن « في أية حالات الشكل مستقل، وفي أية حالة ليس مستقلاً ، هذا ما تحديدُه صعبٌ » ...

الكتاب ١١ ، الفصل ٣ ، ١٠٦١ آ ٣٠ – الرياضي يترك جانباً الحرارة ، الثقالة ، و « أضداداً أخرى من طراز حسّي » ولا يعتبر « سوى الكمّ »... « كذلك الأمر تماماً بالنسبة للكينونة [Etre ، هُوَ] » . (م ٢) .

ثمـة هنا وجهة نظر المادية الجدلية ، ولكن بشكل عرضي ، غير منسجم ، غير مبسوط ومطوّر ، عابر .

فِنْدِلباند * في بحثـــه عن تاريخ الفلسفة القديمة (مولر : موجز تاريخ العصر القديم الكلاسيكي ، I ، ص ٢٦٥ – قاعة المطالعة في مكتبة مدينة برن) يُبرز ما يلي : في **منطق** أرسطو ، المنطق « له كأعم افتراض مسبق تماثل اشكال الفكر واشكال الكينونة » ، ويذكر **الميتافيزياء** V ، ص ٧ ، حيث ورد : « كـذا مرّات يُفصَح عن هذه الاشكال ، كذا مرّات تعيّن الكائن [الكينونة ، هُوَ] » . هذا في الفقرة ٤ . شفيغلر يترجم : « كـذا مرّات يَفصَح عن المقولات ، كذا مرّات تعيِّن الكائن » . ترجمة سيئة ! على الطريق الذي يقود الى الله :

---

* فيلسوف الماني معاصر .

الكتاب ١٢ ، الفصل ٦ ، ١٠٧١ ب ٢٥ :

... « بالواقع ، كيف سيكون ثمة حركة إذا لم يكن ثمة سبب محرك قيد الفعل ؟ المادة le matériau لا يمكن ، يقيناً ، ان تتحرّك بذاتها ، إنما يحرّكها فنّ المعماري؛ كذلك الحيض والارض، يلزمهما البذار والتخصيب»...

لوسيب (١٠٧١ ب ٣٠) يؤيد أزلية الحركة ، ولكنه لا يفسّر لماذا . الفصل ٧ – **الله** .

... « الحركة الأزلية يجب ان تكون معطاة من قِبَل كائن أزلي » (الفصل ٨ ، ١٠٧٣ آ ٢٥) ...

الكتاب ١٢ ، الفصل ١٠ – من جديد « استعراض » للمسائل الفلسفية الأساسية ؛ « نقاط الاستفهام » إن صحّ القول . عرض (غالباً بطريقة التنويهات أو التلميحات) طري جداً ، ساذج ، مليء بالشكوك ، للتصورات المختلفة .

في الكتاب ١٣ ، يعود أرسطو الى نقد نظرية الأعداد لفيثاغور (ونظرية المثل لأفلاطون) المفصولة عن الاشياء الحسّية .

مثالية بدائية : العام (المفهوم ، الفكرة) هو **كائن معزول** . هذا يبدو غريباً ، فظيعاً (بالأصح طفلياً) ، أحمق . ولكن المثالية الحديثة ، كنط ، هيغل، فكرة الله ، أليست من نفس النوع (**تماماً وبالظبط** من نفس النوع) ؟ الطاولات ، الكراسي **وفكرة** الطاولة والكرسي ؛ العالم وفكرة العالم (الله)؛ الشيء و النومين « mouméne » الشيء في ذاته » الذي لا يمكن معرفته ؛ رابطة الشمس والارض ، رابطة الطبيعة بوجه عام – والقانون ، اللوجوس ، الله . إن الطابع المزدوج لمعرفة الانسان **وامكانية** المثالية (= الدين) معطيان سلفاً في الـ تجريد **الابتدائي** الأوّل .

« البيت » بوجه عام والبيوت المفردة

حين الفهمُ (الانساني) يتناول الشيء الفردي ، يسحب منـــه صورةً (= مفهوماً) ، هذا **ليس** فعلاً بسيطاً ، مباشراً ، ميتاً ، ليس انعكاساً في في مرآة ، بل فعلٌ معقّد، ذو وجه مزدوج ، منكسر – متعرّج – فعلٌ **يتضمّن** إمكانية الطيران الخيالي خارج الحياة ؛ واكثر من ذلك ، انه يتضمّن إمكانية **تحويل** المفهوم المجرد ، الفكرة ، (تحويـــلاً لا يدركه الانسان ، لا يعيه) الى **خاطر خيالي** (في تحليل أخير = الله) . إذْ ، في التعميم الأبسط ، في الفكرة العامة الاكثر بدائية (الـ « طاولة » بوجه عام) **ثمة** قسط ما من **خيال** . (والعكس بالعكس : من الحماقة أن ننفي دور الخيال حتى في العلم الاكثر صرامة ودقـة . انظر بيساريف عن الدور المفيد للحلم كدفْع **الى** العمل وعن الأحلام الفارغة الضارة) . (م ٣) .

تعبير ساذج عن « الصعوبات » بخصوص « فلسفة الرياضيات » (**بلغـــة** حديثة) : الكتاب ١٣ ، الفصل ٢ ، ١٠٧٧ آ ٣٠ :

... « أخيراً ، الجسم هو ماهية ، إذْ له من الآن بعض اكتمال . ولكن الخطوط كيف تكون ماهيات ؟ لن تكون كذلـــك ، يقيناً ، كشكل وكصورة [كتشكيل] ، مثل النفس ، ولا كمادة مثل الجسم ؛ إذْ بالواقع لا نرى أي جسْم يتألف بواسطة خطوط ولا بواسطة سطوح أو نقاط » ...

الكتاب ١٣ ، الفصل ٣ ، يحل هذه الصعوبات تماماً ،بشكل واضح ، دقيق ، **مادي** (الرياضيات والعلوم الاخرى تجرّد **أحد** وجوه الجسم ، الظاهرة، الحياة) . ولكن المؤلف لا **يساند** هذا الموقف بصورة منسجمة . (م ٤).

شفيغلر يقول في تعليقه (المجلد ٤ ، ص ٣٠٣) : أرسطو يعطي هنـــا عرضاً ايجابياً عن تصوّره للرياضي : الرياضي هو تجريد من المحسوس .NB . الكتاب ١٣، الفصل ١٠ ، يتناول مسألة نجدها معروضة . بشكل أفضل

في تعليق شفيغلر (بالارتباط مع **الميتافيزياء** ج ١٣٠٧ ، ٥) : لا علْم إلا بالعام (انظر الكتاب ١٣ ، الفصل ١٠ الفقرة ٦) ولكن المفرد وحده واقعي (ماهويّ) . ثمة اذن هوّة بين العلم والواقع ؟ إذن الكينونة والفكر ليسا قابلين للقياس المتبادل ؟ « معرفة الواقع الحقة هي اذن مستحيلة ؟ » (شفيغلر ، المجلد ٤ ص ٣٣٨ . جواب أرسطو : بالقوة العلْم موّجه نحو العام ، بالفعل نحو هذا الموضوع الخاص أو ذاك .

شفيغلر (نفس المكان) يعطي أكبر أهمية لمؤلف ف . فيشر : (**الميتافيزياء معروضةمن وجهة نظر التجريبية** » (سنة الصدور ١٨٤٧) حيث نجد حديثاً عن « واقعية » أرسطو . **هـ . ل** : ؟ NB * .

الكتاب ١٤ ، الفصل ٣ ، ١٠٩٠ ب : ... « لماذا ، إذا كان الرياضي [le mathématique ، العنصر الرياضي] غير موجود في الموضوعات المحسوسة ، لماذا تصادَف فيها خصائصه ؟ » ...

(الجملة الأخيرة في الكتاب لها نفس المعنى . الكتاب ١٤ ، الفصل ٦ ، ف ٢١)

نهاية كتاب « ما وراء الطبيعة » (م ٥) .

---

* إضافة من لينين :

ملاحظة عن ف . فيشر .

فريدريك فيشر (١٨٠١ – ١٨٥٣) ، استاذ فلسفة في بال (سويسره) . بلانتل plantl في مقاله (سيره عامة عن المانيا ، المجلد ٧ ، ص ٦٧) ، يصدر عليه حكماً تحقيرياً ويقول انه « بنتيجة كرهه العميق للمثاليه الذاتية ، كاد أن يسقط في التجاوز المعاكس : التجريبية ، الغريبة عن المثل الأعلى » . **هـ . ل** ها – ها !!! .

ملاحظات

(١) « **خلط** ساذج وعاجز في جدل العام والخاص » .

مثلاً : حين نرى أن الخشب هو خاص ولا نرى انه عام .

أو حين نرى ان « طريق التطور اللا رأسمالي » هو خاص ولا نرى انه عام ، حين لا نرى انه مقولة ، فيتحول الى مقولة غير كينونة ، الى محض كلمة .

(٢) هنا يدفع ارسطو تجريد الكينونة الى نهايته كتجريد . المطلوب أخذ وعي أنه تجريد وان الكينونة المادية قائمة امام الفكر الذي ينسخها **بطريقته** (تجريد ، عام ، اشكال ، الخ) .

« **هو** كذا وكذا وكذا الخ » : اذا « جرّدنا » **المحمولات** ، اذا حذفنا الأخبار ، يسقط هذا الـ هو .

(٣) هذا النص للينين ذو أهمية **استثنائية** . فلنقرأه مرة ثانية !

اولاً . المثالية واحدة من افلاطون الى هيغل . انها تُحوّل العام **او** المفهوم **او** الفكرة الى كائن ، الى كائن معزول ؛ تحوّل المقولات (الكينونة) الى كائنات ، أنماطَ الاشياء الى أشياء . هكذا مُثُل أفلاطون («الحصان» الخ) ، — واللون الرياضي (« المثلّث الجوهوي » العدد ٣ الخ) يعزّز هذه المثالية — . « لوجوس » هيغل ، « الفكرة » ، « المنطق » ، لا يختلف ، من هذه الناحية ، عن « مثال » او صورة الحصان ، الكائن الجوهري .

ويجب ان نقول ، ونقول بلا تحفّظ ، ومع وزن الكلمات وتثقيل الحكم: وكذلك « الثورة » ، « صراع الطبقات » ، « اليسار » ، « حركة التحرر » الخ الخ عند **طوائف** من « الماركسيين » . انها الإله ، الكلمة التي كانت في البدء وهي باقية .

... وكذلك كلمة « **المادة** » . بالضبط ، « المادة » التي لا تدرك أنها مقولة فلسفية تقيم لا المادية بل المثالية على قاعدة الخلط .

ثانياً . « الطاولات وفكرة الطاولة ، العالم وفكرة العالم (الله) ، رابطة الشمس والارض ، رابطة الطبيعة بوجه عام – والقانون ، اللوجوس ، الله » . وحسب ماركس الشاب (« مدخل نقد فلسفة الحقوق عند هيغل » ، ١٨٤٤): «... الدين هو نظرية هذا العالم الكلّية ، اختصاره الموسوعي...». (كذلك « ماركسية » « الثوار ») .

« في البدء كانت الكلمة ...» . براهما الهندي هو « الاله – الكلمة » . يهوة * ، الـ هو ، الله ، واحد أحد ، « كينونة » عامة متصوَّرة كائناً مفرداً خالق الكينونة الدنيا ، عام صار اسم علم .

ثالثاً . « إن الطابع المزدوج لمعرفة الانسان و**إمكانية** المثالية (المثالية = الدين) مُعْطيان سلفاً في **التجْريد الابتدائي** الأول » . المعرفة وتصديقها يلازمان مسيرة الانسان . معرفة البيوت المفردة تمرّ عبر البيت بوجه عام ، مفهوم البيت ، اسم البيت ، الكلمة ، القانون ، الرابطة ، اللوجوس . اذا قلبنا العلاقة ، أقمنا المثالية ، الدين .

الجذر المعرفي للمثالية هو المعرفة ذاتها ، طبيعتها . ديالكتيك هيغل منبع

---

* «هو الذي هو» ، هو الذي يكون ، الكائن (استناداً الى سفر الخروج ، ٣: ١٤). في تفسير آخر : هو الذي يوجد ، سبب الـ هوَ . في تفسير ثالث : الهواء الخ .

مثـــاليته المعرفي . كذلك ، في مستوى بدائي ساذج ، أفلاطون او فيثاغور – بارمنيد – افلاطون .

وفي نص صيني شهير (« حول التجربة التاريخية لدكتاتورية البروليتاريا » ٥/٤/ ١٩٥٦) نقرأ :

« يؤكد البعض ان التناقض بين المثـــالية والمادية يمكن ان يُحْذف في مجتمع اشتراكي او شيوعي . من الواضح ان وجهة النظر هذه ليست صحيحة. طالما وُجدت تناقضات بين الذاتي والموضوعي ، بين ما يسير الى الأمام ومـا يبقى متأخراً ، بين قوى الانتاج وعلاقات الانتاج ، فان التناقض بين المثالية والمـــادية سيبقى موجوداً في مجتمع اشتراكي او شيوعي ، وسيتجلّى في اشكال شتى » .

لسوء الحظ ، هنـاك من يعتقد ان الماركسيين مصفّحون من الآن ضد المثالية (= الدين) ما داموا يؤكدون « أولية المادة على الفكر» . ما اسهل « التأكيد » !

رابعاً . « حين يتناول الذكاء الانساني الشيء المفرد ويسحب منه صورةً (= مفهوماً) ، ... » : المفهوم صورة ، صورة نوعية . « ... هذا ليس فعلاً بسيطاً ، مباشراً ، ميتاً » : المباشر ، غير الموسّط = ميْت . « ثمة قسط من خيال في أبسط تعميم ، مثلاً في فكرة الطاولة ، الطاولة بوجه عام » ... هذا ضد « التجريبيّة » يسوّغ الديالكتيك .

دحض المثالية « الموضوعية » والتجربية بما فيها التجربية المادية = إقامة المادية الجدلية او الجدل المادي ، بشكل كامل وخالص .

لا علْم بلا خيال ولا فكر بلا خيال . ولكن هناك خيال وخيـــال ، فكر وفكر . المادية الجدلية تقيم مقولة الفكر كانعكاس نوعي (اذن صحيـح وخاطىء ، جدّي وشاطح) .

خامساً . « انظر بيساريف عن الدور المفيد للحلم كدافع الى العمل وعن الأحلام الفارغة الضارة » .

ننقل كلامه عن كتاب « مـــا العمل ؟ » (١٩٠٢) ، الفصل الاخير ، الفقرة ب ، حيث « يدافع » لينين «عن نفسه» و « يختبىء وراء بيساريف» ضد الماركسوي مارتينوف ، زعيم الاقتصادويين ، الذي اتّهم لينـــين بأنه يحلُم ...

يقول بيساريف (حول الخلاف بين الحلْم والواقع) : « هنـاك خلاف وخلاف . إن حلْمي يمكن ان يتخطى السير الطبيعي للحوادث ، ويمكن ان يحوّل وان يدفع في اتجاه لا يستطيع ســـيرُ الحوادث الطبيعي ان يقود اليه أبداً . في الحالة الاولى ، لا يُلحق الحلم اي ضررٍ بل يمكن ان يعزّز ويساند طاقة الشغيل ... لا شيء في مثل هذه الأحلام يمكن ان يفسد ان يَشلّ قوة الشغل . بالعكس تماماً . لو كان الانسان محروماً تماماً من القدرة على ان يحلُم على النحو المذكور ، لو لم يكن باستطاعته بـين حين وآخر ان يسبق الحاضر وان يتأمل في الخيال اللوحةُ المنجَزة للعمل الذي يبدأ بين يديه ، فـإنني بالتأكيد لا أرى أي حافز يجعل الانسانَ يشرع ويقود وينجز أعمـالاً واسعة ومُضنية في العِلْم والحياة والعمَلية ... الخلاف بـين الحلم والواقع لا ضرر فيه ، شريطة ان يكون الانسان الذي يحـلم مؤمناً جدياً بحلمه ، ان يلاحظ بانتباه الحياةَ ، ان يقارن ملاحظاته مع قصوره الاسبانية ، او بشكل عام ، ان يعمل بوعي على تحقيق حلْمه . حين يكون هناك تماسّ بين الحلم والحياة، يكون كل شيء على ما يرام . »

ويضيف لينين : « إن أحلامَ هذا النوع قليلة جـــداً في حركتنا لسوء لسوء الحظ . والذنب ذنب ممثلي النقد الشرعي والاتباعية (الذيلية) السرية ، الذين يدّعون الرزانةَ و« حسّ » « العياني » . » ...

اذن في نهاية هذا المقطع الكثيف ، هذه المجابهة بين لينين وأفلاطون عبر

أرسطو والفلسفة (كل الفلسفة) والشعب ، تعود أو تبرز مقولة الشغل ، مقولة العمل والممارسة . (وبالحقيقة لم نبارحْها : الطاولات والكراسي والبيوت من صنع الانسان ...) .

« الشكل الثاني للسيرورة **الموضوعية** : فاعلية الانسان المتخِذ **هدفاً** . **اذن : وعي** ، وعي – ذاتية – حرية – توجّه » (لينين : **خلاصة منطق هيغل**) .

والتعريف الماركسي **للشغل** (في كتب علم الاقتصاد الماركسي ، في **رأس المال** ، ...) : فاعلية **عقلية** (فاعلية **واعية**) **من أجل** تحويل **الموضوعات** التي توفّرها **الطبيعة** الى **منتوجات مفيدة** الخ... و **مقارنة الانسان والنحلة** (في **رأس المال** ، الكتاب الأول ، الباب الثالث ، الفصل ٧ ، الفقرة ١ ، الصفحة ١ و ٢ من هذه الفقرة) .

« الشغل هو أولاً بأول فعل يجري بين الانسان والطبيعة . الانسان نفسه يلعب فيه ازاء الطبيعة دور قوّة طبيعية [جسد ، ذراعان ، رجلان ، رأس ويَدان ...] ... لن نقف عند هذه الحالة الأولى للشغل حيث لم يتعرّ بعدُ من نمطه الغريزي المحض . إن نقطة انطلاقنا هي الشغل في شكله الذي هو ملك الانسان وحده . إن العنكبوت يقوم بعمليات تشبه عمليات عامل النسيج ، والنحلة تبزّ وتُفْحِم ببنية خلاياها مهارة أكثر من مهندس معماري. ولكن ما يميّز فوراً أسوأ مهندس عن أمهر نحلة هو أنه بنى الخلية في رأسه قبل أن يبنيها فيصندوق الخلايا . إن النتيجة التي يفضي إليها الشغل موجودة – سلفاً وجوداً فكرياً مثالياً idéalement في مخيّلة الشغيل . ليس انه يحقق فقط تبدّل شكلٍ في المواد الطبيعية ؛ بل إنه بالضربة نفسها يحقق هدفه بالذات ، هدفه الخاص الذي يعيه ... » .

idée ، idéal ، ... الفكرة ، « المثل » أو « المثال » . التصويف (= المثالية) هو بتحويل الفكرية الى فكرَوِيّة أو المثالية الى مثالويّة .

المثالية – ولعل الأصح أن نقول : المثالوية – هي نسيان ان هذا **الاستباق** (= الفكر) هو **انعكاس**، توسيع كون الفكر استباقاً (تقدماً على الحاضر، على الواقع الخ) **خارج الحدّ** .

المادية الدارجة – والتي تتصوّر انها مادية مضاعفة !؟ – تفعل العكس . منطقها : الفكر انعكاس ، اذن ليس استباقـاً ؛ هذه المادية غير الماركسية ترفض أطروحة « الفكر استباق » من جميع الحيثيات ، بجميع المعاني ، في جميع العلاقات . وهي حماقة كبيرة ، لا **تفهم** الضلال المثالي ، وهي عاجزة أمامه . المادية الفرنسية في القرن الثامن عشر – وهي أعلى بكثير من المادية الدارجة – اضطرت أن تتحوّل الى **مثالية مفرطة** في فهم التاريخ (« الرأي يسيّر العـالم » ، رمت الانعكاس) تحت وطأة ساعة عمل تاريخي عظيم (الثورة) ...

المـادية الجدلية والتاريخية « أنهت » المثالية والمادية السابقة ، بتأكيدها مقولة العمل (الممارسة ، الفاعلية الذاتية الخ) ومفهوم الشغل .

المادة والفكر والعمل ؛ أو المـادة والعمل والفكر ؛ أو الفكر والمـادة والعمل ؛ أو العمل والفكر والمادة ... ثلاثي لا يقبل فصلاً ، ثلاث مقولات أولى ، أولية ، أساسية ، في « طوبولوجيا » المقولات الفلسفية الماركسية . بفضل العمل (الممارسة) ينكشف «سرّ» الفكر، موقعه : الفكر (الانساني) تعيين لازم في العمل (الانساني) . ولا مبرّر له ، لوجوده ، اذا لم يكن كذلك ، وإذا لم يكن استباقاً ، تقدماً ، « مثالياً » ، خيالاً ، حلماً الخ . وهذا يحمل معه إمكانية التحوّل الى محض خيال، الى شطح، الى جموح فارغ، الى مثالوِيّة ، الى « فكران » و « نظْران » ومضاربة في بورصة العقل .

وكما ان **المقولة** الاولى – المـادة – هي أيضاً (تُدعى أيضاً) الكينونة، الطبيعة ، الفيزيائي ، **المعطى** الأول ، كذلك فإن المقولة المقابلة (والملازمة في **الغنوزيولوجيا**) هي الفكر ، الروح ، الوعي ، السيكولوجي ، المعطى

الثاني . إنها **تشمل كل** إمارة النفسي ، السيكولوجي . إنها لا تشمل فقط علم لافوازيه وآينشتاين وماركس ، أو علم هؤلاء + أدب غوته وشيكسبير ، أو علم ماركس وأدب غوته ولاهوت توما الاكويني الخ ، بل هي تشعل أيضاً الإحساس أو الشعور ، و الحلم ، والصورة التي في رأس صانع الحذاء (التي ترشد صانع الحذاء) – ولنقل ان هذه المقولة الفلسفية الكبيرة (**الروح**) **تبدأ من هنا** ، تبدأ من الصورة في رأس الشغيل ، ومن إحساس أو شعور العمال الروس بأن الدنيا يجب أن تتغيَّر . العفوي هو بداية الواعي : هذا بالغ الوضوح والصراحة في « **ما العمل ؟** » .

لسوء الحظ ، هذا الكتاب اللينيني الشهير لم يُفْهَم ، لم يُفهم **أبداً** لا من قبل ماركسيي بلادنا (النمط القديم والنمط الجديد) ولا من قبل منظّري وشراح الماركسية الستالينية في العالم ، وخصومهم ، و « الخبراء » . هؤلاء الخبراء – بين جملة امور – لا يتعاملون مع الفلسفة ؛ وكتاب « ما العمل ؟ » هو – بين جملة أمور – كتاب فلسفة ...

ليس هنا مكان معالجة هذا الموضوع أو بالأحرى مواصلة معالجته (انظر كتابينا : نظرية الحزب عند لينين ، والماركسية اللينينية والتطور العالمي والعربي ، دار الحقيقة) .

(٤) في الحاصل ، يمكن القول :

في النقطة المعنية ، أرسطو **ضد** افلاطون، **مع المادية** ، ضد المثالية . رغم الاختلاطات ، يمثل أرسطو ردّ المادية على المثالية في مسألة الجذر .

(٥) إن أسلوب تعامل لينين مع الفلسفة ، مع افلاطون مثـــلاً ، جدير بالانتبـــاه .

لينين لا يجهـــل ان أفلاطون **متنوّع** . الفلسفة البرجوازية والجامعية ، « الحيادية » أو « الموضوعية » ، مَعنيّة بنقل صورة « أمينة » عن هـذا التنوّع . الجذر يضيع ...

لينين يمسك بالجذر ، يؤكد الاشكالية الاساسية المشتركة : أفلاطون – أرسطو – هيراكليت – غورجياس الخ – هيغل – فويرباخ ؛ يقفز من فوق « الافلاطونية – الجديدة » و « الروحانية » والأخلاقيات والسياسيات . همّه ، شغله : « المعرفة » ، العام والخاص ، « خارجية » العالم ، فهم طابع المعرفة **الجدلي** ، فصل المادية والمثالية بشكليها ...

حين أقرأ (في مجلة « قضايا السلم والاشتراكية – المجلة الماركسية الدولية – الوقت » – ندوة عالمية حول حركة التحرر الوطني و « طريق التطور اللا رأسمالي ») انـــه يجب ان نولي اهتمامنا لمسألة العام والخاص في الثورة الاجتماعية ، فإنني أفكِر : من الافضل أن نبدأ بالطاولة والكرسي والله .

٨

متفرقات

كوينوف عن فويرباخ
عروض لمؤلفين عن منطق هيغل
بلمنجه عن هيغل وماركس
نويل : منطق هيغل
ملاحظات على مؤلفات في علوم الطبيعة

بيار كوينوف Guenoff

« نظرية المعرفة والميتافيزياء عند فويرباخ »

زوريخ ، ١٩١١ – رسالة قدّمها صاحبها في برن . (٨٩ صفحة) .

هذا العمل ، المدرسي المحض ، يتألف ، **تقريباً حصراً** ، من شواهد من مؤلفات فويرباخ (حسب **طبعة يودل**) . لا يمكن أن يفيـــد إلا **كجمع** شواهد وناقص .

الموضوع بعيد عن أن يكون قد بُسِط من قبل الكاتب .

الكاتب يذكر بشكل رئيسي :

المجلد ٢، خصوصاً **الأطروحات والمبادىء** ، ثم **ضد الثنائية.**

المجلد ١٠ خصوصاً **حول الروحانية والمادية .**

لاحِظ في المجلد ٨ ، **دروس عن جوهر الدين** (فويرباخ نفسه كتب في عـام ١٨٤٨ إن هذا العمل اكثر انضاجاً من **جوهر المسيحية** ، الصادر عام ١٨٤١ (م ٨ ص ٢٦ ، ٢٩ ؛ ١٠٢ – ١٠٩ ؛ ٣٢٩ ، الخ) . NB .

المجلد ٧، **جوهر الدين** (١٨٤٥ ؛ فويرباخ يعتبره مؤلفاً هاماً).

المجلد ٤ **لايبنتس مع ملاحظات ١٨٤٧** NB (م ٤ ، ص ٢٦١ ، ١٩٧ ، ١٩٠ – ١٩١ ، ٢٧٤) .

المجلد ٧ ، إضافة الى **جوهر المسيحية .**

الكاتب يذكر (في روح فويرباخ) :

ابنغهاوس Ebbinghaus : عـلم النفس التجريبي ، ص ١١٠ و ٤٠٥ .

فر . يودل yodl : كتاب علم النفس ، ص ٤٠٣ .

آ. فورِل Forel ، الدماغ والنفس، الطبعة العاشرة، ص ١٤.

لانج Lange (الكتاب الثاني) ليس على حق ضـد فويرباخ (ص ٨٣ و ٨٨) وقد شوّه (ونفى) مادّيته .

الكاتب أعطى في البداية لمحـة عن التطور الفلسفي لفويرباخ : **أفكار عن الموت** (١٨٣٠) – وهو هيغلي ؛ **الكاتب والانسان** (١٨٣٤) . – هنا لم يكن المؤلف « يؤيد مذهب حلول الله في الكون بل مذهب تعدّد الآلهة »؛ كان « لا ينتسياً اكثر منـه هيغلياً » – بداية القطيعة ؛ **نقد الا آنتي هيغل** (١٨٣٥) – ضد أعداء هيغل ولكن ليس مع هيغل (انظر غرون Crün ، م ٢ ، ٤٠٩ ؛ م ١ ، ٣٩٠ و ٣٩٨) . – **نقد الفلسفة الهيغيلية** (١٨٣٩) . – **جوهر المسيحية** (١٨٤١) – القطيعة – **الأطروحات و – مبادىء فلسفة المستقبل** (١٨٤٢ و ١٨٤٣) . – **جوهر الدين** (١٨٤٥) . – **دروس عن جوهر الدين** (١٨٤٧) .

ملاحظات على

عروض لمؤلفين ألمان وفرنسيين وانكليز وطليان

تتصل بمنطق هيغل

في **الحوليات البروسية** (ج ١٥١) ١٩١٣ ، آذار ، مقـــال الدكتور **ف . ج شميدت** : « هيغل وماركس » الكاتب يمجّد الانعطاف نحو هيغل ، يهاجم « سكولاستيك نظرية المعرفة » ، ويذكد الهيغليين – الجدد **قسطنطين روسلر وآدولف لاسون** (الحوليات البروسية) . يزعم prétend ، بمناسبة كتاب بلنجه Plange ، ان ماركس لم يفهم معنى « الفكرة القومية » من حيث هي synthèse جمع ، تركيب . إن مأثرة ماركس – تنظيم الشغيلة – كبيرة ولكنها ... أحادية الجانب .

مسطرة عن خصي « ليبرالي » لماركس (بالأصحّ برجوازي ، بمعنى حب عاطفي للعامل ، اذْ أن المؤلِف هو على الارجح محافظ) . N B .

ماك تاجرت Ellis Mac Taggart ، **بحوث عـــن ديالكتيك هيغل** ، كمبريدج ١٨٩٦ (٢٥٩ صفحة) . تقرير عن هذا الكتاب في مجلة Yeitschrift Für Philosophie ، ج ١١٩ (١٩٠٢) ، ص ١٨٥ . المـــؤلِف مختص بفلسفة هيغل، يدافع عنها ضد سِث، بلفور، لوتز، ترند لنبورغ الخ (يجب الاعتقاد بان المؤلف ، تاجرت ، مثالي جداً) .

إميل هاماشر Em. Hammacher **معنى فلسفة هيغل** (٩٢ صفحة) ، ١٩١١ ، لايبتسيغ .

تقرير [عن هـــذا الكتاب] في Jeitschrift für Philos ، حـ ١٤٨ (١٩١٢) ، ص ٩٥ . يمكن ان نجد فيه ملاحظات لا بأس بهـــا عن « استئناف المثالية الـ بَعْد ـ كنطية في الازمنة الحديثة » ؛ [حسب التقرير] فيندلباند لا أدريُ (ص ٩٦) الخ ؛ ولكن المؤلف [هاماشر] لم يفهم أبداً « المثالية المطلقة » لهيغل ، كما لم يفهمها ريل ، ديلتي ، ونجوم أخرى. تصدَّى لعمل يفوق طاقته .

اندرو ست Andrew Seth : **من كنط الى هيغل .** مع فصول عن فلسفة الدين . لندن ١٨٨٢ (تقـــرير عنه في J. f. Ph. ، حـ ٨٣ ، ص ١٤٥) (١٨٨٣) .

المؤلِف ، كما يقال لنا [في التقرير] ، يدافع عن هيغل ضـــد كنط . (كتاب مؤيِـد) .

سترلنغ Sterling : **سر هيغل.** تقرير في نفس المرجع، ج ٥٣ (١٨٦٨)، ص ٢٦٨ . المؤلف ، الذي يبدو معجباً متحمّساً تمامـــاً لهيغل ، يشرحه للانـكليز .

برتراندو سبافنتا B. spaventa : **من سقراط الى هيغل .** مدينة باري [ايطاليا] ، ١٩٠٥ (٤٣٢ صفحة ، ٤ ليرات و ٥٠ قرشاً) . تقرير عنه ، في نفس المرجع ، حـ ١٢٩ (١٩٠٦) . ـ الكتاب **مجموعة مقالات** تتصل في جملة أمور بهيغل ، وسبافنتا مؤيد أمين له .

سترلنغ : سر هيغل .

بالايطالية : سبافنتا : من سقراط الى هيغل .

ماريانو .

بالالمانية : ميشليه و هِنِنْغ : ديالكتيك هيغل (١٨٨٨) .

شميت : تاريخ ديالكتيك هيغل (١٨٨٨) .

مراجع أحدث عن **هيغل** :

الهيغليون – الجدد : **كيرد** Caird ، **برادلي** Bradley .

ج. ب. بايي Baillie : **أصل ومعنى منطق هيغل** ، لندن ١٩٠١ (٣٧٥ صفحة) . تقرير عنه في **المجلة الفلسفية** [الفرنسية] ١٩٠٢ ، ٢ ، ص ٣١٢ . [حسب التقرير] لا يكتفي المؤلف بترداد حدود هيغل (كما يفعل فيرا Véra)، بل يحاول ان يتابعها **تاريخياً** وان يشرحها. بين أمور عديدة، الفصل العاشر: العلاقات بين المنطق والطبيعة (هيغل لم يبلغ هدفه) . أهمية هيغل تأتي من كونه « برهن الطابع **الموضوعي** للمعرفة » ... (ص ٣١٤) .

وليم وولاس W. Wallace : **مدخل الى دراسة فلسفة هيغل وبالاخص منطقه** . اوكسفورد ولندن ١٨٩٤ . تقرير عنه في **«المجلة الفلسفية»** ١٨٩٤ ، ٢ ، صفحة ٥٣٨ . الطبعة الثانية . الاولى عام ١٨٧٤ . المؤلِف ترجم **« منطق »** هيغل .

« وولاس يعرض بوضوح تام تصور هيغل لهذا العلم (المنطق) ... هذا العلم الذي يهيمن معاً على فلسفة الطبيعة وفلسفة الروح لأن الفكر الخالص او الفكرة هو الأساس المشترك للواقع المادي وللواقع النفسي سواء بسواء » (٥٤٠) . **هـ. ل** : منه ايضاً في ١٨٩٤ ترجمة **« فلسفة الروح »** مع فصل تفسيري . تقرير عنه في نفس المرجع .

التقرير عن **وولاس** في J. f. Ph. ، ج ٣ (١٨٩٧) ، ص ٢٠٨، تقرير إطرائي ولكنه عديم الصلابة .

ب روتا P. Rotta : **« بعث هيغل والفلسفة الخالدة »** في **المجلة الفلسفية** الايطالية ١٩١١ ، ج ١ . — (تقرير عنه في **المجلة الفلسفية** [الفرنسية] ١٩١١ ، ٢ ، ص ٣٣٣) .

روتا نصير لِ كيرد Caird . يبدو لا بأس به .

بين جملة أمور ... « التصوّر الهيغلي الجديد لبرادلي عن القدرة غير المرئية ، المكتشفة بلا انقطاع ، الحاضرة والفاعلة في كل تغيّر وفي كل فعل خاص » . **هـ. ل تأويل مثالي للقدرة ؟؟** .

غرير هيبن Grier Hibben : **منطق هيغل** ، محاولة تفسير . نيويورك، ١٩٠٢ ، ص ٣١٣ .

تقرير عنه في **المجلة الفلسفية** ، ١٩٠٤ ، ج ١ ، ص ٤٣٠ : « على الرغم من عنوانه ، إن مؤلف السيد G. H ليس تعليقاً تأويلياً بقدر ما هو ملخص حرفي تقريباً » . المؤلف ألّف شيئاً من نوع **جدول شرح** المفردات الموجودة في منطق هيغل ، ولكن ليس هذا هو الأمر الجوهرى : « ما يزال المعلقون يتناقشون عن موقف هيغل ، عن المعنى الاساسي والهدف الحقيقي لجدله . والانتقادات الشهيرة لِ **ست** Seth عارضها منقّبون حديثون ، أعطوا معنى مختلفاً تماماً للمنطق، مأخوذاً في جملته، لا سيما **ماك تاجرت وجورج نويل.»** (٤٣١) .

هـ. ل : بوجه عام ، يسجل كاتب التقرير « انبعاث الهيغلية في البلاد الانجلوسكسونية ... في هذه السنوات الاخيرة » .

N B . حسب رأي هيبن ، منطق هيغل « ليس محض منظومة نظرانية، ليس تركيباً عالماً متفنّناً في كثير او قليل لمفاهيم مجردة ؛ انه في الوقت نفسه « تأويل للحياة الكلية في كل امتلاء معناها العياني » . (ص ٤٣٠) . N B .

د. يوهان بلنجه Dr. Yohann Plenge

« ماركس وهيغل »

توبنجن ، ١٩١١

بلنجه لا يستطيع أن يفهم كيف يمكن أن تتفق « المادية » مع **الروح الثورية** (التي يدعوها « مثالية » الخ) . انه يغضب ضد عدم فهمه هو !!! عقل بالغ الابتذال .

مثال جميل عن الطريقة التي بهـــا يبتذل الأساتذة البرجوازيون أسس الماركسية، أسسها النظرية !! هذا لِعِلْم الاقتصاديين الامبرياليين وشركاهم !!

بعد مقدّمة مدّعية : اليكم كيف أنا ، أنا ، أنا ، « قرأ » تُ هيغـــل وماركس – تأتي لمحة سطحية جداً عن « نظرية » هيغل (المثالية لا تُميَّز عن « النظْران » ؛ ما يقبض عليه بلنجه قليل جداً ؛ ومع ذلك **ثمة** في هذه الدراسة بعض الملاحظات الجيدة عن الكنطية الخ) . في موضوع ماركس ، الـ « نقد » أحمق وحسْب .

[**هـ . ل** : الوجه **النظري** للديالكتيك مضى دون أن يُرى !!]

ماركس متَّهَم بـ « الايديولوجيـا الخالصة » حين يفهم بالبروليتاري « الواقعي » ممثل الطبقة (٨٢) . [**هـ . ل** : ماركس = «ايديولوجي»] .

« تارةً اللغـــةُ الفظةُ لرسوليةٍ أنكرتْ بجزم كل مثالية ... وتارة الطلب المثالي لسياسي متحمّس : هـــذا هو واقع كارل ماركس » (٨٢) . **هـ . ل** : !

« من المثير للفضول ان هـــذا الدكتور الراديكالي اليهودي لم يعرف طيلة حياته سوى دواء **واحد وحيد** لجميع الاشكال الاجتماعية التي كانت بحاجة الى معالجة ألا وهو : النقد والكفـــاح السياسي » (٥٦) . **هـ . ل** : « واحد وحيد » .

... المادية التاريخية لماركس ليست بالحقيقة « شيئـاً آخر سوى طلعة عاطفية مثيرة » ، « نظرية عقلانية الى أعلى درجة » ، « في قرارة نفسهـــا نظرة مثالية الى المجتمع » ، الخ ، الخ . (٨٣) . **هـ . ل** : ماركس !! « لم يفهم » هيغل ، ص ٩٧ وبعدها .

... « أفكار تحريض » ... (٨٤) كذلك (٨٦ ، ٩٢ وبعدها) (١١٥ وبعدها) .

ماركس استملك « هذه التجربية ، تجربية علوم الطبيعة » ، « ماركس يحوّل علم المجتمع الى طبيعيّة » (نفس المكان) .

... « طريقُه (طريق ماركس) ليس طريق رجل فكر بل طريق نبي من أنبياء الحرّية » ... !!؟ (٩٥) .

الثورة الاشتراكية = أملٌ ذاتيٌّ في جعلهـــا تُعتبَر « معرفةً علمية موضوعية » ، « ذلك وَهْمُ حـــالمٍ في حالة وَجْد ، ينحطّ الى خداع » (ص ١١٠) !!

« إرادةٌ جامحة لداع من دعاة الحرية راديكالي...تهيمن على ماركس»... (ص ١١١) !!

ماركس ، « المحرّض الذي يحرّض كل غرائز الحقد » ... (١١٥) . **هـ . ل** : من هنا ، الغضب !

الماركسية « تصبح إثيقا [أخلاقية] حماسٍ متعصّب ، سلبيّ تجريدياً » (مثل المحمّدية حسب هيغل !) ... (١٢٠) .

... « المزاج التعصّبي » لماركس (« رأسه المشتعِل ») – ذلك هو أساس المسألة (١٢٠) .

الخ ... مزاح من نوع واطىء !

من أين يأتي هذا الشاهد ؟ المؤلِف لا يذكر .

NB « بلا ثورة ، لا يمكن أن تتحقق الاشتراكية . فهي بحاجة الى هذا الفعل السياسي ، بقدر ما هي بحاجة الى دمار وخراب . ولكن حيث تبدأ فاعليتها العضوية ، حيث تنكشف غايتها الحقيقية ، ترمي الاشتراكية غلافها السياسي » . NB .

إذ ينقل بلنجه هذا الشاهد دون ذكر المصدر ، فهو يتابع : « الغلاف السياسي الذي يسقط هو بالبداهة الماركسية كلها . » (١٢٩) .

كيف يكتشف بلنجه « التناقضات » : يبدو أن ماركس كتب في **الجريدة الراينية** :

« إن الروح ذاته الذي يبني سكك الحديد بأذرع الصناعة،يبني المنظومات الفلسفية في دماغ الفيلسوف » (ص ١٤٣) . ثم تتحرَّر وسائل الانتاج هذه من الروح الذي خلقها ومن جهتها تقرِّر وتحدِّد الروح تماماً . **ه . ل** : « خفة روح !! » .

مسطرة من نقد نظرية فضل – القيمة عند بلنجه :

« بمبالغتها الفظة ، تُبرِز هذه النظرية بوضوح يُعمي هذا الواقع القاسي للرأسمالية ، ألا وهو ان حبّ كسْب المال يخفِّض الأجور ويُفاقم شروط الشغل.ولكنها بالمقابل مصابة بخطيئة ابتدائية هي خطيئة ازدواجية المفاهيم، الازدواجية التي تقنّنها المفردات المستخدمة . » (١٥٧) .

... « بحكم حاجات التحريض ، تتخذ نظرية فضل – القيمة ، النظرية المشعلة للحرائق ، المكان الأبرز في جملة المذهب » ... (١٦٤) .

... « ماركس – يهودي ثوري من القرن التاسع عشر ، أعـــاد تفصيل اللباس المستعار من فلسفتنا العظيمة لأغراض شخصية . » (١٧١) . هـ . ل : اللؤلؤة !!

((بلنجه هـــذا عقل بالغ السوقية . القيمة العلمية لكتابه الصغير المسكين صفر .))

ملاحظة

آ) إن « نقد » بلنجه لماركس والماركسية نموذج أدبٍ واسع الانتشار في زمن لينين وزمننا ...

ولكن يمكن ويجب أن نتساءل ما اذا لم تكن الصورة التي يقدمها عن ماركس ليست هي الى حد كبير صورة ماركس في ذهن عدد من « أنصار » ماركس ، وتحديداً في ذهن «اليسار العربي الجديد – الجناح العامل الطليعي» بمختلف منظماته ...

ب) بصدد نظرية **فضل – القيمة** وفهم بلنجه ، لا بأس من التذكير بأن نظرية فضل–القيمة و إنتاج فضل–القيمة النسبي الخ تعلّل – في الماركسية – **تقدمية** و **ثورية** نظام الانتاج الرأسمالي .

جـ) « تَعارُض المادية والروح الثورية » فكرة واردة عند مفكرين من طراز أرقى (من بلنجه) بكثير . انها بوجه الاجمال فكرة تيار « المثالية شبه الماركسية » (« الماركسية » الوجودية وسواها) .

د) فيما يلي نص ما كتبه ماركس في **الجريدة الراينية** ، ١٨٤٢/٧/١٤ :

« الفلاسفة لا ينبتون من الأرض كما يخرج الفطر ، انهم ثمـــار عصرهم وشعبهم ، اللذين عُصاراتُـها الأدقّ والأثمن والأقل قابلية للرؤية تجد تعبيرها في الأفكار الفلسفية . إن الروح ذاته الذي يبني المنظومات الفلسفية في دماغ الفلاسفة يبني سكك الحديد بأيدي العمال . الفلسفة ليست خارج العالم ... ».

جورج نويل G. Noël

« منطق هيغل »

باريس ، ١٨٩٧

(صدر في شكل مقالات في «مجلة ما وراء الطبيعة والاخلاق» [الفرنسية] التي يديرها كزافيه ليون) .

المؤلف **مثالي** وبلا مدى . يقدم عرضـــاً عن هيغل ، يدافع عنه ضد « الفلاسفة المعاصرين » ، يوازنه مع كنط ، الخ . لا شيء مثير للاهتمام . لا شيء عميق . ولا كلمة عن الجدل **المادي** . الأرجح ان المؤلف ليس له عنه أية فكرة .

لاحظ **ترجمته** لمصطلحات هيغل :

Etre - Essence - Notion (Mesure , etc) :

كينونة (او وجود) ، جوهـــر (او ماهية) ، مفهوم او فكرة ، (قياس ومقياس ، الخ) .

Devenir * (das Gevordene) صار ، صيرورة .

---

* **ملاحظة من هيئة التحرير الفرنسية** : لينين لم يعط هنا سوى الكلمة الاخـــيرة من عبارة نويل ونصّها : « كائن يخرج من الصيرورة » .

[صار ، devenir : بالالمانية Werden] .

l'être déterminé (Dasien)	كينونة محدّدة (معيّنة) ، وجود
Etre pour un autre (Sein für anderes)	كينونة لآخَر (كائن لآخر)
Quelque chose (Etwas)	شيء ما
Limite (Grenze)	حدّ
Borne (Schranke)	حدّ
Devoir être (Sollen)	يجب ان يكون ، وجوب كينونة
Etre pour soi (Für - sich - sein)	كائن لذاته
Existence hors de soi (Ausser - sich - sein)	وجودخارج الذات
La Connaissance « das Erkennen »	المعرفة
Actualité « Wirklichkeit »	راهنية (وواقعية)
Apparence « Schein »	الظاهر ، ظاهري
Etre posé « das Gesetzsein »	كونه وُضِع ، يوضع
Position « setzende Reflexion »	وضْع
Fondement au raison d'être «Grund»	أساس، أس، علة وجود (أرضية ، قاعدة)
L'Universel «das Allgemine »	الكلي ، الكوني ، الشمولي
Partêculier « das Besondere »	خصوصي ، خاص ، جرئي
Jugement « das Urteil »	حكْم
Raisonnement au Syllogisme «Schluss»	محاكمة او قياس (م ١)

لاحظ أيضا المحاولات اللطيفة المسليَّة التي يبذلها المؤلف لتبرئة هيغل إن صح القول من تهمة « الواقعية » (إقرأ : المادية) . عند هيغل ، « الفلسفة في جملتها هي قياس Syllogisme . وفي هـــذا القياس ، المنطق هو الكلي ، الطبيعة هي الخصوصي ، والروح هو المفرد (صفحة ١٢٣) . المؤلف يحلل (= يجترّ) جمل **المنطق** الاخيرة حول الانتقـــال من **الفكرة** الى **الطبيعة** .

ينجم عن ذلك ان العقل يعْرف الفكرة = القوانين ، المجردات الخ ، بالطبيعة (في الطبيعة) . حذار ! هذا تقريباً مادية !! ...

« أليس تناول الطبيعة في ذاتها ، بصورة مجردة عن الروح ، أليس عودةً الى الواقعية الاكثر سذاجة ؟ » (ص ١٢٩) ! NB .

« لا ريب ان هيغل ، حين يُدْخِل بين « المنطق » و « فلسفة الروح » « فلسفة عن الطبيعة » ، يضع نفسه في وجهة نظر الواقعية ، ولكنه لا يقترف في ذلك اي مخالفة للمنطق aucune inconséquence ... إن واقعية هيغل موقّتة وحسْب . انها وجهة نظر يجب تجاوزها . »(١٢٩) .NB .

« أما ان للواقعية حقيقتها النسبية ، فهذا أمر لا جدال فيه . إن وجهةُ نظرٍ بهذه الدرجة من الطبيعة والكلية ليست ضلالاً عرَضياً للروح البشرية [NB] ... لتجاوز الواقعية ، يجب على الجدل ان يعطيها أولاً كامل تطورها وانبساطها وهكذا فقط يبرهن على ضرورة المثالية . اذن هيغل يضع الزمان والمكان كأعم تحديدات للطبيعة وليس فقط كأشكال للروح . وهو يبدو على هذه النقطة في خلاف مع كنط ، ولكنه ليس كذلك إلا في الظاهر وفي الكلمات ... » [!! ؟؟] .

« ... هذا يفسّر كونه (كون هيغل) يتحدّث عن الصفات الحسّية وكأنها حقاً ملازمة للاجسام . يمكن ان نستغرب كون السيد فوندت Wundt يتهمه على هذه النقطة بالجهل . هل يعتقد الفيلسوف العلّامة ان هيغل لم يقرأ أبداً ديكارت ، لوك ، او حتى كنط ؟ اذا كان واقعياً ، فذلك ليس عن جهل او تناقض بل بصورة وقتية وعن طريقة . » (١٣٠) . هـ. ل : NB هيغل « واقعي » NB .

في مقارنة بين هيغل وسبينوزا ، يقول المؤلف : « باختصار ، إن هيغل وسبينوزا متفقان على إخضاع الطبيعة للمنطق » (١٤٠) ، ولكن عند

هيغل ليس المنطق رياضياً ، بل هو منطق التناقضات ، منطق الانتقال من « التجريد الخالص الى الواقع » (الخ) . عند سبينوزا ، على حد قوله « نحن على طرفيْ نقيض مع المثالية ... » (١٣٨) اذْ « أن عالم الارواح (عند سبينوزا) كائن الى جانب عالم الاجسام وليس فوقه » ...

... « فكرة التطور ذات الدلالة البالغة في الهيغلية لا معنى لها بالنسبة لسبينوزا » ... (١٣٨) .

هيغل ينمّي ويبْسط جدل افلاطون (« يعترف مع أفلاطون بالتواجد الضروري للمتناقضات » ، ١٤٠ – لايبنتس قريب من هيغل ، ١٤١) .

نويل يدافع عن هيغل ضد تهمة الحلولية * ... (هذه التهمة كما يبدو ترتكز على الحجج الآتية) :

« الروح المطلق ، الحد الأخير في جدله (جدل هيغل) هل هو في الأساس شيء آخر سوى روح الانسان ذاتها مُمَثْلَنَةً ومؤلَّهةً ؟ إلهه هل موجود خارج الطبيعة والبشرية ؟ (١٤٢) .

« دفاع » نويل (عن هيغل) قائم على تأكيد (على ترداد ومضغ) ان هيغل كان مثالياً .

هيغل ليس (حسب نويل) « دوغمائياً » ؟ (الفصل ٦ : دوغمائية هيغل) . انه دوغمائي ، بمعنى **اللا ريبية** ، بمعنى **العصر القديم** (ص١٤٧) . [هـ . ل :هيغل ليس « ريبياً »] . ولكن عند كنط ، دوغمائية = معرفة « الشيء في ذاته » . هيغل (مثله مثل فيخته) ينفي الأشياء في ذاتها .

عند **كنط** ، لدينا **« الواقعية اللا أدرية »** (ص ١٤٨ ، نهاية الصفحة) . NB .

---

* مذهب حلول الله في الكون او حلّه في الكون ، الوحدة الإلهية للطبيعة ، وحدة هويتها (الله هو الكون ، الكون هو الله) . مذهب التصوّف ، سبينوزا ، هيغل ، الخ الخ ، بأشكال **واتجاهات** مختلفة .

... « من وجهة نظر اللا أدرية يُعرّف كنط الدوغمائية . دوغمائيٌّ كل من يزعم تحديد الشيء في ذاته ، معرفة ما لا يُعْرَف . [هـ . ل : كنط لا أدريّ] . ومن جهة اخرى ، الدوغمائية يمكن أن تتخذ شكلين » ... (١٤٩) إمّا الصوفية وإمّا ...

تستطيع أيضاً أن تشيد بسذاجة الواقع المحسوس كواقع مطلق ، أن تقيم تماثل الظاهرة والشيء في ذاته العقلي noumène . انهـا عندئذ الدوغمائية التجربية ، دوغمائية الرجل العامي والعلماء الغريبين عن الفلسفة . الماديون يسقطون في هذا الخطأ الثـاني ، الأول كان خطأ أفلاطون ، ديكارت ، وأتباعهما » ... [هـ . ل : NB الماديون = « دوغمائيون »] .

عند هيغل ، لا يوجد [حسب نويل] أي أثر للدوغمائية ، إذ « ليس وارداً بالطبع أن يُتّهَم بإنكار نسبية الأشياء الى الفكر ، ما دام كل مذهبه يرتكز على هذا المبدأ . كذلك لا يجوز اتهامه بتطبيق المقولات دونما تمييز أو نقد . منطقه هل هو شيء آخر سوى نقد للمقولات ، نقدٍ هو ولا شك أعمق من النقد الكنطي ؟ » (١٥٠) .

« لا ريب ان هيغل ، حين يرمي النومينات noumènes ، إنما بذلك ذاته يضع الواقع في الظاهرة ، ولكن هذا الواقع ، في الظاهرة كظاهرة ، ليس سوى واقع مباشر ، بالتـالي نسبي وناقص داخلياً . ليس هو الواقع الحقيقي إلا ضمنيًّا وبشرط بسْطه اللاحق » ... (١٥١) . هـ . ل : NB [على الجملة الأخيرة] .

... « من جهة أخرى ،بين القابل للفهم والقابل للحسّ ، ليس من تعارض مطلق ، ليس من انقطاع ، من هوة مستحيلة التجاوز . المحسوس هو المفهوم intelligible وقد اسْتُحِس [وقد استُشعِر] ؛ المفهوم هو المحسوس وقد فُهِم » ... (١٥٢) . هـ . ل : لا بأس عليك !

(أيها المثالي المسَطّح ، حتى لك كان هيغل مفيداً !) .

... « الكائن المحسوس يحوي ضمنياً المطلق وبتدرّج دائم نرتفع من هذا الى ذاك . (١٥٣) .

... « هكذا، ومهما قيل عنها، فإن فلسفة كنط محتفظة بالعيب الاساسي للدوغمائية الصوفية . نجد فيها السمتين المميزتين لهذا المذهب : التعارض المطلق بين الحسّي والـ فوق – الحسّي ، والانتقال المباشر غير الموسّط من الواحد الى الآخر . » (١٥٦) .

في الفصل السابع: «هيغل والفكر المعاصر»، نويل يهاجم المذهب الوضعي لأوغست كونت (م ٢) وفي تحليله يدعوه **منظومة لا أدرية** » (١٦٦) . **هـ. ل** : وضعية لا أدرية .

(كذلك ص ١٦٩ : « اللاأدرية الوضعية ») .

حيث ينتقد الوضعية كلا أدرية ، يسدّد لها ضربات أحياناً ناجعة بحكم تناقضاتها–.مثلاً حيث يقول انه لا يمكن تجنّب المسألة المتعلقة بمصدر القوانين او « الدوام » في الوقائع (« وقائع لا تتبدل » ، ١٧٠) :

...«حسْبما نتصورها (الوقائع التي لا تتبدّل) كغير قابلة لأن تُعْرَف، أو كقابلة لأن تعرف ، نجد أنفسنا معادين إما الى اللا أدرية او الى الفلسفة الدوغمائية » ... (١٧٠ نهاية الصفحة .) .

النقدية الجديدة للسيد رنوفيه Renouvier هي انتقائية ، حالة متوسطة بين الظاهراتية الوضعية والكنطية بحصر المعنى » (١٧٥) .

في ثرثراته عن الأخلاق والحرية ، الخ ، نويل ، الذي يبتذل هيغل، لا يقول كلمة واحدة عن الحرية من حيث هي فهم الضرورة.

تراجم هيغل الى الفرنسية : **فيرا** Véra : المنطق ، فلسفة الروح ، فلسفة الدين ، فلسفة الطبيعة ... **ش بنار** Ch. Bénard : الاستيطيقا (الجمال) والبويطيقا (الشعر) .

مؤلفات عن الهيغلية :

آ. **بوسير** A. Beaussire :سوابق الهيغلية في الفلسفة الفرنسية .

ب. **جانيه** P. Janet : الديالكتيك عند هيغل وأفلاطون .

١٨٦٠ **ماريانو** Mariano : الفلسفة المعاصرة في ايطاليا

فيرا : مدخل الى دراسه فلسفة هيغل .

ملاحظات

(١) كلمة Schluss الالمانية تعني : إغلاق ، انتهاء ، نتيجة ، اذن فكرة الوصول الى نتيجة ، الى نهاية .

نوعاً مـــا ، الخط الهيغلي – الماركسي يثبّت وحدة معاني كلمات Raisonnement (محاكمة ، استدلال) ، déduction (استنتاج) ، قياس syllogisme .

« مدرسياً » ، نمـــيز ونفرق déduction (استنتاج) و induction (استقراء) بوصفها **طريقيْن** للـ Raisonnement (المحاكمة او الاستدلال). هذا التمييز او الفرق مبرّر وضروري ، شريطة عدم الانتهـــاء عنده . كل محاكمة هي استنتاج déduction . الفلسفة الماركسية ، إن صح القول ، **ترد الاعتبار** لـ « الاستنتـــاج » ، ضد اتجـاه رافق نهضة العصر الحديث ونهضة العـلوم ، ضد « الطريقة التجريبية – الاستقرائية » المبرّرة تمامـاً والمحدودة بحدود تاريخية ومعرفية واضحة ، وخصوصاً ضـــد الاتجاهات والمواقف « التجربية » و« الوضعية » للعلماء معارضي « الفلسفة » الخ .

انجلس ، في أحد دفاتر « جدل الطبيعة » ، يجـــادل انصار الاستقراء معارضي الاستنتاج ، فيقول (بين جملة أمور) : « حماقة هيكل Haeckel : استقراء ضد استنتاج. وكأن الاستنتاج ليس = المحاكمة ، اذن ايضاً الاستقراء هو استنتاج » ...

اذا تركنـا اختلاف المفردات بين لغة وأخـرى (بل بـــين السوريين والمصريين : نقصد المصطلحات « الفلسفية ») وإذا حصرنا نظـرنا في اللغة العربية المتداولة « الشعبية » ، أمكننا القول ان المادية الجدلية تثمّن كلمة

استنتاج بالمعنيين [١) وصول الى نتيجة انطلاقاً من مقدّمات ، معنى واسع ٢) سير الفكر من العام الى الخاص، من القانون الى الوقائع الخ ، معنى ضيق] مشيرة الى ان هذه الكلمة **الواحدة** تؤكد وجود **هوية** مع الفرق ، **تماثل** مع الاختلاف ، وتثمّن كلمة **استقراء** : = « قراءة انجيل الحواس في تواصله ، في ترابطه = **الفكر، التفكير** » (فويرباخ ، لينين) . هـذا الاستقراء هو ايضاً استنتاج .

(٢) **اوغست كونت** (١٧٩٨ – ١٨٥٧) فيلسوف فرنسي ، عـاصر هيغل وفويرباخ وماركس ، ذو شهرة جـامعية ومدرسية واسعة ، ذو نفوذ كبير (بما في ذلك في صف المـاركسية والماركسيين : ألتوسر يمجّده ويسير وراءه ضدّ « الفلسفة ») .

مذهبه يُدعى الوضعية (الوضعَوِية) او الايجابية positivisme . هذا الذي يمكن اعتباره انحطاطـاً فرنسياً لـ **هيوم** الانـكليزي هو بمثابة حلقة في الطريق الذي يفضي الى **ماخ** والى تجريبيّات ووضعيّات القرن العشرين . بوجه الاجمال ، الوضعية تيار مثال – ذاتي مهذّب .

أوغست كونت اشتهر **بقانون الحالات الثلاث** . حسب هذا القانون ، البشرية تمر بثلاث حالات (والفكر البشري مرّ او يمرّ بثـلاث مراحل) : ١) الحالة **اللاهوتية** ٢) الحالة **الميتافيزية** ٣) الحالة **الوضعية** او العلمية . هذا جميل . ولكن :

المسألة الفلسفية الاولى ميتافيزياء ، البحث في بنية المـادة ميتافيزياء ، الأستروفيزياء (الفيزياء الفلكية) ميتافيزياء ، حساب الاحتمالات ميتافيزياء ، الخليّة ميتافيزياء ، مفهوم السببية ميتافيزياء ، الثورة ميتافيزياء واستبدادية .

من أشهر أحكامه استحالة معرفـة بنية (عناصر) الكواكب – بعد سنوات قليلة ، حل المطياف هـذه المسألة – ولا جدوى ولا علمية نظريات الضوء : انها على حد قوله تصورات مناهضة للعلم وعديمة القيمة تماماً (« رغم كل التخمينات العسفية ، ستبقى الظاهرات الضوئية الى الأبد صنفاً نسيج ذاته

قائمـاً بذاته ... إن الضوء سيبقى الى الأبد مغايراً للحركة او للصوت » ! — والوضعية تدّعي التسامح واللاتعصّب !) .

أفضل مـا عنده يبدو تصنيفه للعلوم (ستّة علوم : رياضيات ، فلك ، فيزياء ، كيمياء ، بيولوجيا ، سوسيولوجيا ؛ حسب درجة التعقيد وبالتـالي موعد التكوّن كعلْم وضعي) .

أثّر تأثيراً ايجابياً وسلبياً على بعض رواد النهضة العربية وعلى أجيال من المثقفين (الى جانب مؤثرات انجلوسكسونية موازية : تطورية ، منفعية الخ) .

ولقد أسّس كونت الوضعي دينـاً جديداً ذا طقوس وتنظيم وأسرار Sacrements : موضوع العبـادة هو الانسانية التي هي الكائن الكبير ، الارض تدعى التميمة الكبرى ، والمكان الوسط الكبير ...

كموقف فلسفي (فرنسي ، انكليزي ، الماني الخ ، عام) ، الوضعية تنبذ « الفلسفة » ، تنبذ المطلق باسم النسبي، والعام او الكلي باسم الخاص (وقـد رأينا هذه الخصوصية المخصيّة في مثـال الضوء) . الوضعية تجربية منقّاة ، مطوّرة . ولكنها بجذفهـا الكلّي لا تستطيع بلوغ العياني الحقيقي، لا تستطيع بلوغ « المفرد » في الفكر السياسي مثلاً .

تيار المراجعة (التحريفية) مارس ضغطاً وضعيـاً على الماركسية ، في اطارها واطار حركة العمال : ضد هيغل ، ضد « اللاهوت الجدلي » ، مـع « العلْم الأحدث » وهلمّجرا ، وأضاف الى هـذا اللون الوضعي لوناً « أخلاقيا » ؛ الايديولوجيا التحريفية تبدو : علموية قاصرة + إثيقـا (« أخلاقيـات ») . التيارُ العريض في الماركسية الارثوذكسية « قبض » الجانب الأول وحوّله الى دوغمـائية ماركسية علموية . « اليسار الأقصى » تمرّد على هذه الحالة (روزا لوكسمبورغ ، كارل ليبكنشت، بلاشفة اليسار). وفي عملية الإنقاذ اللينيني ، تحتل الفلسفه مكاناً أساسياً .

نترك للقارىء المقارنة مع وضع الماركسية الحالي ...

ملاحظات على مؤلفات
في علوم الطبيعة

بول فولكمان Paul Volkmann
« الأسس النظرية للمعرفة في علوم الطبيعة »
(« العلم والفرضية » ، ح ٩)

الطبعة الثانية ، لايبتسيغ ١٩١٠

في الفلسفة ، المؤلف انتقائي ومسطّح ، خصوصاً في كتاباته ضد هيكل Haeckel * أو عن بوكل Bockle الخ الخ . ولكن اتجاهه على أي حال مادي، مثلاً : « المسألة هي معرفة مـــا إذا كنّا نخضع مفاهيمنا للطبيعة أو نخضع الطبيعة لنا » — وحدة وجهتي النظر، على حد قوله . ماخ على حق، ولكنني أعارضه (أعارض وجهة نظر ماخ) بوجهة النظر « الموضوعية » .

---

* هيكل (١٨٣٤ - ١٩١٩) : عالم طبيعيات الماني كبير ، نصير داروين ، مكافح ضد المثالية والاكليركية واللا أدرية . كتابه « اسرار الكون » أثار عاصفة واسعة في أوروبا. ممثل « مادية علوم الطبيعة »، وهي تيار واسع الانتشار بين العلماء لا يدعو نفسه مادياً ، مادية عفوية تلقائية تستند الى العلوم وتقدمها . ولكن هيكل يحاول ان ينظّرها بعيداً عن الفلسفة ، عن المادية الجدلية الخ ، يوسع « الحياة » على كل المادة ، ينقـــل قانون داروين (الصراع من أجل الحياة) الى الميدان الاجتماعي ... انجلس ولينين انتقدا هذه المادية .

« هكذا أعتبر أن المنطق يجد فينا أصله في التيار النظامي [القياسي] للأشياء خارجنا ، ان الضرورة الخارجية لسيرورات الطبيعة هي معلمنا الأول والحقيقي » .

يقف ضد الفينومينولوجيا والواحدية المعاصرة ، ولكنه لا يفهم مطلقاً **الأمر الجوهري** في الفلسفة المادية والمثالية . بالحقيقة ، كل شيء عنده يتقلّص الى « طرائق » علوم الطبيعة بالروح العامة للوضعية ، بل انه لا يعرف ان يطرح مسألة الواقعية الموضوعية للطبيعة **خارج** وعي (وإحساسات) الانسان.

ماكس فرفورن Max Verrvorn

« الفرضية البيوتوليدية »

بينا ، ١٩٠٣

انظر ص ٩ تعريف « الخميرة » enzyme .

المؤلف يبسط موضوعاً خاصاً هـــو موضوع « الماهيّة الحية » والتبادل الكيميائي للمواد الحاصل فيها . موضوع خاص .

نجد قائمة مراجع عن المسألة .

ص ١١٢ – « فرضية عمل » ، هذا [في رأيه] الأمر الجوهري . مثلاً ، في القرن التاسع عشر أدت المادية خدمات كبرى للعلوم الطبيعية ، – ولكن حالياً « ما من فيلسوف طبيعي يستطيع أن يعتبر التصوّر المادي تصوّراً مناسباً مطابقاً » (١١٢) . لا توجـــد حقائق أزلية . أهمية الأفكار ، خصوبتها ، دورها كـ « خميرة » ، – « تخلق وتفعل » (١١٣) .

(أمر ذو دلالة : التعبير الساذج عن وجهة النظر القائلة ان « المادية » تُزعج ! غيـــاب أية فكرة عن المادية الجدلية وعجز مطلق عن تمييز المادية

كفلسفة عن التصورات الفظة التي يؤيدها جُهّال زمنٍ ما يقولون عن انفسهم انهم ماديون .) .

هدف المؤلف : « التحليل الميكانيكي لظاهرات الحياة » (ص ١ ، المقدمة) – يحيل على الفصل الأخير من « الفيزيولوجيا العامة » .

بدلاً من « زلال حيّ » – وهي على حد قوله فكرة قليلة الوضوح ، بدلاً من جُزَيْئة molécule «زلال حيّة» (« إذْ أن الجزَيْئة لا يمكن ان تكون حيّة ») يقترح المؤلف « جُزَيْئة بيومولـّدة » (٢٥) .

إن تحول الكيماوي الى حيّ هوذا لا شك [على الأرجح] قوام المسألة . كي نتحرك بحرية اكبر بين هذه الامور الجديدة التي لا تزال غامضة ، افتراضية ، لتسقط « المادية »، لتسقط الافكار القديمـــة (« الجزَيْئة ») التي « تقيد » نا ، ولنعطِ اسماً جديداً (بيومولـّد) كي نسير بحرية اكبر بحثاً عن معارف جديدة . NB من أجل مسألة المصادر والأسباب التي **تحرّك** وتحفز « المثالية » المعاصرة في الفيزياء والعلوم الطبيعية عامة .

جان بيرين Jean Perrin

« المبادىء الفلسفية للكيمياء الفيزيائية »

باريس ، ١٩٠٣

لاحظ **جان بيرين : كتاب الكيمياء الفيزيائية : المبادىء** (٣٠٠ صفحة) ، باريس، ١٩٠٣. تقرير عنه بقلم آبل **ري** A. Rey في **المجلة الفلسفية** ، ١٩٠٤، حـ ١ ، تحت عنوان « المبادىء الفلسفية للكيمياء الفيزيائية » . (بيرين يحلل مفاهيم **القوّة** force ، الخ ، **السبب** ، الخ ، **القدرة** ، الخ ، – ضد **تأويل القدرة** كماهيّة سرية ص ٤٠١) ... آبل ري يعتبر بيرين خصماً لـ « المذاهب **الريبية – الجديدة** » .

فر. دانمان Fr. Danneman

« كيف تشكلت صورتنا عن العالم ؟ »

(كوسموس) ، شتوتغارت ، ١٩١٢

يعطي المؤلف في هذا الكراس نوعاً من ملخّص **لعمله الصادر في ٤ مجلدات : « العلوم الطبيعية في تطورها وترابطها »** (((كثير من **التبسيط الشعبي**))) .

المؤلف يذكر بشكل مهمل، سطحي ، مع اصطناع الأهمية ، المسائل الفلسفية . عاميّ .

الكتاب لا لحم ولا سمك : طابعه الاهمال والتسطّح والثرثرة بالنسبة لكتاب فلسفي ، والادّعاء والعجرفة بالنسبة لكتاب شعبي .

الثقافة [الحضارة] تعد ٥٠٠٠ سنة من التطور منذ مصر القديمة حتى زمننا حسب هوميروس ، الارض كانت تقتصر على البحر المتوسط والبلدان المحيطة به .

في مصر ، الليالي الصافية كانت تسهّل أعمال علم الفلك . كانوا يلاحظون النجوم وحركتها ، القمر ، الخ .

في البداية ، كانوا يعدون شهراً من ٣٠ يوماً وسنة من ٣٦٠ يوماً . ولكن المصريين كانوا يعدون ٣٦٥ يوماً . ايراتوستين (٢٧٦ ق م) حدّد محيط الكرة الارضية بـ ٢٥٠,٠٠٠ «مرحلة» = ٤٥,٠٠٠ كم (بدلاً من ٤٠,٠٠٠) .

أرِستارك [أرسطارخ] وجد ان الارض تدور حول الشمس (١٨٠٠ سنة قبل كوبرنيك ١٤٧٣ – ١٥٤٣) . (القرن الثـــالث ق. م.) . كان يعتـبر القمر أصغر من الأرض **ثلاثين مرة** (بدلاً من ٤٨) والشمس اكبر من الارض بـ ٣٠٠ مرة (بدلاً من ١,٣٠٠,٠٠٠ مرة) .

منظومة بطليموس (ق ٢ ق م) . في القرن الخـامس عشر انبعاث علم الفلك بالارتباط مع الملاحة .

كوبرنيك (١٤٧٣ – ١٥٤٣) . منظومة شمسية . دوائر (بدلاً من قطع ناقص) .

((في اواسط القرن ١٩ فقط ، أتاح تحسّن أدوات القياس البرهان على تحوّل مظهر النجوم غير المتحركة)) :

غاليليو – (١٥٦٤ – ١٦٤٢)
كيبلر – (١٥٥١ – ١٦٣٠)
نيوتن – (١٦٤٣ – ١٧٢٧)

التلسكوب ، الخ . ((اكتشاف اكثر من ٢٠ مليون نجمة ، الخ)) .

تسطّح الأرض عند القطبين ١ / ٢٢٩ من القطر (بـدلاً من ١ / ٢٩٩) .

فيثاغور (ق ٦ ق م) : العالم يحكمه العدد والقياس mesure ...

٤ عناصر ، ٤ أجسام ، عند الفلاسفة القدامى : التراب ، النار ، الماء ، الهواء .

ديموقريط (ق ٥ ق م) : ذرات atomes ... ← القرن السابع عشر: العناصر الكيميائية .

لودفيغ دارمشتادتر L . Darmstaedter

« دليل من أجل تاريخ العلوم الطبيعية والتقنية »

برلين ١٩٠٨ ، الطبعة الثانية .

تحديد سرعة الضوء :

١٦٧٦ اولاوس رومر (على كسوف المشتري) :

٤٠،٠٠٠ ميل بحري أقل من ٢٩٨،٠٠٠ كم

(أقل من ٣٠٠،٠٠٠ كم / ثا)

١٨٤٩ : فيزو (عجلات مسنّنة ومرايا) .

٤٢،٢١٩ ميل بحري ٣١٣،٠٠٠ كم .

١٨٥٤ : فوكو (مرآتان تدوران الخ) :

٤٠،١٦٠ ميل بحري ٢٩٨،٠٠٠ كم .

١٨٧٤ : ألفريد **كورنو** (حسب جهاز فيزو) :

٣٠٠،٤٠٠ كم

٣٠٠،٣٣٠ كم

١٩٠٢ : بِروتِن Perrotin (نفس الشيء) : ٢٩٩،٩٠٠ كم

(± ٨٠ م)

آرثر إريك هاس Art. E. Haas

« روح الهيلينية * في الفيزياء الحديثة »

لايبتسيغ ، ١٩١٤ (٣٢ صفحة) ، (فايت وشركاه) .

تقرير عنه في مجلة دراسات عن كنط ، ١٩١٤ ، رقم ٣ (ح ١٩) ، ص ٣٩١ – ٣٩٢ . المؤلف ، وهو استاذ تاريخ علم الفيزياء (فولكمان أعار أكبر انتباه لهذا التاريخ) ، يؤكد الرابطة الخاصة الموجودة بين هيراكليت وطومسون ** ، الخ ، الخ .

تيودور ليبس Th. Lipps

« العلوم الطبيعية ومَفْهَمَة العالم »

(خطاب أُلقي في المؤتمر الـ ٧٨ لعلماء الطبيعة في شتوتغارت) . هايدلبرغ ، ١٩٠٦

مثالي بالمعنى الكنطي والفيختيي . يشدّد على أن الفينومينولوجيا تعمل هي أيضاً في اتجاه المثالية (الفينومينولوجيا الجديدة – الظاهرات فقط . ص ٤٠)، كذلك مذهب القدرة énergétique والمذهب الحياتي vitalisme .

مادة – س .

مادية [Matérialité ، مادية الاشياء] – « وسيلة تعبير اصطلاحية » ... (ص ٣٥) .

الطبيعة نتاج للروح ، الخ (٣٧) .

« بكلمة ، ليست المادية قبل كل شيء سوى اسم جديد مُعطى للمسألة التي تطرحها على نفسها العلوم الطبيعية » . (٣٢) .

---

* الهيلين هم الشعب اليوناني . روح الهيلينية هي روح اليونان القديمة .

** Thomson : اسم ثلاثة علماء فيزياء انكليز (ق ١٩ وق ٢٠) ، هنا : جوزيف تومسون ، درس بنية المادة والالكترونات (جائزة نوبل ١٩٠٦) .

الفهرس

	صفحة
٤ ـ هيغل : دروس تاريخ الفلسفة	٥
المدخل	٧
المجلد الاول من تاريخ الفلسفة	٩
فلسفة الايونيين	٩
فلسفة الفيثاغوريين	٩
مدرسة ايله	١٢
فلسفة هيراكليت	٢١
فلسفة لوسيب	٢٥
فلسفه ديموقريط	٢٧
فلسفه آناكساغور	٢٨
المجلد الثاني من تاريخ الفلسفة	٣١
فلسفة السوفسطائيين	٣١
فلسفة سقراط	٣٥
السقراطيون	٣٧
فلسفة أفلاطون	٤٠
فلسفة أرسطو	٤٣

صفحة

فلسفة الرواقيين	٥٠
فلسفة ابيقور	٥١
فلسفة الريبيين	٥٧
المجلد الثالث من تاريخ الفلسفة	٦٣
الافلاطونيون الجدد	٦٣
ملاحظات	٦٥
٥ – هيغل : دروس عن فلسفة التاريخ .	١٠١
حول التاريخ الكوني	١١١
ملاحظات	١١٢
٦ – لاسال : فلسفة هيراكليت الغامض	١١٩
ملاحظات	١٣٥
٧ – أرسطو : الميتافيزياء	١٤٣
ملاحظات	١٥٣
٨ – متفرقات :	١٦١
كوينوف عن فويرباخ	١٦٣
عروض المؤلفين عن منطق هيغل	١٦٥
بلنجه عن هيغل وماركس	١٦٩
ملاحظة	١٧٣
نويل : منطق هيغل	١٧٤
ملاحظات	١٨١
ملاحظات على مؤلفات في علوم الطبيعة	١٨٤

هذا الكتاب

هذه المجموعة تواصل وتختم اصدارنا لدفاتر لينين الفلسفية ، وهي تضم : «دروس تاريخ الفلسفة» و «دروس فلسفة التاريخ» لهيغل . وتحليل نقدي لكتاب لاسال عن هيراكليت الغامض ، ولكتاب أرسطو « الميتافيزياء ». بالإضافة إلى بعض الموضوعات الفلسفية المتفرقة .

الاشتراط الفلسفي الاول هو وعي أننا نعمل بالمفاهيم ؛ كل البشر يعملون بالمفاهيم ، هذه النقطة يجب أن ترفع الى وعي كامل وصارم ، « الديالكتيك ملازم لكل معرفة إنسانية » ؛ يجب تحويل اللاواعي الى واع . الفكر الذي يتصور أنه هو الواقع وليس انعكاسه الصحيح أو الخاطىء أو الخيالي ، الفكر الذي يرى أنه انعكاس عن الواقع دون أن يرى أنه انعكاسه النوعي المفهومي ؛ الذي يرى أنه انعكاس مباشر غير موسط إلخ ، .. ينتهي فوراً الى الابتعاد عن الواقع والقطيعة معه . الفكر الذي لا يأخذ وعي أنه « الذاتي » (وأن الموضوعي مقابله) يعجز عن بناء لوحة الموضوعي ، لا يقترب من الموضوعية ، ينتهي الى الذاتوية .

دار الحقيقة للطباعة والنشر
ص. ب ٨١٤٧

الثمن : ٦٠٠ ق. ل.